تراث السودان :

الأقوال المروية في تاريخ المهدية

(أوراق علي المهدي)

جمع وترتيب : عبد الله محمد أحمد

إشراف : الصادق المهدي

طبع بالمطبعة الحكومية الخرطوم

1965 م

مأثورات من اقوال

الامـــام محمـــد المهدى بن عبد الله

١ـ قد أمرنى سـيد الوجـود صلى الله عليه وسلم ان زواج الثيـب بخمسـة والبكـر بعشرة ريالات تخفيفا لامته ومن نقص الصداق عن ذلك فهو أقرب إلى من بياض العـين الى سوادها وإياكم والزيادات »

٢ـ اتركوا الترفهات وفـراوى الريف لأن موت النفوس حياتها والبسوا الجبب المرقعات ولبسـوا نسـاءكم الثيـاب الخلقة »

٣ـ ليتهلم بعضكم من بعـض وليتادب بعضكم لبعض وليكسر طرفه لاخيه المجاهد ، والا يعـلو عليـه وان يسـاويه فى الفراش والاكل إلا الضـرائبين وان الامـراء والعـاملين فكلهم على حد سوى إلا فى الامر والنـهى فليحبوهـم ولا يتفاضلون عليهم فى المركب والملبس والأكل فمن فعل ذلك فهو مردود منا »

طبع بالمطبعة الحكومية بالخرطوم

ماهى أهداف الدعوة المهدية :

اولا : احياء ما اندرس من الكتاب والسنة والحكم بما جاء فيهما .

ثانيا: اقامة دولة اسلاميةتحكم كل بلاد الاسلام وتنشره فى الاقطار الاخرى .

ثالثا : أن يتساوى المسلمون أمام الشرع وان يتساووا فى المأكل والملبس والمركب وان تنزع عنهم الالقاب والرتب فلا يفضل احدهم الا بالتقوى والعمل الصالح .

ما هى اهم الوسائل لذلك ؟ :

اولا : نقض البيعة للخلافة العثمانية واخذ البيعة للامام محمد المهدى بن عبد الله خليفة للرسول واماما للمسلمين يجب له السمع والطاعة فيما يرضى الله ورسوله وتجب اليه الهجرة من كل صوب وحدب .ويجب معه الجهاد فى سبيل‌الله .

ثانيا توحيد صفوف المسلمين وذلك بالقضاء على الفوارق الطائفية والمذهبية بينهم .

أما الطوائف أو الطرق فقد قال‌الامام المهدى‌عنها : «ان رجال الطريق جزاهم الله‌خيرا فقد وصلوا ووصلواوكانوا هداة الناس » ولكن بعد حلول المهدية وقيام صاحب الامامة‌الكبرى وجب تجنب التفرقة ووجب على مشايخ الطرق ان يبايعوه وقد قال في ذلك : « لا ينفع الولى ولايته ولا الشريف شرفه الا باتباعى »

اما المذاهب فلا سلطان لها على‌أحد فرجال المذاهب كما قال الامام المهدى : « يشكرون على ما ادوه عن‌الاسلام والمسلمين ولكنهم رجال‌ونحن رجال وعلينا ان نجتهد كما اجتهدوا»

ثالثا : القضاء على الفوارق‌القبلية والعنصرية بين المسلمين فالناس لآدم وآدم من تراب لا فضل‌لعربى على عجمى‌ولا ابيض على اسود الا بالتقوى والقبائل ينبغى الا تتعدى مهمتها فى حفظ الانساب والتعارف فلا يكون فيها مجال للتعصب والعصبية .

تلك هى اهم اهداف الدعوة ووسائلها كما يتضح من منشورات‌الامام

وخطبه ومجالسه فأيد الله الدعوةووفقها لاقامة دولة اشتملت على رقعة السودان الجغرافية وتجاوبت معها ارجاء العالم الاسلامى المختلفة فاقلقت انتصاراتها الباهرة مضاجع الدولة العثمانية والدول الاستعمارية التى مدت اعناقها وحشدت قواتها للاحاطة بالدعوة الثائرة من كل جهة .

وبقدرما اهتزت عروش الظلم والاستبداد تفتحت آمال المسلمين الحادبين على البعث الاسلامى وانشرحت صدور العرب والافارقة والحادبين على التحرير .

لقد انفرد السودان فى تلك الظروف بموقف القيادة لدعوة البعث الاسلامى وظلت ارضه ترفع لواء الاسلام يتساقط حوله الشهداء ويعلو خفاقا يتحدى سلطان الدولة العثمانية والدول الاوربية اعواما طوالا .

ان فى الصفحات التالية تاريخا للدعوة والدولة المهدية وقد جمعه طيب الذكر السيد على المهدى من افواه المجاهدين والمهاجرين ، عراة الاجساد ، جياع الاكباد ، رعاة الاغنام الذين صبروا وصابروا ورابطوا ، فصاروا رعاة الانام .

لقد اجتهد السيد على طيب الله ثراه فى جمع هذه المعلومات وسماها (الاقوال المروية فى تاريخ المهدية) فظلت عهدا طويلا لم تنشر فكلفت الاخ السيد عبد الله محمد احمد فنظمها مشكورا واعدها الاعداد الذى يراه القارىء فى الصفحات التالية .

ان القارىء لا يجد فيما يلى تاريخا كاملا للدعوة والدولة المهدية ولكنه يجد مادة يمكن لابناء هذا الجيل ان يستفيدوا منها فى بحثهم عن تاريخ امتهم لابراز البطولات والتضحيات الرائعة التى قدمها اسلافهم .

ليس التاريخ شيئا مقدسا وان البشر ليسوا منزهين بل هم معرضون للصواب والخطأ ونحن كمسلمين نعرف كيف ان الله سبحانه وتعالى آخذ الرسول قدوتنا ومثلنا الاعلى على بعض تصرفاته فلا غرو اذن ان يخطىء سائر الناس مهما عظمت مكانتهم . وعبرة ذوى الالباب هى احصاء مواطن الصواب للاقتداء بها ومواطن الخطأ لتجنب امثالها .

ان الدخيل وعملاءه قد شوهوا تاريخ الدعوة المهدية وذلك ضمن دعاياتهم الحربية العدوانية فكانت كل الكتب التى نشرت عن تاريخ المهدية عبارة عن نسخ مكررة لكتاب مدير مخابرات الجيش الثنائى السير ونجت

لقد آن الاوان لابن السودان ليزيل الغشاوة عن عينيه ويلتفت الى تراثه فينفض عنه الغبار ويعرفه على حقيقته خاليا من دسائس المخابرات ووساوس المتورين فان الوطنية لاتستقيم بلا جذور .

ان بعضنا يقدسون التاريخ ويعتبر الحديث عن تاريخ المهدية بغير عبارات المدح والاشادة مسلكا معوجا . هذا نهج غير سليم فقد حدثت اثناء المهدية مشاكل ونشأت خلافات وهذه امور ينبغى علينا ان ندرسها وان نفهم دوافعها حتى نكون على بينة من امر ماضينا ونفهم عن طريقه كثيرا مما وراء حاضرنا .

ان الدولة المهدية قد تعرضت للغزو الثنائى الذى احتل البلاد وعمل جاهدا على محو تعاليم الامام المهدى وعلى تلطيخ سيرته وسيرة خلفائه وامرائه والانصار . ولكن بالرغم من هذا المجهود الجائر لم يتمكن الاعداء من نيل مقصودهم بل ظلت انوار الدعوة المهدية حية واعلامها ترفرف اليوم على رأس اكبر تجمع شعبى اسلامى العقيدة عربى الحضارة فى القارة الافريقية . وفوق هذا فقد اورثت الدعوة المهدية بلاد السودان تراثا اسلاميا وتراثا قوميا وتراثا انسانيا خالدا .

التراث الاسلامى

اولا : اضعفت العقائد الطائفية وقضت عليها فى بعض الاحوال مساهمة بذلك فى توحيد صف المسلمين تحت راية واحدة اسوة بصدر الاسلام .

ثانيا : رفعت القداسة من المذاهب الفقهية مسدلة الستار على التعصب المذهبى .

ثالثا : بعثت الجوانب الايجابية من تعاليم الاسلام كالجهاد فى سبيل الله والحكم بالكتاب والسنة .

رابعا : فتحت باب الاجتهاد وحثت عليه .

التراث القومى

اولا : عملت على توحيد قبائل السودان واجناسه فى أمة واحدة وهدف واحد .

ثانيا : صنعت للسودان تاريخا اشترك فيه ابناؤه على اختلاف مشاربهم فالرزيقى والدنقلاوى والهدندوى والنوباوى والشلكاوى والشايقى والجعلى والمس؟ والكنانى .. الخ هؤلاء جميعا عملوا جنبا الى

والمسيري

جنب لاول مرة في تاريخ السودان فدعم هذا التاريخ المشترك الشعور بالوحدة القومية .

ثالثا : لقد انتزعت الدعوة المهدية للسودان سمعة مرموقة بين الاوربيين وجعلت له مكانة محترمة بين العرب والمسلمين .

التراث الانسانى

اولا : ضربت مثلا رائعا فى تفجير امكانيات المؤمن الاعزل واستطاعته ان يتغلب بالايمان والصبر والتنظيم على كل عائق وأن ينتصر على من يفوقه فى العدد والعتاد .

ثانيا : كشفت عن الطاقات الكامنة فى النفس البشرية بصرف النظر عن كون الشخص متعلما أو غنيا أو مدربا فان الرجل العادى استطاع بفضل القيادة الرشيدة القوية ان يرتفع الى درجة ممتازة من تصريف المسئولية وادراك الواجب وتقديم التضحية .

نحن جزء من الامة الاسلامية العربية ولكن لشعبنا خصائص يمتاز بها وقد تجلت هذه الخصائص في تاريخ امتنا الرائع الحافل بالانتصارات الفريدة والمواقف الفذة .

ان عددا من ابناء السودان لايدركون النفاسة الكامنة فى شعبنا وهم لذلك لا يعقدون عليه آمالا كبارا بل يسعون لالحاقه بالقوافل الاخرى ولا يعملون لتفجير طاقاته الضخمة مثلهم فى ذلك مثل القائل :

كتاركة بيضها بالعراء وحاضنة بيض اخرى سفاها

لقد تكررت الشواهد التاريخية على ضخامة امكانيات شعبنا ولامر ما اورد ابن كثير فى الجزء الرابع من تفسيره حديثا بمناسبة تفسير قوله تعالى : ((ثلة من الاولين وثلة من الآخرين)) ان الرسول قال عندما نزلت هذه الآية :

يا عمر تعال واسمع ما قد انزل الله ـ ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ـ الا وان من آدم الىَ ثلة وامتى ثلة ، ولن نستكمل ثلتنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الابل ممن يشهد أن لا اله الا الله .

ان المسئولية الواقعة على ابناء جيلنا هذا هى تفجير امكانيات شعبنا الروحية والمادية لترتفع امتنا وتنعم بالصدارة في ميادين الخير والمجد الصدارة التى ذاقها شعبنا مرات .

لقد طوقت الدعوة المهــدية اعناق ابنـــاء السودان بأمانة كبرى هى المبادرة فى مهام احيــاء تعاليم الاسلام وحمايةثغر الحضارة الاسلامية العربية فى افريقيا ، وتدعيــم كرامةامتنا وابراز ذاتيتها فى وجــه عوامل الهضم والاضعاف .

واجبنا المقــدس هو حفظ هــذه الامانة التى كتبها آباؤنا واجدادنا بدمائهم الطاهرة .

ان تراث اولئك الابطال هو الذى يسند ظهرنا اذ نتصدى لتيارات التعصب العنصرى والقبلى والاقليمىوالطائفى التى تحاول جاهدةان تفتت بلادنا وتقسم امتنا .

ان تاريخ اسلافنا ينادينا أن نرفع عنامتنا خطر الانقسام وانننقذها منشرور المادية الملحــدة التى تسعىلربط امتنــا بمبادىء مستجلبة ذات ارتباطات اجنبية وذات خضــوع لتوجيهات قيادة اجنبية .

وينادينا ان نرفع عن بلادنا وماحولهــــا محاولات المعســـكرين المتخاصمين الرامية لجعل بلادنا وماحولها ذيلا لقيادات اجنبية .

وينادينــــا ان نقف بصلابة فيوجه هذا التسلط سواء جاء مباشرة أو استتر وراء حركــات الصهيونيةومنظمات كالقواعـــد العسكرية أو الاحزاب الشيوعية

ان تاريخ امتنا العظيمة يناديناان نطهر بلادنا من كل هذه الاوحــال وان نبنيها لتكون حقا وطنا لائقـــابشعب مجيد وانخرج بهذه المبادىء الى العالم حولنا لننهــج نهجا يليق بشعب رائد وبالله التوفيق .

الصادق المهدى

امدرمان فى فبراير ١٩٦٥

الباب الاول

نسبه :

يتصل نسبه الشريف من جهة أبيه ، بسيدنا الحسن بن الامام على كرم الله وجهه وذلك ما اجمع عليه الثقات النسابون • فهو محمد المهدى ابن عبد الله بن فحل بن عبد الولى بن عبد الله بن محمد بن حاج شريف بن على بن احمد بن على بن حسب النبى بن صبر بن نصر بن عبد الكريم بن حسين بن عون الله بن نجم الدين (١) بن عثمان بن موسى بن أحمد بن العباس بن يونس بن عثمان بن يعقوب بن عبد القادر بن الحسن العسكرى بن علوان بن عبد الباقى بن صخرة بن يعقوب بن سيدنا الحسن السبط بن الامام على كرم الله وجهه بن أبى طالب • ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقد نظم هذا النسب الشريف صاحب الفضيلة العالم العلامه الشيخ محمد الامين القرشى القاضى الشرعى بقوله :

خذ نسب المهدى للنبى — وكن على صراطه السوى
فهو محمد بن عبد الله — ورتب الاجداد للتناهى
فحل أبوه العبد للولى — جادتهم الرحمة كالولى (٢)
كذاك عبد الله زد محمدا — حاج شريف وعليا احمدا
ثم على حسب النبى — صبر ونصر ليس بالخفى
عبد الكريم وحسين عون الله — ونجم دين هم اهيل الله
عثمان موسى وابو العباس — كانوا هداة لجميع الناس
ويونس عثمان بن يعقوب — بذكرهم تفرج الكروب
وعبد القادر وحسن العسكرى — علوان عبدالباقى بالفضل حرى
يعقوب بن الحسن بن فاطمة — بنت رسول الله تم فاختر
فهم ثلاثون الى الرسول — اعظم بهم من سادة عدول
صل اله الارض والسماء — على النبى صاحب الاسراء

وآلـــه ونجلـــه المهـــدى الزاهـــد المنتظـر التقـــى
يا ربنا واصـلح شئـون الامـه بهـؤلاء السـادة الائمـــه
وأحفظ لابناء الامـام المهـدى فاننـــا بهديهم نستهـــدى
وذاك من نظم الفقيـر القرشى محمـــد الامين بن القـــرشى
فى عـــاشر الايام من شـوال عنـد جنوح الشمس للزوال
من عـــام الـف وثلاثمـــائة خمسـين ثم اربع للهجـــرة

ذلك هو نسبه الشريف من جهةابيه أما نسبه من جهة امه فانها زينب بنت نصر بن سراج بن شغلاوى بن عبد السلام بن جميل بن عدلان بن أحمد بن طه بن عدلان بن عرفان بن ضواب بن غانم بن حميدان بن صبح بن فرحه بن مسمار بن سرار بن كـــروم بن ابى ادريس بن قضاعة بن مسرون بن حرقان بن احمد اليمانى (٣) بن ابراهيم بن جعل بن ادريس بن قيس بن يمن الخزرجى (٤) بن عدن (٥) بن قصاص بن كرب بن هاطل بن ذى الكلاع الحميرى (٦) بن سعد الانصارى (٧) بن الفضل بن حبر الامة المحمدية وترجمان القرآن عبد الله بن عباس عم النبى (صلعم) وخير الناس بن عبد المطلب بن هاشم •

مـــولده :

ولد الامام المهدى عليه السلام بجزيرة لبب المعروفة بجزيرةالاشراف بمديرية دنقلا فى ليلة الاثنين السابع والعشرين من شهر رجب عام ١٢٦٠ هجرية • ويدعم هذه الرواية ان الفكى حمد الصادق أخبرنا ان المهدى حدثه فى رجب عام ١٢٩٨ هجرية ابان وجوده معه بالجزيرة أبا أن عمره ثمان وثلاثون سنة آنذاك • واخبرنى المرحوم احمد سليمان المحسى(٨)فى معرض ذكرفضل خليفة المهدى وعظمتهأن المهديةكانت ستأتيه فىعام١٣٠٠ هجرية عندما يبلغ عمره الاربعين سنة لان كل الاعمال العظيمة تأتى بعد تمام الاربعين ولكن مجيئه قدمها سنتين ولو تأخر عشر سنوات لتأخرت عشر سنوات • وأخبرنى أحمد العجـــب (٩) انه سمع أمنا فاطمة بنت

حسين (١٠) تقول ان المهدى انتقل للدار الآخرة وسنه ثلاثة واربعون عاما

هذه الرويات تؤيد الرواية التى سقناها فى بداية هذا الحديث بأن المهدى عليه السلام ولد فى عـــام ١٢٦٠ هجرية الذى يوافق عام ١٨٤٥ ميـــلادى •

هجرة عائلته من دنقــلا :

هاجرت عائلة الامام المهدى من دنقلا وعمره بين الخامسة والسابعة والسبب ان والده تعاقد مع الحكومة ليبنى لها مراكب فلم يجد الاشجار الصالحة لصنعها فالتمس من الحكومة أن تأذن له بالهجرة الى الجهـــات الجنوبية من السودان حيث توجد الاشجار المطلوبة اخشابها لبناءالمراكب فأذن له وخرج بعائلته من دنقلا الى شندى حيث اقام بمنزل على ود تنير ومنها رحل لقرية سيال نابر وهى قرية الفكى الريح سنهورى بالجميعاب فنزل بدار منير محمد •

واتهمت العائلة بايواء الهاربين من دنقلا الذين فروا من الخراج ومن ظلم الكاشف ود نميرى (١١) وتسخيره الناس لبناء قصره المشهور بدنقلا ولسبب هذا الاتهام أخذ على العائلة تعهد مالى قدره الف جنيه تدفعها اذا أوت أحد الهاربين • ورحلت العائلة الى حلة ام كرابيج لتبتعد عـــن طريق المارةومنها رحلت للنوفلاب حيث توفى السيد عبد الله ودفن بهـــا فى المكان المشهور باسمه • بعد وفاة السيد عبد الله رحــــل ابناؤه الى كررى حيث اقاموا طويلا •

طلبه للقرآن والعلم :

بدأ المهدى يتعلم القرآن صغيرا فى الخرطوم على يد الشيخ شـــرف الدين عبد الصادق ثم الفكى محبوب الحبشى (١٢) معتوق أحمد شجر

الخيرى تلميذ الفكى الامين ود ام حقين ثم التحق بخلوة برى حيث واصل تعلم القرآن عند الشيخ الفكى محمود المبارك •

وسلك المهدى الطريق على يد الشيخ محمد شريف ود نور الدايم (١٣) فى عام ١٢٧٧ هجرية ثم بدأ يدرس علوم الدين عند الشيخ الامين الصويلح• وتاقت نفسه لتلقى العلم بالازهر الشريف فى عام ١٢٧٩ هجرية فخرج مسافرا بهذه النية وفى بربر اخبر الشيخ السمانى ولد فزع تلميذ الشيخ محمد الخير عبد الله خوجلى (١٤) بما استقر عليه رأيه من الهجرة للازهر الشريف فصرفه الشيخ السمانى عن ذلك بحجة ان شيخه له المام تام بعلم الفقه وتدريسه وواسع الاطلاع والانتظام فى مجالس درسه يغنى عن السفر لمصر واستجاب المهدى لمشورته واكب على طلب العلم عند الشيخ محمد الخير بعد أن اتم المختصر وكتاب السلم عند الشيخ قرشى ود البصير (١٥) بالنيل الابيض • ومكث ثلاث سنوات مواظبا على طلب العلم فى مجلس الشيخ محمد الخير ثم استأذنه فى الرجوع الى كررى للزواج والعودة بعد ذلك •

وقد امتنع المهدى عن تناول الطعام الذى كان الشيخ محمد الخير يقدمه للتلاميذ والسبب فى ذلك رواه أحمد العجب المتقدم ذكره أنه قال حدثنى أحمد حاج عطوه أن الشيخ محمد الخير خصص لهم طعاما الزم به زوجته (ام الفقراء) • وفى معرض مزاح قال الشيخ الطاهر للمهدى ان الشيخ محمد الخير يتناول مرتبا من الحكومة فامتنع المهدى عن الطعام الذى تقدمه لهم زوجة الشيخ محمد الخير واعتمد فى غذائه على ما يصطاده من سمك • وعلم الشيخ محمد الخير بذلك فعاهد المهدى أن يقدم له طعاما من محصول الساقية التى ورثها عن والده فطابت بذلك نفس المهدى وعاد يطعم مما يقدم له من محصول الساقية المذكورة

آنفا الى أن اذن له بالسفر لكررى للزواج من الوالدة فاطمة بنت حاج (١٦) فى عام ١٨٨٢ هجرية ٠

بداية المهدية :

روى لنا الفقيه حمد الصادق أحد تلاميذ الشيخ القرشى(١٧) أنه ذهب مع الشيخ عبد الرحمن الشيخ القرشى لزيارة الامام المهدى بالجزيرة أبا فى رجب عام ١٢٩٨ هجرية ٠ وفى اليوم الثامن والعشرين من نفس هذا الشهر ضمه مجلس خاص بحضرة الامام المهدى فاخبرهم المهدى بانه يود أن يكشف لهم أمرا هاما بعد أن يعاهدوه على كتاب الله بعدم افشائه قبل اوانه فعاهدوه فأخبرهم أنه المهدى المنتظر وانه منذ امد طويل كان يسمع الهواتف تبلغه انه المهدى المنتظر وتناديه احيانا قائلة « يا مهدى الله » واحيانا « بالمهدى » واحيانا « مرحبا بالمهدى » فيعرض عنها ويستعيذ بالله ولم يثق بما تلقى اليه تلك الهواتف بل كان يظن انها من فعل شيطان يريد ان يضلله ٠ ثم اخبرهم الامام المهدى أنه بعد اتمام قبة الشيخ القرشى فى ١٢٩٧ هجرية رأى النبى (صلعم) فاخبره انه المهدى المنتظر فوثق فيما كان يسمع بعد ذلك وعزم على القيام باعباء الدعوة وكان ذلك فى غرة شعبان عام ١٢٩٧ هجرية ٠

منذ ذلك التاريخ أخذ المهدى يكاتب بيوت الدين وقام برحلة الى كردفان (١٨) ليتصل ببيوت الدين والقبائل بنفسه ويلتمس مدى استعدادهم لمظاهرته ومساندته وشد ازره وقد اخبر من وجد فيه استعدادا لمعاونته بأمر المهدية بعد أن أخذ عليه العهد بعدم افشاء السر قبل أوانه ٠

وروى لنا الفقيه حمد الصادق ان مما اخبرهم عنه المهدى فى المجلس الخاص المذكور اعلاه إنه أمر بمحاربة الترك اذا بدءوه بقتال ٠

اما اذا لم يبادئوه بقتال حتى السادس عشر من شوال عام ١٢٩٨ هجرية فانه مأمور بمبادأتهم بالقتال بعده • وكتب المهدى كتابا أمر الراوى أن يوصله للشريف محمد الامين الهندى وفيه دعاه للمهدية تلويحا لا تصريحا وسيأتى ذكر تعليقه بعد ان تلقى ذلك الخطاب •

تبليغ الحكمدارية :

بعد عودة المهدى من رحلته فى كردفان كاتب بيوت الدين مكاشفا بالمهدية فانتشر أمر مكاتباته بين الناس وعلم بها الشيخ محمد شريف نور الدايم فلم يتردد فى ابلاغ حكومة الخرطوم بها • واهتم محمد رءوف باشا حكمدار السودان بهذا البلاغ فجمع العلماء مستشيرا ومستطلعا لرأيهم فاشار بعضهم بأن هذا البلاغ ربما يكون كيديا لما بين الشيخين محمد شريف ومحمد المهدى من خلاف ، واشار بعضهم بأن هذه الدعوى صدرت من الشيخ محمد أحمد فى حالة غيبوبة أو جذب رحمانى (١٩) • واستقر رأى رءوف باشا على ارسال من يختبر حقيقة الامر فاختار محمدا أبا السعود باشا الذى كان معاونا بالحكمدارية لمعرفته بالشيخ محمد أحمد واتصاله ببعض أهله •

وكون لابى السعود وفداً من بعض اعيان أهل المهدى المشهورين بحصافة الرأى وكانت مهمة الوفد أن يلتمس حقيقة الخبر ويراجع المهدى ان تأكد من صدق البلاغ ويحضره معه للخرطوم • وقد كان الوفد يتكون من الحاج صالح محمد فضل الله الارباوى وأمين ادريس ومحمد على عبد الرحمن القاضى وعبد السلام السوراوى وصالح فريجون وهم جميعا من الخرطوم •وعند مروره بالفشاشوية ضم اليه مكاوى يعقوب من اقارب والدة المهدى ومحمداً ابا شوك المحسى من تلاميذ المهدى •

وكان يرافق ابا السعود خمسة وعشرون جنديا لحراسته ووفده وليستعين بهم فى القبض على المهدى إن دعا الامر •

قاضي ومأمور يستطلعان :

أرسل ابو السعود برقية لمأمور الكوه قبل قيامه من الخرطوم يأمره فيها بأخذ الشيخ سليمان شاذلى (٢٠) قاضـى مركز الكوة للجزيرة أبا والوقوف على حال المهدى وهل معه قوات تناصره وما يتعلق بذلك وان يوافياه بمعلومات مؤكدة عند وصوله للجزيرة أبا ليكون على بينة مما هو مقدم عليه • وعند وصول المـأمور والقاضى للجزيرة أبا استقبلها السيد عبد الرحمن محمود واستضافهما كالعادة المتبعة فقد كان دائما يستضيف رجال السلك الحكومى لثرائه وترفه وتمدينه بمنزله القريب من قوز قبا (٢١) شمال المكان الذى كان يقطنه المهدى بالجزيرة أبا • وأخبر الضيفان السيد عبد الرحمن محمود بانهما يريدان مقابلة الشيخ محمد أحمد فارسل يبلغ المهدى بقدومهما واستئذانهما لمقابلته وكان المهدى اذ ذاك معتكفا (٢٢) فلم يأذن لهما ولم يأبه بهما فطلبا من السيد عبد الرحمن محمود أن يحضر لهما السيد أحمد شرفى (٢٣) شيخ القرية ليأخذا منه ما يلزمهما من معلومات فقيل لهما إنه معتكف مع الشيخ محمد أحمد ولا يمكنه الخروج لمقابلتهما فذهبا لمنزل ابى هداية ، عم المهدى ، الذى كان يتوسط القرية ليشهدا الحالة من هناك ويقدرا عدد الجيش المرابط مع المهدى • وقد تطلعا كثيرا فلم يكشفا جيشا مرابطا بل اقتنعا أن الحالة هادئة وان جل السكان خرج لمزارعه • واثناء وجودهما بمنزل ابى هداية اتاهما رسول من المهدى يطلب القـاضى سليمان شاذلى لمقابلته فاسرع القاضى اليه ومكث معه مدة وجيزة ثم عاد لصاحبه بمنزل ابى هدايه وافضى اليه على انفراد بما سمعه من المهدى ثم استأذنا السيد أبا هداية فى العودة الى الكوه • وقبل ابتعادهما عن القرية وصلهما الوابور المقل لابى السعود (٢٤) ووفده •

أبو السعود ووفده يصلان :

وصل الوابور المقل لابى السعود ووفده فى يوم الاحد الحادى عشر من شهر رمضان عام ١٢٩٨ الموافق السابع من اغسطس عام ١٨٨١م وحط مرساه فى مشرع العردبية حيث استقبل الوفد ابو هداية وعبد الرحمن محمود وأحمد محمد خير ومحمد أحمد الشيخ ادريس وعبد الرحمن الحاج على • وخرج من الوابور محمد بك ابو السعود مرتديا قفطانا وحزام كزمير وعباية نعمانية من الصوف الابيض وعلى رأسه طربوش فحيا الواقفين وسألهم عن قاضى الكوة ومأمورها فأجابوه بخبر وصولهما للجزيرة وعودتهما منذ برهة وجيزة فطلب ارسال من يعود بهما لمقابلته وخرج من الوابور كذلك وفد ابى السعود وحرسه المكون من خمسة وعشرين جنديا وسار الجميع الى حيث استضيفوا •

وعاد قاضى الكوة ومأمورها فاختلى بهما ابو السعودبك وعلمنا انه سألهما عن الحالة ومقدار الجيش الذى وجداه فاخبراه بانهما لم يجدا جيشا ولم يريا ما يدل على وجود عصيان للحكومة فخيرهما بين الذهاب والانتظار مع وفده ففضلا الرجوع للكوه •

مقابلة أبى السعود للمهدى :

قدمنا انوفد ابى السعود نزل الجزيرة أبا والمهدى معتكف لايدخل عليه إلا أحمد ود سليمان الذى صار أمينا لبيت المال فيما بعد • وبعد وصول الوفد أتاه السيد أحمد شرفى شيخ القرية مرحبا وعلم من أبى السعود انه منتدب من قبل حكمدار (٢٥) السودان لمقابلة الشيخ محمد أحمد فى أمر ذى اهمية • فارسل السيد أحمد شرفى للشيخ محمد أحمد فى خلوته فاجابهم بالانتظار ريثما يستعد لمقابلتهم • وقبيل المقابلة طلب أبو السعود احضار السيد محمد عبد الله أخو المهدى والسيد أحمد

شرف والسيد محمد ابو هداية وعبد الرحمن محمــود وهم جميعا من مشاهير أهل المهدى بالجزيرة أبا فاخبرهم بانه قادم بسبب جواب وصل للحكمدار بان الشيخ محمد أحمدقد ادعى المهدية وانهيريد مراجعته وقد أحضر معه من الخرطوم والفشاشويه عقلاء أهله ليساعدوه فى مراجعته ثم سألهم عن مدى صدقهذا الخبر الذى ورد للحكمدار • فأجابوه بأنهم لا يعهدون فى الشيخ محمد أحمد الكذب وعندما يقابله سيعرف حقيقة الامر • وعقب أبو السعــود على اجابتهم بانه اراد من جلسته معهم أن يتفاوض معهم تمهيدا لمراجعة الشيخ محمد أحمد لانهم اعرف به منــه واقتناعهم معه بوجهة النظر التى جاء بها من الخرطوم يساعده فى الوصول للنتائج المطلوبة فاعادوا عليه سابق قولهم فغضب ووجه حديثه للسيدين محمد عبد الله وعبد الرحمن محمود السابق معرفته لهما قائلا : « انتم تعلمون انالحكومة قوية وقد تؤذيكمولصداقتى معكمتعهدت للحكمدار بأن اراجع الشيخ محمد أحمد وأحضره معى لمقابلته ليستجلى منه حقيقة هذا الامر الذى ربما يكون قد دسه عليه بعض اعدائه للنكاية به وانتم تعلمون مقدار شفقتى عليكم التى الجأتنى » • فشكره الجميع على هذا المقال ثم جاءهم الاذن جميعا بمقابلة المهدى فدخلوا عليه •

وجها لوجه مع المهــدى :

دخلوا جميعا لحضرة المهدى وبعد تبادل التحية قال أبو السعــود « ارسلنى اليك الحكمدار وحسب صداقتى مع أخيك وشفقتى عليكــم اتيت ومن معى من عقــلاء أهلكم بالخرطــوم والفشاشوية لنراجعكم بحضور الموجودين من أهلكم بالجزيرة • لقــد ورد جواب للحكمدار بانك زعمت انك المهدى المنتظر ولا يخفى ان المهدية لها دلائل وعلامات يعرفها العلماء • هذا والحكمدار يطلب منك ان تحضر لطرفه ليناقشك العلماء ويقفوا على بينة من أمرك ثم ترجع لموطنك » وأجابه المهدى بقوله

« انى انا عبد مأمور من الله ورسوله واتانى خبر بأنى انا المهدى المنتظر وانى مؤيد من الله ورسوله ولاحاجة لى بتأييد العلماء وتأييد الحكمدار ولا حاجة لى فى الذهاب للطرفين » فقال له ابو السعود : « يا مولاى ان الحكمدار هو ولى الامر وطاعة ولى الامر واجبة » ورد عليه المهدى بقوله : « انا ولى الامر فى هذا الاوان على سائر الانس والجان » وكان رد ابى السعود على ذلك انه طلب من المهدى ان يبرهن على مهديته بعلامات تؤكد صدق دعواه مثل جذب الوابور من النهر لموضع ليس فيه ماء أو أى علامات أخرى فى نفسه ووفده . واجابه المهدى بانه ليس مأمورا بمثل هذا وحثه على الذهاب للحكمدار وابلاغه ما سمع وينبئه إن اراد الحرب ان يأتى مستعدا لها . فقال له ابو السعود : « لا ياسيدى لا يصح ذلك أحسن منه أن تقبل نصحنا وتذهب معنا استجابة لامر الحكمدار فانه ولى الامر وإن الله تعالى يقول : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم .. الآية » فاجابه المهدى بحدة قائلا : « انا ولى الامر فى هذا الاوان على سائر الانس والجان » وكان قابضا على قائم سيفه فبهت ابو السعود وتغيرت حاله وظن أن لا نجاة له فبال على نفسه لما اعتراه من رعب .

خيم على المجلس سكوت رهيب عدة لحظات ثم خاطب ابو السعود الحاضرين طالبا منهم مراجعة المهدى بعد أن يئس هو نفسه من اقناعه . فردوا عليه بانهم ليس لديهم اكثر مما قاله هو نفسه للمهدى فخرج ابو السعود وخرج معه الحاضرون وتأخر أمين ادريس مع المهدى فقال له : « يا سيدى اذا رجعنا الى الحكمدار من غير أن نأخذك معنا ربما اعتقد اننا لم نخلص فى اداء المهمة التى انتدبنا لها ولم نراجعك المراجعة التى يريدها فيلحق بنا اذى غير محتمل . وان كنت انت المهدى حقيقة نرجو منك ان تضمن لنا شيئين أولهما الحكمدار لا يمسنا بأذى وثانيهما أن

يحفظنا الله حتى نلاقيك سالمين ونبايعك » ورد عليه المهدى انه سيحدث ذلك بأذن الله ومشيئته (٢٦) •

ماذا بعد المقابلة :

التفت ابو السعود لمن معـــه من جماعة بعد خروجه من مقـــابلة المهدى فقال لهم « لم نحصل على مطلوبنا فهل ترغبون فى مراجعته مرة ثانية ؟ » ثم التفت للسيد أحمد شرفى وقـــال له « انت شيخ القرية وانت تعلم ان الحكومة قوية ألا تخشى ان تعود المسئولية عليكم ؟ » ورد عليه السيد أحمد شرفى بانه لا يخشى من أى شىء وانه لا مسئولية عليه لانه هو نفسه قابل المهدى وعلم منه انه المهدى المنتظر • والتفت ابو السعود لابى هدايه قائلا : « قد اطلعت على ما عندكم وان الحكومة قوية وسوف ترسل اليكم قوة تقبضكم كالاغنام » ورد عليه ابو هدايه :« لا بأس ان يقبضوا علينا كالاغنام عندما يظفرون بنا » وتحول ابو السعود نحو عبد الرحمن محمود فقال له : « هل مثل هذا القول صواب منكم ومعقول؟ انا ما على الا ان اخبر الحكمدار وستأتيكم الحكومة بقوتها » ثم ودع ابو السعود الجميع ونزل للوابور فسافر بيوم الاحد •

ابرق أبو السعود الحكمدار من الكوه بنتيجة مفاوضته مع المهدى فجهزت الحكومة قوة اسندت اليها أمر القبض على المهدى وقد عـــاد ابو السعود مع هذه القوة كما سنوضح ادناه •

البـــاب الثانى

اعلان الدعوة :

خرج المهدى من خلوته فى مساء الاحد الذى سافر فيه ابو السعود عائدا الى الخرطوم وصلى العشاء ثم ارسل فى صباح الاثنين طالبا حضور دغيم وكنانه والعمارنه • وتوجه المهدى فى صباح نفس اليوم الى الكوة وفى رفقته السيد محمد أحمد شيخ ادريس • وعند مكتب البرقيـــات أمره السيد محمد أحمد ان يسلم برقية للموظف المسئول من ارســال البرقيات فاعادها الموظف للسيد محمد أحمد شيخ ادريس قائلا : « انت مجنون ؟ وهل يمكننى ارسال مثل هذا الكلام للحكمدار ؟ » ورجــع الشيخ محمد أحمد للمهدى بالبرقية فأخذها منه المهدى بعد ان نزل من بعيره وتقدم بنفسه للموظف المختص وناوله البرقية آمرا اياه ان يرسلها فلم يسعهالا أن يتناولها قائلا : « حاضر ياسيدى ثم ارسلها الى الحكمدار وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله الوالى الكريم والصــلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد : فمن عبد ربه محمد المهدى بن السيد عبد الله الى الحكمدارية بالخرطوم ـ وبعد فعــلى مقتضى المكاتبة فالامر المطلوب كشفه ان دعائى الخلق على تقديم السنة والهجرة بالدين مما عليه الطباع الزمنية أمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلممرارا عديدة معالهواتف الالاهية وعلاماتأخبر بهاسيدالوجود صلى الله عليه وسلم فمن تبع صار من المقربين الفائزين ومن خالف خذله الله فى الدارين وصده بقدرته التى يعجز عن معارضتها جميع العالمين • وأما المواعظ للمؤمنين فهى مبينة فمن لم يصدق طهره السيف • وليكن معلوما انه اتانى من الحضرتين النبوية وحضرة الاقطاب سيف وأعلمت انه

لاينصر عليَّ معه أحد وأعلم صلى الله عليه وسلم ان من اتانا بالعداوة يأخذه الله بالخسف أو بالفرق وذلك اعلام منه صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لم اعمل فيه بشيء من نفسى ولا لغرضى وانما هو من الله والى الله ومعلوم قوله تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم .... الآية » وقوله صلى الله عليه وسلم : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك .... الحديث » والى غير ذلك من الادلة الظاهرية والباطنية وفيما ذكرته كفاية يكتفى به اولو العناية والسلام .

يا قومنا اجيبوا داعى الله :

اسرع مصطفى ولد سليمان وعبد الرحمن حامد وعثمان صالح بخيت وعثمان حاج شرفى ومحمد حاج شرفى الذين كانوا يشتغلون بعمل مراكب فى الفشاشوية الى المهدى فوجدوه يصلى التراويح ولما فرغ منها ابلغوه ان وابور تحمل جنودا وصلت الفشاشوية وهى فى طريقها الى الجزيرة أبا وقد حملت الوابور ابا قرجه وشيخ فضله من قرية ام غنيم كما حملت مكاوى ومحمداً ابا شوك وزياده عبد الله من الفشاشويه بصفتهم ادلاء . وكان الجيش المحمول بالوابورين ٦٥٠ و ٨٥٠ جندى ويرافقه أبوالسعود اما الجيش الذى أعده المهدى لمقابلتهم فان عدد رجاله ٣١٣ بالضبط وقد اتمهم بصبيان خلوته .

استعداد المهدى للقتـــال :

أمر المهدى باحضار راياته الخمس حالا فاحضرت وكانت كلها تحمل شعار التوحيد « لا إله الا الله محمد رسول الله ، وكانت تحمل اربع منها اسماء اربعـــة من اولياء الله ، وضع اسم كل ولى على راية وهم الشيخ الجيـــلانى ولى الله ، والشيـــخ احمد الرفاعى ، والشيـــخ ابراهيـــم الدسوقى ، والشيخ أحمـــد البدوى . أما الراية الخامسة فلم يكن عليها اسم ولى وقبل أن يكتب عليها شيئاً عين المقدمين فجعل على كل

عشرة اشخاص مقـــدما ومن مشاهير المقدمين : عمر اللحوى ، عمر السرورابى ، الشيخ عيسى العباسابى ، الشيخ محمد الضواها ، الشيخ الامين محمد ، الشيخ عبد الله ولد النور ، الشيخ ادريس الشاعر (١) الشيخ عبد القادر مدرع ، الشيخ عبد الله العبيسابى ، الشيخ على محمد سعيد الدويحى ، السيد ابو هدايه مزمل عم المهدى ، السيد محمد عبد الله اخو المهدى ، عبد الرحمن حاج على ، عبد الرحمن محمود ، الشيخ ضو الدين ولد زلفى ، الشيخ موسى ولد حلو ، عبد الله ولد ابو سوار محمد بلال ، الشيخ آدم الاعيسر ومحمد ولد المدنى ابن عمه ، وأمين من أقارب آدم الاعيسر وبابكر ولد عامر •

بعد تعيين النقباء طلب المهدى دواة فاحضـرت واخذ عددا من اراك متفوف الرأس كتب به على الراية الخالية من اسم « محمد المهدى خليفـة رسول الله » وكتب فى اعلى الرايات : « يا الله يا حى يا قيوم ياذا الجـلال والاكرام » وقد تم كل ذلك فى السحر بعد صلاة التراويح • بعد ذلك جاءه محمد محمد خير فأخبره ان الوابور مر متجها للقرية بعد أن انزلت ما فيها من عسكر فى منجرة ولد ابى شوك (٢) التى هى بقرب محل السيد طه ، وسيدخلون القرية من اعلاها • عندئذ امر المهدى بحمل الرايات وتقـدم الجميع الى القرية حيث اصطفوا انتظارا للقتال •

واقعـــة أبا :

بعد تسوية الصفوف وقف المهدى خلف راية الشيخ الامين فجـاء العساكر سائرين على طرف الخور (٣) وكانت ليلة مقمرة مكنت المهـدى ورجاله من مراقبة حركة عساكر الحكومة الذين كان يتقدمهم الصاغ ابراهيم افندى • وانتبه الصاغ لمرأى الرايات فوقف ونادى فى عساكره بالتركية حسب المصطلحات العسكرية ليقفوا ويصطفوا للقتال فوقفوا وخاطب أبا السعود قائلا : « بص(٤) تحت » فرد عليه ابو السعود بانه يرى رايات

ويظنها موضوعة على قبور لانه شاهد قبورا فى هذا الموضع عندما جاء لمراجعة المهدى قبل ايام وكانت على تلك القبور رايات فنادى الصاغ فى عساكره بالمسير • وعند اقترابهم من صفوف المهدى ارسل المهدى الشيخ بركات للسيد محمد عبد الله الذى كان واقفا فى القلب ليبلغه ان اهـل الدائرة (٥) من جهة اليمين فلا تتركوا العدو يملك يمينكم بل احملوا راياتكم وسيروا امامهم حتى تمتلكوا الميمنة •

عندما وصل العساكر ازاء رأية السيد محمد عبد الله أمر السيد محمد رجاله بأن يتحركوا برايتهم حسب تعليمات المهدى فلاحظ الصاغ ابراهيم صالح حركة الراية فنادى فى عساكره بالوقوف ثم خاطب ابـا السعود بصوت عال قائلا : «يا ابا السعود بك انا اقول لك هذه رايات تحتها ناس » ثم سكت هـو وابو السعود ليتأكدوا من حركـة الجيش فاستيقنا ان هذه الاشباح هى جيوش المهدى فنادى الصاغ ابراهيم فى عساكره بأن يستعدوا لضرب النار فبركوا ثم صاح الصاغ ابراهيم بصوت عال : « الله عليكم يا عرب يا بقاره يا عصاة ، نصر الله العزيز عليكـم » عند ذلك رد عليه يوسف ولد العشا بدون اذن من السيد محمد قائلا : « نحن لسنا بعصاة وانما انتم العاصون ، والله اكبر عليكم انتم ونصر الله العزيز عليكم فالخرطوم بعيد عليكم اليوم » فنادى الصاغ بالضرب •

نوبة عطش :

ضرب البورى نوبة عطش بعد ذلك وبدأ عساكر الحكومة ضرب المهدى فكانوا هم البادئين بالقتال وحسب وصية المهدى كبر الانصـار تكبيرة رجل واحد فارتجت الارض تحت ارجلهم وحملوا على عساكر الحكومة حملة رجل واحد ، حملة صادقة حتى ادخلوهم محل السيد طه عندئذ ارسل المهدى خلف الانصار من يأمرهم بالرجوع وكان الوقـت ما يزال ليـلا •

كان من بين رجال المهدى مجموعة من الزنوج حملوا السلاح الناری وأمر عليهم السيد محمود عبد القادر وعبد الرحمن محمود فأمرهما المهدی أن يتبعوا المنهزمين بالسلاح الناری ويقضوا عليهم فتبعوهم حتى محل السيد طه ثم رجعوا ٠

ماذا بعد المعركة :

بعد انهزام عساكر الحكومة رجع المهدى بجيشه للمسجد وقد جرح فى منكبه اليمين ثم لحقه رجال السلاح الناری الذين لحقوا المنهزمين بأمر منه ٠ وأمر المهدى بجمع السلاح والجبخانة من مكان المعركة فتم ذلك ثم نودى بالأذان الاول فقسم المهدى جيشه قسمين ليصلى صلاة الخوف (٦) ٠ وما فرغ المهدى من الصلاة حتى أخذت الوابور تقذف القرية بالقنابل فأمر السيد محمود عبد القادر بأن يسير مع الرجال الذين يعرفون استعمال السلاح الناری لضرب الوابور ففعل وأمر المهدى بقية جيشه فاصطف براياته شمال القرية استعدادا لاى هجوم مفاجیء ٠

بعد انهزام الجيش الحكومى لحق ابو السعود بالوابور فاعتصم فيها وارسل زيادة وآخر ليطلباله اذنا بمقابلة المهدى ولكن احد الرسولين عاد للوابور عندما اخذ رجال المهدى يصلون الوابور نارا حامية ووصل زيادة لجهة جيش المهدى فتصدى له ابو هداية قائلا : « الى اين تذهب يا زيادة ؟ » فاخبر ابا هدايه بانه يريد ابلاغ المهدى رسالة من أبى السعود فأمره ابو هدايه بالرجوع لان هذا ليس اوان الكلام فاصر زيادة على الوصول للمهدى فضربه ابو هدايه بكنداب(٧) الحربة ضربة اسالت الدم من رأسه وأمر المهدى بكف الضرب عنه واحضاره أمامه فسأله عن الرسالة التى يحملها فقال: « يا سيدى انا رسول من أبى السعود فهو يريد مقابلتك »

وكان ابو السعود يريد ان يتبين مكان المهدى عند وصول رسوله زيادة اليه فيقذفه بمدفع من الوابور ولكن الانصار ضايقوا ابا السعود ورجاله فلم يتمكنوا من تنفيذ مكيدتهم واسرعوا منهزمين .

الى المسجد مرة ثانية :

عاد المهدى وجيشه للمسجد مرة ثانية وضربت النقارة (٨) فعرض الناس امامها ودخل المهدى خلوته فغسل جرحه ثم خرج فجلس وقد ارتفعت الشمس فجاءه قوم يسرعون واخبروه ان شرذمة من الناس تلبس ملابس بيضاء قادمة من جهة الجاسر (٩) وقد ظنوهم من الترك فوصلت تلك الشرذمة واتضح انها مكونة من الشيخ حسين ابراهيم المشهور بولد الزهراء(١٠)وعبد الرحمن النجومى والشيخ عبد الله اليمانى وغيرهم وكان عددهم جميعا ستة وعشرين رجلا فبقى منهم مع المهدى اثنا عشر رجلا فيهم عبد الرحمن النجومى اما الاربعة عشر الذين رجعوا ففيهم الشيخ الحسين ابراهيم ولد الزهراء . ثم وقف الامام المهدى مخاطبا الناس فقال : انا أمرنا الآن بالهجرة فلنعبر النهر الى الغرب ونهاجر ، فعبر الناس بالمكان المشهور بمهد النمر حيث كانت منجرة السيد عبد الله . وفى الغرب اقام الناس ثلاثة ايام فى مشرع مهد النمر حتى تكاملت كنانه التى كانت بالجزيرة ببقرها . اما الغنم والدجاج وكل الامتعة الاخرى فقد تركت فى الجزيرة أبا الا ما خف من الزاد .

بداية الهجرة للغرب :

جاء الحسنات مع الشيخ عبد القادر ولد مدرع كما جاءت دغيم بعائلاتها ، وفى اليوم الرابع وهو يوم اثنين تحرك المهدى وانصاره لدار الاحامدة ومنها الى تقلى فقدير . أما العربان مثل دار عقيل جماعة عساكر ولد أبو كلام فقد انصرفوا لجهة شركيله كما انصرف أولاد حسن والهيرار (انصرفوا) ابتعادا عن طريق المهدى لخوفهم من ملاحقة الترك .

وفى منادى قابل المهدى رسولان من عساكر ابى كلام يحملان منه رسالة للمهدى يقول له فيها : « لا تتخذ طريقا يمر بدارنا فأنا موظفحكومى واخشى على نفسى من المسئولية واعلم انى لا اتعرض لك بسوء فانهج الطريق الـذى يمر بدار الاحامدة واعلم ان الترك سيلحقـون بك من الابيض » فأجاب المهدى الرسولين ان بلغا عساكر « اننا عازمون — من قبل — التوجه لغايتنا عن طريق دار الاحامدة وبلغاه انى اريد التحـدث اليه فليقابلنى فى الطريق » وجاء عساكر لمقابلـة المهدى فى سهل يدعى القردود وبايعه وعاهده بألا يمنع المهاجرين للمهدى •

وتحرك ركب المهدى من القردود لدار الاحـامده فقابله ناظرهم جبرائيل ابو الصيفه وكل مشايخ واعيان دار الاحامده واكرموه وانصاره وبقى فى دارهم الى ان انصرفت مياه الامطـار التى كانت تملأ الوديان وتعرقل المسير واستأنف المهدى سيره ومعه جبرائيل ابو الصيفه نفسه دليلا يرشدهم للطريق حتى حدود جبال تقلى حيث ارسل المهدى عثمان ولد زلفه (١١) وأحمد ولدنا (١٢) للملك آدم (١٣) مك تقلى ومعهما رسالة تخبره بوصول المهدى لحـدود داره وفيها يستأذنه فى المرور • وبات المهدى فى جبل ابو وتد حيث وافاه فى اليوم الثانى خمسة عشر نفرا فيهم الامير يعقوب واخوانه يوسف والسمانى وهارون ومساعد قيدوم وأحمد على وحامد على قادمين من أبى ركبه عابرين دار عساكر ابو كلام فـلم يعترضهم • وفىاليوم الثانىعاد رسولاالمهدى من الملكآدم ومعهمااثناعشر فارسا فيهم وزير الملك آدم المدعو الخيرى يحملون رد الملك للمهـدى وفيه يأذن له بدخول داره وارشدوه للطريق حتى الزمزميةالتى هى مورد ماء (فوله) ثم استـأذنوا فى الانصراف فأذن لهم • واقـام المهدى فى الزمزمية عدة أيام بسبب نزول أمطار غزيرة واثناء اقامته فيها عاد اليه الوزير الخيرى ومعه قاضى تقلى القاضى ميرغنى وعمر ولد الملك ومحمد

الزيبق ولد الملك ومعهم ما ينـوف عن الستين فارسا فقابلهم المهـدى باستعراض كبـير وبايعوه وبلغوه رسـالة من الملك يخبره فيهـا أن محمد سعيد باشا (١٤) « جراب الفول » تحرك من الابيض فى ستـة آلاف عسكرى مقتفيا أثره وان الملك يستحسن أن يرحل المهدى مـن الزمزمية الى جبل آخر يدعى بطن أمك وهو جبل حصين اتخذه أهالى تقلى حصنا لهم فى ثوراتهم ضد الترك وعمل برأى الملك ورحل الى بطن أمك حيث جهزت العيوش والذبائح للمهدى وانصاره بأمر الملك ومكث المهدى هناك ثلاثة أيام اثناءها وصلت قوات من سعيد جبل ابو دوم فى حدود بلاد الملك فاعترضهم أحد الملوك ومنعهم من الدخول إلا بأذن من الملك آدم ام ديالو نفسه • وكان الملك نفسه قد حشد جيوشه فى حدود بلاده لمنع الترك الدخول اليها •

ونصح أولاد اودون الهبانى محمد سعيد باشا بألا يحاول الدخول عنوة لان الملك اعد قوة عظيمـة لا قبـل لمحمد سعيد باشا بها وأبدوا استعدادهم لارشاده لطريق آخر يدخل به للقضاء على المهدى فى مكمنه فارشدوه لطريق الزمزمية فسلكه ووصلها فتصدى له الارباب الخـيرى وزير الملك والقاضى ميرغنى وبلغاه استياءهما من دخوله دارهم بدون اذن من الملك فطلب منهما ان يبيتا معه الليل وسيخبرهما برده صباحا فرضيا وارسلا ليلا للعربان المحيطين بالمكان ليصعدوا الجبال ويطلقوا نيران بنادقهم فكان لصداها دوى عظيم ولما سأل محمد سعيد باشا عن الامر ابلغاه أن المهدى يستعرض جيشه ويستعد للقائه كما ابلغاه انهما منعا المهدى من اثارة حرب داخل دارهم • وفى الصباح اراد محمد سعيد باشا تنظيف طبنجيته فخرجت منها رصاصة اصابه فى عينه شىء منها فتشاءم وضباطه من هذا الحادث وأشاروا عليه بالخـروج من بين هذه الجبـال حتى لا يفاجئه المهدى وهو بهذه الحال ولم يتركه الوزير يخرج بدون أن يدفع غرامة لدخوله دار الملك بدون اذن منه فدفع له ألف ريال وخرج عـن

طريق جبل الفحل وعاد الوزير والقاضى للمهدى فاخبراه بما حصل فتعقب المهدى محمد سعيد ولحقته بعض خيول المهدى بعد أن تعدى جبل الفحل وحصلت بينه وبينها مناوشة وغنموا منه خمسة جمال محملة بالقسمات والتعيينات الغذائية الاخرى وأسروا ثلاثة من رجاله وعادوا مع المهدى « لبطن أمك »

لم يرض عمر ولد الملك عن تصرف الوزير والقاضى وعاتبهما على ترك محمد سعيد باشا ينصرف دون أن يخبرا المهدى بمكانه ليقضى عليه فاعتذرا للملك بانهمالم يتركاه ينصرف إلابعد أن غرماه الف ريال ابرزاها للملك ونصح الملك أن يرحل المهدى لجبل النقارة حيث اقام شهرا كاملا بسبب غزارة الامطار وتعذر السير ثم تحرك المهدى قاصدا قدير (١٥)ومعه أولاد الملك آدم . وعاد اولاد الملك بعد أن خرج المهدى من حدود دارهم وعين عمر ولد الملك اميرا على تقلى . وعاد ابنا الملك عمر والزيبق لمقابلة والدهما الملك الذى عين ابنه الزيبق رئيسا لجبل التمام خلفا لاخيه عمر واذن لعمر بالعودة لمصاحبة المهدى .

وصل المهدى جبل كرن بعد يومين من قيامه من جبل النقاره واقام فيه نحو اسبوع بسبب نزول الامطار وانتظارا للسيد طه محمد الذى كان متغيبا بالابيض . وفى جبل كرن أتاه أولاد نور الدين من رفاعه وهم محمد أحمد ساله ومحمد الملك ساله ومحمد ولد حسن وتحرك المهدى من جبل كرن ونزل محلا يدعى الودى فأقام فيه ثلاثة أيام حتى خفت مياه الخور الموجود بذلك المكان وأمر الناس بالاستعداد لمواصلة السير لجبل الجرادة فى صباح اليوم الرابع وفى ذلك اليوم جاءه رسول من قبل المختار الكنانى رئيس جبل الجرادة وهو رجل عالم وقدوة هناك وكان يقول فى رسالته للمهدى : « انك تزعم انك المهدى المنتظر وانك حاربت دولة الترك وهم يقتفون اثرك الآن وكان الاولى بك أن تنتظرهم

فى ديارك حتى تنتصر عليهم ولذا فاحذر أن تمر بديارنا ، واعلم بانك اذا دخلت ديارنا فاننا سنحاربك » لهذا أمر المهدى جيشه بتأجيل الرحيل وكتب ردا للمختار أرسله مع رسوله وأرسل معه أحمد محمد خير والطايف ولد العجوز بخطابين أحدهما للفكى المختار ولد الكنانى وآخر للملك ناصر مك قدير • وعاد رسولا المهدى فأخبراه بأن الفكى المختار لم ينثن عن عزمه وما زال يتوعد بالحرب واما الملك ناصر فرحب بقدوم المهدى لدياره وأبدى استعداده لمناصرته• ولماكان الطريق الوحيدلدخول ديار الملك ناصر يمر بدار الفكى المختار عزم المهدى على محاربته فترك العوائل بالودى وسار بالجيش لجبل الجراده فنزل فى صدر الجبل قريبا من حلة الجرادة وأمامه جبل السدادة •

وبينما كان المهدى يشاور اصحابه فى ارسال انذار آخر للفكى المختار جاءته كشافة من فرسانه معها اربعة اسرى من أهالى الجرادة قبضوهم فى مزارعهم وتبين للمهدى أن احد الاسرى الاربعة هو الفكى المختار نفسه فسأل المجتمعين رأيهم فيه فأشاروا عليه بقتله أو حبسه حتى ينتهى الامر ولكن المهدى رأى أن يؤمنه وأن يأخذ منه عهدا بالتعاون معه فعاهد المهدى على أن يسرح جيوشه ويعود للمهدى صباح اليوم التالى ومعه أعيان قومه • وعاد لقومه فجهز آنية كبيرة « براما » ملأها ماء وسما وارسلها لجيش المهدى وغاب فلم يعد وانتظره المهدى حتى غربت الشمس ذلك اليوم وكان يوم جمعة فاستعرض المهدى جيشه كعادته فى كل يوم جمعه وبينما كان الجيش فى عرضته رأى رؤس الجبال مليئة بالجيش والخيول وهى زاحفة لحرب المهدى وفى مقدمتها الفكى المختار نفسه قادما من الجهة الشمالية لجيش المهدى • وكان مع الفكى المختار رجال مشهورون بالمهارة فى استعمال السلاح النارى قدموا من كردفان للصيد منهم محمد البصير وأحمد الطليعه وبدوى ابو شلوخ وادريس الساير فاخفاهم فى القرية • ولم يكن المهدى متأكدا من خيانة

الفَكى المختار للعهد فاستحسن السيد محمد أخو المهدى اختبار الفكى المختار لمعرفة نواياه فأمر اربعة من الفرسان أن يركبوا خيلهم مسرعين فى حركة استعراضية حتى مقدمة جيش الفكى المختار فعاجلهم رجال الفكى المختار بأطلاق النار وعادت بعض خيولهم بدون فرسانها وارسل السيد محمد للمهدى يبلغه نبأ خيانة الفكى المختار فأمر المهدى بالضرب والزحف عليهوكانت فى ذلكنهايته فقتلوحز عبد الرحمنولد محمودرأسه واعلن موته للناس فانهزم جيشه ودخل المهدى الجرادةواسر الاربعة المختبئين المذكورين آنفا وغنمت عيوش كثيرة • وجاء اخوان المختار واحدهم يسمى الفاضل فطلبوا العفو والامان فعفى المهدى عنهم وجعل الفاضل اميرا عليهم وامر بارجاع امتعة أهالى الجرادة اليهم ورغم ذلك خان الفاضل عهده مع المهدى وانضم لجيش ولد الشلالى فيما بعد • بعد أن فرغ المهدى من أمر الجرادة ارسللعوائل فاحضرت منالودى وارسل للملك ناصر مبلغا اياه قصة الفكى المختار وهزيمته واقام بالجرادة ثلاثة أيام ثم قام متوجها لقدير حيث قابله الملك ناصر اطيب مقابلة وكان ذلك فى ذى العقدة عام ١٢٩٩ هجرية • وبعد عشرةايام من وصوله حل ذو الحجة فعيَّد المهدى بقدير •

المهدى فى قدير :

أرسل المهدى لسكان الجبال المجاورة فقدموا لمبايعته ورجعوا ثم عادوا ليصلوا العيد معه وعلى رأسهم مكوكهم ورؤساؤهم ثم شهدوا الاستعراضات المتعددة التى أقامها المهدى لجيشه بمناسبة العيد وبقى المهدى فى قدير طيلة شهر ذى الحجة • وفى ١٧ محرم عام ١٣٠٠ هجرية الموافق ٢٩ ديسمبر ١٨٨١ ميلادية جاء راشد بك أيمن مدير فشوده بجيوشه لقتال المهدى دون سابق انذار ولم يبلغ المهدى خبره حتى جاءته رابحه الكنانية وقد قامت من فنقر فسارت النهار كله وثلثى الليل فقابلته

فى الثلث الاخير وبلغته عن أمر راشد بك وجيشه وعلم المهدى مخادعة الملك ناصر وانضمامه اليهم وكتمانه الخبر عنهم وخرج المهـدى فى الثلث الاخير وأمر بالنقاره فضربت ضربات الحرب واجتمـع الناس فأخبرهم المهدى خبر راشد باشا وامرهم بالاستعداد ٠

وكان جيش راشد باشا يتكـون من ١٦٠٠ الى ١٧٠٠ عسكرى يعاونه مك الشلك ومعه ٧٠٠ مقاتل وقد سهل مهمته مك فنقر فأمر قومه بان يكتموا الخبر عن المهدى ليأخذه بغتة ويقبض عليه أو يقضى عليـه وعلى جيشه ٠

وفى الصباح أمر المهدى باستعراض الجيش وكان اليوم خميسـا ويقدر جيشه بين ٧٠٠ الى ٨٠٠ مقاتل بعضهم خياله وقضوا كـل يوم الخميس وقبل فجر الجمعة خرج الامام المهدى فتجمع الناس حوله فقال لهم : « هل منكم من يبيع نفسه لله ؟ » فقـام على ود عويضه وأحمد ناكلوه والضاوى وأجـابوا بنعم وكان الاولان يركبان فرسـين وامـا الضاوى فكان راجلا وخبيرا باستعمال السلاح النارى لكنه لا يملك الا حربة فأمر المهدى أحمد ولد الامام الحـلاوى الذى كان أمينـا لمخزن السلاح بأن يحضر بندقية طيبه بذخيرتها الكافية فاحضرت ٠ وبينما كان المهدى يتحدث الى المجتمعين حوله حضر رسل من قبل مك قدير فيهم وزير الملك وأحد حرسه وبلغوا المهدى بانهم جاءتهم اخبار البارحة بـأن عدوا مغيراً على ديارهم فى طريقه اليهم فعلموا أن هذا العدو يريد المهدى وقد وصلتهم الاخبار عن طريق النضيرة ، وهى نار توقد على قمة كـل جبل فى حالة مرور عدو وكل رئيس يرى النارفى الجبل المجاور له يوقدها على قمة جبله وهكذا حتى يصل الخبر للجبل الرئيسى ٠ وأخبرهم المهدى بأنه علم الخبر منذ البارحة وانه فى ساعته تلك يعد طلائعه ، فأمر الوزير الحارس الذى معه أن يذهب مع الطليعة دليلا فخرجت الطليعة وصلى

المهدى الفجر فى جماعة ورجع الوزير لمك قدير • وبينما كان المهدى يدعو بالباقيات الصالحات عادت الطليعة وهى تحمل اسلابا من جيش راشد باشا وكانت ملابسا ملطخة بالدم وطرابيش فرماها الضاوى أمام المهدى واطلق رصاصة من بندقيته فلم يلتفت اليه المهدى الى ان اكمل دعواته ورفع يده خاتما لها ثم قال بعد ان نظر الى الاسلاب « الله اكبر ، الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليم واتقوا الله •• الآية » وكررها ثلاثا ثم سأل الطليعة عن تفصيلات الحادث فأخبروه بانهم بينما كانوا سائرين سمعوا حركة استبان لهم انها من بعض عساكر الترك وكانوا أربعة فاصاب الضاوى منهم اثنين وهرب منهم اثنان وهذه اسلابهما فمنحه المهدى تلك الاسلاب الا البندقيتين فقد سلمتا لامين مخازن السلاح وتنازل الضاوى عن الاسلاب لاخوانه •

وبعد حضور الطليعة اشتغل الانصار بقراءة الراتب وخرج الرعاة مع بهائمهم فلم يلبثوا أن عادوا يبلغون المهدى بأن جيش الترك قد وصل خور مراج قريبا من معسكر المهدى فأمر المهدى بالنقارة فضربت واجتمع الناس ونظموا للقتال أمام القرية وكانت عادة المهدى أن يضع المشاة فى القلب صفوفا كأنهم فى صلاة ويضع الفرسان فى الجناحين فيدخل المشاة اولا فى العدو طعنا وضربا حتى اذا انهزم تناولته الخيول من اليمين والشمال •وخرج المهدى وأمر الخليفة على ولد حلو أن يسير فى يمينه ويتلو سورة « براءة من الله ورسوله » حتى يصل الحشد الى مكان العدو فاندفع الخليفة على يتلو بصوت جهورى ووقف المهدى أمام الجيش ثم القى اليهم بتعليماته الاخيرة فقال لهم : « لا تبدءوا العدو بالضرب حتى يبدأكم به فاذا بدأكم به قولوا جميعا ، الله اكبر ، اللهم انت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك ، وانما تقتلهم انت ، ثم أدخلوا فيهم •

والتفت الفئتان وكان راشد باشا أول المقتولين كما قتل حامل رايته وكاتبه ابراهيم موسى الركابي الشهير وانهزم جيش راشد باشا وظلت الانصار تطارده كل ضحى يوم الجمعة فافنوه عن آخره ولم ينج منه الا ضابط واحد يدعى ثابت وصل فشوده مختل العقل اذ عندما وصل فشوده نزل عن حصانه وصار يقبل حوافرها وقيل ان المسئولين هناك قتلوه عندما رأوا حاله ، ذلك حتى لا يشيع الرعب فى نفوس الاهالى .

قصة مطاردة :

كان فى جيش راشد باشا خمسة خيول أحدها حصان راشد باشا نفسه وحصان كيكون مك الشلك وحصان ابراهيم موسى حامل الراية وحصان سعد الشايقى وحصان الجاويش فضل المولى بلاوى . وكان خليفة المهدى السيد عبد الله يركب حصانا مكاويا حرانا ، فرأى حصان سعد الشايقى اثناء القتال فاعجبه وكان حصانا دنقلاويا طويلا من الخيول الجياد فطارد صاحبه ليقتله ويستولى عليه وما كاد يلحق به حتى اخرج مسدسه فأفرغ رصاصه على خليفة الصديق فاصابه فى كفه اليمنى فحول خليفة المهدى حربته ليده اليسرى ثم غرسها فيه فخر صريعا واجهز عليه وركب حصانه وقاد حصان سعد الشايقى فلحق بالمهدى وكانت المعركة قد انتهت وافتقده المهدى فأخذ يسأل عنه وارسل من يبحث عنه فى ساحة القتال وانتظر فى المسجد حتى عاد خليفته واخبره خبر سعد الشايقى فدعا له المهدى بالخير .

خبر المتخلفين :

بعد المعركة علم المهدى ان اهالى الجبال « القبلية » كمنوا بين جبل الاغيبش وماسه ولم يشتركوا معه فى المعركة وكذلك تخلف أهالى الجبال « الصعدانية » الجنوبية فى كورى فسألهم المهدى ما أتى بهم ؟ فأجابوه بأنهم اتوا لمناصرته فرد عليهم بأنهم لو قدموا لمناصرته لما تخلفوا عن المعركة

لانهم كانوا فى موقع قريب من ساحة القتال • وكان المقصود من حركتهم انهم كانوا يتوقعون انتصار راشد ايمن باشا فينتهزون الفرصة ليغنموا ابقار دغيم وكنانه من اصحاب المهدى وكانت بقرهم تلك ترسل امام الجيش فتكسر القصب والعشب الذى يعرقل مسير الجيش فتمهد الطريق للراجلين والراكبين على الخيول • واعلن اعيان اولئك المتخلفين توبتهم وطلبوا من المهدى العفو والصفح وتعهدوا بأن يلحقوا الفارين من رجال راشد باشا فلحقوهم بعد ثلاثة أيام وقبضوا خمسين منهم عادوا بهم للمهدى فأمر المهدى بقتل الاسرى الخمسين ولم يعف عن الذين اسروهم من المتخلفين لعلمه بانهم ما زالوا يضمرون الخيانة له فعادوا دون أن يظفروا برضاه وأمانه •

تطهير الجبال :

بعد أن انتهى المهدى من أمر راشد باشا فى محرم التفت لتطهير الجبال فغزا جبل فنقر فى شهر ربيع الاول فاستسلم الملك تيفرا مك فنقر وكان رجلا ضخم الجسم طويل القامة أتى المهدى بكل الدروع والخيول التى فى حوزته وطلب ان يعفى من القتل ووعد أن يكون فى عون المهدى والا يخونه كما خانه سالفا يوم قدم مع زعماء الجبال فبايع المهدى وعاد فخانه عندما قدم راشد باشا لقتال المهدى فسهل تحرك جيش راشد داخل دياره وكتم خبره عن المهدى فعفى عنه المهدى وأمره على فنقر ورجع لقدير وأمر السيد محمود عبد القادر بالمرور على كل الجبال فمن قابله بالطاعة فرض عليه الجزية بقدر معلوم حسب حال بلاده وجعل أمر جمعها فى يد اعيانهم يؤدونها اليه ، ومن قابله بالعصيان قاتله حتى يرده للاذعان ومناصرة المهدية فسلخ السيد محمود عبد القادر كل شهر ربيع فى المرور على الجبال ثم لحق بالمهدى بعد أن اتم مهمته فوصل قدير فى أول ربيع ثانى حيث مكث المهدى حتى شهر جماد أول •

جردة الشلالى باشا (١٦) :

أتى المهدى خبر فى آخر جماد آخر بأن الحكومة أعدت قوة كبيرة بقيادة يوسف باشا الشلالى يساعده طه ابو صدر ومحمد سليمان الشايقى من حلفاية الملوك وعبد الله ولد دفع الله من كردفان وسلطان كنجاره وسلطان المسبعات الذين كانوا يحكمون الابيض من قبل سلطنة دار فور وعبد الهادى ولد صبرالدولابى وجبر الدار ابو سلامه من أولاد أوذون من هبانية شركيله • وكانت هذهالقوة تتكون من ثمانية عشر الف عسكرى فأخبر المهدى الانصار بالأمر •

وقيل أن يوسف باشا الشلالى كان يحمل مع جيشه مؤنا تكفيه ثلاث سنوات وكان ينوى أن يقيم فى الجرادة ويجعل منها مديرية تحت ادارته وقد استعد لذلك فأحضر معه كل شىء حتى تقاوى الخضروات وكل ما يلزم لانشاء المديرية •

أخذ المهدى يحرض الأنصار بالخطب والاستعراضات العسكرية وكان الملك آدم ام دبالو يرفع له أخبار الشلالى وقد عين المهدى عثمان ولد زلفه ومحمد حاج شرفى وأحمد ولد ناكلوه والفكى على وارسهلم للاقامة مع الملك آدم ليوصلوا للمهدى ما يستجد من أخبار • وعندما وصل الشلالى لفشوده عين المهدى طليعة أرسلها للملك تيفرا ملك جبل فنقر ليوافوه بالاخبار كذلك وهم ادريس محمد عم عبد الرحمن صغير واللحوى وآخر من الرزيقات يدعى الدود مولى نقراوى والضاوى وأحمد الطليعه وبقوا معه حتى وصلت مقدمة جيش الشلالى •

خيانة الملك تيفرا :

عندما وصلت مقدمة جيش الشلالى اتفق معهم الملك تيفرا وكشف لهم أمر طليعة المهدى وحاول تسليمها للشلالى فهرب منها الضاوى وأحمد

الطليعه بعد أن اثخنا بالجراح وقبض الآخرون وكان سبب نجاتهما انهما ذهبا ليسقيا فرسيهما فبلغهما أن الملك قبض على اخوانهما وبينما هما فى مكان الماء إذ جاءهما رسل الملك فقاوماهما وهربا ووصلا للمهدى فبلغاه أمر خيانة الملك تيفرا •

وعندما وصل يوسف باشا الشلالى لفنقر قدم اليه الملك تيفرا الاسرى الاربعة فراجعهم فى أمر ايمانهم بالمهدية فأجابه اربعتهم بانهم ليسوا علماء ولكن الله هداهم للايمان بالمهدى ومبايعته بالنفس والمال والولد وحاول تخويفهم بقوة الحكومة فلم يستجيبوا لتخوينه بل طلبوا منه أن يفعل بهم ما يريد فاستشار خاصته فى امرهم فاشاروا بقتلهم إلا محمد سليمان الشايقى فانه اشار باطلاقهم واستقر رأى الشلالى على قتلهم والتمثيل بهم فأمر بأدريس محمد الذى كان اغلظهم فى الاجابة عليه فطرح على جزع شجرة وقطعت اوصاله قطعة قطعة بفأس فبدأوا بيديه ثم برجليه ومازال يخاطب الشلالى بقارص القول الى أن قطع رأسه • وقد اعترض أحد العلماء ويسمى ولد النذير وكان مرافقا لجيش الشلالى لمراجعة المهدى ــ اعترض على مثل هذا النوع من القتل والتمثيل فلم يستمع الشلالى لنصحه وقد قتل الثلاثة الآخرون بمثل هذه الطريقة •وقد انبه محمد سليمان الشايقى على فعلته هذه مشيرا الى انه ادخل الوهن والخوف فى قلوب جيشه بما أظهر هؤلاء الاسرى الاربعة من شجاعة وتمسك بعقيدتهم وبما ابدوا من استهوان للدنيا فى سبيلها •

الشلالى يكاتب المهدى :

بعد قتل طليعة المهدى بثلاثة ايام كتب يوسف باشا الشلالى خطابه المشهور الذى يقول فيه للمهدى كيف ترسل الطلائع وانت المهدى والمهدى يعلم الغيب وها نحن قتلنا طلائعك وكيف تستعين بالبقارة الجهلاء •• الخ • وختم خطابه بتهديد شديد اللهجة بين فيه القوات التى

عينتها الحكومة معه وانواع المدافع التى معه والذخيرة التى فى حوزته وعدد الخيول التى تؤازره • وقد استلم المهدى خطابه فى اليوم الرابع لمقتل الطليعة فتلاه على رءوس الاشهاد وأثار به نفوس الانصار وتصايح الناس ان لا رد على هذا الخطاب إلا السيف وكان رد المهدى على تلك الصيحات ان لا بد من انذار قبل الحرب فكتب له رده وانذاره المشهور وهو أول انذار •

انذار المهدى للشلالى :

رد اليه المهدى بعد البسملة يقول : الحمد لله المنتقم القهار والصلاة على سيدنا محمد وآله الاخيار مع السلام وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدى بن السيد عبد الله الى يوسف حسن الشلالى ومن معه من الجموع • وصل الينا كتابك وصار معلوما لدينا وقوفكم على الانذار ومجاهرتكم بالانكار وكان قصدنا أن نضرب عن افادتكم صفحا ونطوى دون اجابتكم كشحا ولكن أردنا أن نبين لكم غلطتكم فيما ادعيتموه بالبراهين السواطع •

أما قولك أن ارسال الطلائع ينافى دعوى المهدية لان علم الغيب ضرورى لها فنقول لك هذا جهل منك بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام فانه كان يرسل الطلائع كحذيفة اليمانى وبلال والزبير بن العوام فلم يكن ذلك منافيا لرسالته صلى الله عليه وسلم فكيف يكون منافيا لمهديتنا ؟ وقلتم اننا قتلنا جملة من المتوطنين بهذا المكان ظلما وعدوانا فهذا كذب صريح لاننا لم نقتل إلا اهل جبل الجرادة بعد أن كذبونا وحاربونا وقد اخبرنى النبى صلى الله عليه وسلم بأن كل من شك فى مهديتى كافر ودمه مهدور وماله واولاده غنيمة للمسلمين ولما انقاد من بقى منهم لحكمنا رددنا عليهم اموالهم من ايدى اصحابنا مع انها حلال لهم • وقلتم اننا قتلنا العساكر غدرا فى الواقعتين « أبا وراشد بك » وهو قول باطل لاننا ما

بدأناهم بالقتل بل هم الذين بدءونا بالقتـــال ولما اجتمعت ارواحهم فى الآخرة شكونى الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا إن المهدى قتلنا بغير انذار فقلت يا ربى انذرتهم فلم يسمعوا لى واتبعوا ساداتهم وعلماءهم وشهد على صحة قولى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقال أن المهـــدى انذركم فلم تسمعوا له واتبعتم سادتكم وعلماءكم فأضلوكم السبيـــل وأمر بهم فسيقوا الى جهنـــم • وقلتم ان هؤلاء العساكر ما ارسلتهـــم الحكومة لحربنا بل ليقفوا على ما عندنا من الادلة وهو باطل ايضا لان الحكومة لو كانت تقصد ذلك لمـــا ارسلت العساكر الاغبياء واعطتهـــم السلاح النارى بل كانت ارسلت العلماء وأهل الدراية بهذا الشـــأن • وقولكم قوموا وتوجهوا الى مكة المكرمة محل المهدية فنقول لكم اعلموا ان توجهنا اليها يكون بأمر النبى صلى الله عليه وسلم فى الـــوقت الذى يختاره الله فأننى عبد مأمور وقد اجلسنى صلى الله عليه وسلم على كرسيه وقال لى أنت المهدى المنتظر ومن شك فيك فقد كفر وقال لى ان الترك كفار وهم اشد الناس كفرا لانهم ساعون فى اطفاء نور الله ويأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره الكافرون • وقلتم اطلبوا من الله اظهار كرامة تدل على مهديتكم فاعلموا اننا لا نطلب ذلـــك لقوله تعالى « ولو انزلنا ملكا لقضى الامر » ومع ذلك اظهر الله كرامة لمهديتنا حيث وجد اسمنا منقوشا على ورق الاشجار وبيض الدجاج ونحن لا نطلب من الله اظهار كرامة لمهديتنا بل نقف معه عند حد عبوديتنا فان اظهر لنا كرامة كانت مشيئته ولحكمـــة يعلمها سبحانه وتعالى ونجهلها وقلتم ما اتبعنا غير الجهلاء وأراذل البقارة فأعلم ان اتباع الرســـل عليهم الصلاة والسلام كانوا كذلك وقد قـــال تعالى حاكيا عن قوم نوح : « وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا •• الآية » ولا بد ان يجعلك الله ومن معك غنيمة للبقارة • وقلت لا تغتر باسمـــاعيل الامـــين ونواى فاعلم اننى منصور على كل من ناوأنى من أهل الثقلين وقد اخبرنى النبى صلى الله

عليه وسلم بأنه يحضر بذاته الكريمة امام جيشى وان عزرائيل ملك الموت عليه السلام يحمل راية سوداءامام جيشى • وقلتم انكم مأجورون على ذلك ولا بد أن يوقعكم الله بأيدينا وتذوقوا العذاب بما صددتم عن سبيل الله • وقلتم ان افندينا ولى النعم امركم بعدم محاربتنا حتى تتعدى الحدود وهذا قول لا يفوه به غير ضعفاء العقول لاننا تعدينا حدودكم وخالفنا مقصودكم من يوم قتلنا عساكركم بأبا وبعد هذا ليس بيننا وبينكم خطاب غير الحرب والطعان والسيف والسنان والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى ولعنةالله على من كذب وتولى•

وأرسل المهدى رده هذا مع نفس الرسول الذى جاء يحمل خطاب يوسف الشلالى ويسمى أحمد الكنانى الفنقراوى ومعه اثنان من العربان أولاد حميد الذين تحت رئاسة جبر الدار ابو سلا •

وتحرك الشلالى لمكان يسمى شق الجحر فأمر المهدى مائة وخمسين فارسا من جملة فرسانه الاربعمائة ان يسيروا لشق الجحر لمناوشة الشلالى الدى كانت خيوله تبلغ الاربعة آلاف • فخرج هؤلاء الفرسان المائة وخمسون بقيادة نواى الحازمى وابى هدايه عم المهدى وعبد الرحمن ولد محمود • وفى شق الجحر وجدوا جيش الشلالى مشغولا باعداد خيامه فأغاروا على طرف المعسكر فاستولوا على خمسة وعشرين جملا وأسروا عسكريين وعادوا الى المهدى •

خيانة اخوان الفكى المختار :

اسرع اخوان الفكى المختار لشق الجحر حيث قابلوا يوسف باشا الشلالى ناكثين عهدهم مع المهدى وعرفوه بخبر أخيهم مع المهدى وعاهدوه على التعاون معه وتعهدوا بجمع العيوش له من الجبال المجاورة واشاروا عليه بالمسير الى جبل الجرادة لانه حصين فسار معهم الى

الجرادة فوصله يوم السبت وبنى فيه زريبة كبيرة جعل لها أربعة أبواب وحفر بداخلها متراسا (١٧) ووضع عند كل باب مدفعين وصاروخا • وفي يوم الاحد أرسل طه ابا صدر مع الفاضل الكناني ليطمئن أهالي الجبال المجاورة ويؤمنهم فقبلوا أمانته الا جبل الفكي على الكناني وهو من اقارب الفكي المختار لما بينه وبين الفكي المختار من خصومات قديمة واشار الفاضل على طه ابي صدر بقتل الفكي على لانه سيفسد عليهما خطتهما بابلاغ خبرهما للمهدي في ليل ذلك اليوم وأمر طه ابو صدر جنده بأطلاق النار وكتبت له السلامة فلم يمت في ذلك الموقف واصيب ثلاثة من عساكر طه ابي صدر وهرب هو والفاضل وبقية جماعته وسرى الفكي على الليل حتى أدرك المهدي وأبلغه الخبر وكان ذلك في مساء الأحد أول رجب عام ١٢٩٩ هجرية •

الزحف نحو الجرادة :

أمر المهدي بالزحف نحو جبل الجرادة تلك الليلة ليصبحوا الشلالي بالحرب يوم الاثنين وزحف جيش المهدي فبات عند صدر جبل الجرادة بحيث جعلوا جبل السدادة بينهم وبين جيش الشلالي • وكان امراء رايات المهدي هم السيد محمد عبد الله ويتبعه الشيخ الامين محمد وعبد الله ولد النور وكان أمير راية دغيم هوموسى ولد حلو وراية خليفة الصديق يتبعها كل أهالي الغرب وأميرها يعقوب محمد •

وأذن المؤذن للصلاة عند أول طلوع الفجر وطلب المهدي من رجاله ان يعفو بعضهم عن بعض ومن عليه دين فليوص اخوانه بكيفية سداده إن كان له مال ومن لا مال له يسدد دينه من بيت المال ثم امرهم ان يحمل كل منهم سبعة احجار صغيرة يرميها واحدا واحدا على الزريبة عندما يقترب منها ويقول : « اللهم انت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم انت » ثم بعد ذلك يكبرون ويدخلون الزريبة ، ثم أمر

بالصلاة فاقيمت وصلى بهم والتفت بعد السلام الى السيد محمد وأمره بأن يأخذ رايته ويحرك جيشه ثم بعد تحركه أمر الامير موسى ولد حلو بالتحرك خلفه ثم أمر الفرسان أن يتحركوا خلف الجيش وجعل عليهم نواى الحازمى أميرا من جهة الشمال ودفع الله ولد تور ام بوك أميرا من جهة اليمين فزحف الجيش بهذا النظام فى يوم الاثنين ٤ رجب عام ١٢٩٩ هجرية الموافق ٢٢ مايو ١٨٨٢ ميلادية ٠

اقتحام زريبة الشلالى :

اثناء زحف الجيش اختلف ترتيبه بسبب الغابات وتعرج الطرق فاصبحت راية السيد محمد فى الجهة الشمالية وراية دغيم فى الجهة الشرقية والراية الزرقاء فى الجهة الجنوبيةثم خرج اثنا عشر فارسا وحملوا على الزريبة دون أمر من قيادتهم وفيهم ابو هداية والفكى حبيب الله من دغيم والسيد حامد عبد الله أخو المهدى والضاوى وعبد الرحمن محمود وآخرون وعندما اقتربوامن الزريبة ضربوهم بالمدافع فسقط خمسة منهم وهم ابو هداية والفكى حبيب الله والضاوى والطايف وولد العجوز والسيد حامد ٠

وحملت راية السيد محمد بعد ذلك على الزريبة فداسها الانصار بأقدامهم ودخلوها من الجهة ألتى يحميها طه ابو صدر ومحمد سليمان الشايقى فاعملوافيهم السيف والحربة والسكين فانهزموا امامهم وقتل طه ابو صدر قرب نحاسه ومن ادهش ما قيل ان احدى نسائه اخذت تضرب النحاس وتشجع العساكر وتضرب بطبنجتها كل من يليها حتى قتلها عبد المنعم محمد « صقر » من دغيم ٠ وحملت راية دغيم فواجهت المكان الذى يحميه يوسف باشا الشلالى نفسه فانهزم امامها لجهة الشرق ولحقت الخيول بالمنهزمين وبقى من جيش الشلالى عبد الله ولد دفع الله فأمر

جيشه بان يرقد على الارض فرقدوا الى ان مرت بهم راية السيد محمد وراية دغيم وكمن عبد الله ولد دفع الله الى أن جاءت الراية الزرقاء يقودها الامير يعقوب وكان ساعتئذ قد اصلح الزريبة ورتب المدافع فاصلى الراية الزرقاء نارا حامية فقتل بعضها وهزم بقيتها وكان يشجع جيشه فئة من العاهرات يزغردن ويضربن « دلاليكهن »

واسرع الامير أحمد المكاشفى للمهدى فأخبره بالامر فأرسل المهدى الى راية الامير محمود عبد القادر التى كانت تحرس معسكر الانصار لتحضر حالا وقام المهدى نفسه متوجها للزريبة ، وقرب الزرايبة نزل المهدى ليصلى ركعتين وبينما هو يصلى أخذ عبد الله ولد دفع الله يطلق نيران مدافعه على المهدى ومن معه وهجم على الزريبة المقدم عمر السروراب ومعه آخرون فقتلوا على شوكها وما زال المهدى يصلى وقنابل المدافع تقع من حوله حتى صار المكان كله حفرا وكانت صلاته تلك طويلة فكان عندما يسجد يغطيه دخان القنابل والغبار حتى يظن الواقفون انه قد قتل ثم يقوم مكبرا وهكذا حتى وصلت راية السيد محمود واقتحمت الزريبة ولحقتها الراية الزرقاء ثم ادرك المعركة الثانية فى الزريبة السيد محمد ودغيم والخياله الذين كانوا يطاردون المنهزمين واقتحمت الزريبة من جميع الجهات واعملوا السلاح الابيض فى رجال ولد دفع الله وقتل هو نفسه بجانب مدفعه ٠

وانتهت المعركة بهزيمة جيش الشلالى ولم ينج منه إلا افراد قلائل مثل محمد على ولد البصير وبعض الطبجية وانتهت المعركة عند الساعة الواحدة والنصف أو الثانية ظهرا ٠ وكان جيش المهدى مكونا من ١٧٠٠ من أولادالبلد قتل منهم ٢٥٠ رجلا اما تعدادرايتى دغيم والراية الزرقاءفغير معروف لكثرتهم ولم يقتل منهم كثيرون لانهم كانوا يطاردون المنهزمين

صور من المعركة :

كان جيش ود الشلالي يتكون من ١٨٫٠٠٠ مقاتل وخيله بين اربعة آلاف وخمسة آلاف وقد ترك الهاربون خيولهم مسرجة دون أن يركبوها الا ثلاثة هم ولد البصير وعبد الهادى ولد صبر الذى قتله دفع الله ولد تور ام بوك وغنم حصانه وجبر الدار ناظر أولاد حميد، اما الشلالى نفسه فقد هرب جاريا مخلفا حصانه مسرجا وقد قتل الشلالى بعيدا عن مكان المعركة بمسافة كالتى بين كررى وامدرمان وقد لحقه يوسف ابو ضهير الكنانى فطعنه بحربة وقتله .

وقيل ان جيش الشلالى كان موثقا بعضه مع بعض حتى انه وجد أن ثلاثين الى اربعين ماتوامربوطين مع بعضهم البعض ليتكاتفوا ويصبروا على القتال .

بعد المعركة أمر المهدى أن يدفن كل ثلاثة أو اربعة من الشهداء فى قبر واحد وكان عددهم ثلثمائة وخمسين شهيدا غير الجرحى واشهر الشهداء ابو هدايه محمد مزمل والسيد حامد عبد الله وعبد الرحمن حاج على ومحمد ولد طويل ومحمد احمدساله ومحمد ولد حسن والشيخ مهله وعبد الجليل ولد حلو وعمر محمد وطه اورباوى .

جمع وتقسيم الغنائم :

بعد نهاية المعركة أمر المهدى السيد محمد عبد الكريم والشيخ الامين وعبد الله ولد النور وضى الدين زلفه وأحمد ولد جباره أن يحافظوا على جميع الغنائم ورجع الامام المهدى لقدير محمولة معه بعض المدافع والذخيرة والخيول ، اما بقية الاسلحة والذخيرة فقد جمعت مع الغنائم الكثيرة الاخرى وفيها كل الاصناف بما فى ذلك الملح الذى كان

مفقودا عند الانصار وفيها كثير من المـأكولات لان الشلالى كما قدمنا كان ينوى تأسيس مديرية كاملة فى الجبال ٠

بعد جمع الغنائم وتقسيمها اخرج الخمس مخصصا للامام المهدى وقسمت الاخماس الاربعة الاخرى على الجيش وكان حصان عبد الله ولد دفع الله المسمى « عصار » قد احضر لخليفة الصديق الخليفه عبد الله قبل تقسيم الغنائم وكان جوادا مشهورا بالجودة والسبق وجمال الصورة فتحدث الناس بانه لم يدخل فى القسمة وان خليفه الصديق استولى عليه بدون وجه حق فرأوا أخذه منه فأرسل السيد محمد عبد الله يطلب ذلك الحصان من الخليفه عبد الله فسلمه لمندوب السيد محمد عبد الله حالا ثم ارسل يبلغ المهدى بأمره فأمره المهدى أن يرد الحصان لخليفة الصديق وارسل لهم حصانا من الخمس الخاص به ولم يضق صدر واحد بالآخر رغم ان المشكلة كانت حساسة ودقيقة ٠

ظل ذلك الحصان عند خليفة المهدى حتى يوم خروجه من امدرمان أما حصان طه ابى صدر المشهور الذى كان ضمن خمس المهدى فقد أعطى لمحمد احمد ولد البدرى ومعه مملوكان وجارية ٠

مكاتبة أهالى كردفان ودار فور :

أقام المهدى فى قدير كل شهرى رجب وشعبان وخلالهما كاتب أهالى الابيض كما كاتب جميع رؤساء القبائل بكردفان من عرب وأولاد بلد (١٨) وقد عين عبد الله ولد النور (١٩) لاستنفار حمر والسمانى عبد الواحد الحلاوى لاستنفار قبائل دار حامد وعين الامير ابو انفضالى وهو من أمراء حمر ليرافق عبد الله ولد النور ٠ وكذلك عين الشيخ بخيت الحمراوى لاستنهاض الحمر كما عين مادبو (٢٠) ناظر الرزيقات لاشعال المهدية فى دار فور ٠

وتوجه هؤلاء الامراء لقبائلهم باثين فيها دعوة المهدية فاذعنت لهم وحملت السلاح فى وجه الحكومة كل فى منطقتهومن ذلك ان قبائل دار فور هاجمت مراكز الحكومة بعد وصول مادبو لشكا • واستطاع مكى ولد ابراهيم ان يجمع حمر حوله ويطرد البكباشى نظيم افندى من ابى زبد وكان هناك يجمع الضرائب من الاهالى ، ففر الى « ابى حراز » حيث احتمى بمحمد ولد رحمه الشايقى محافظ « ابو حراز »

وكان من ضمن الذين استجابوا لنداء الجهاد الشريف أحمد ولد طه من مشايخ الطريقة السمانية شرقى النيل الأزرق بين ابى حراز ورفاعه فاجتمع حوله خلق كثير من سكان تلك الجهة • وكان جيكلر باشا بعد أن ارسل امره الى صالح بك الملك لنجدة سنار خرج بنفسه من الخرطوم يقود قوة عسكرية وطلب من القلابات ان ترسل نجدة لتوافيه فى ابى حراز . فلما وصل قرب الشرفه بلغه أمر قيام الشريف بدعوةالمهدى فارسل اليه الملك يوسف من سناجق الشايقية ومعه قوة عسكرية فلقيهم الشريف أحمد طه ورجاله فهزموهم وقتلوهم فنجا بعض العساكر فرارا واخبر جيكلر بما حدث فانتظر هذاحتى وافته النجدة فارسل قوةاخرى للشريف بقيادة سرور افندى ، فلما التقت قوات الحكومة بقوات الشريف فى ٤ مايو ١٨٨٢ اندحرت قوات الحكومة وكان النصر للانصار •

ضاقت الارض اذ ذاك بجيكلر واستنفر عوض الكريم بك أبا سن زعيم الشكرية فحضر اليه بجيش كبير من عربانه فسارت قوات الحكومة والشكرية زاحفة الى مقر الشريف أحمد ولد طـه • فالتقى الجمعان فى معركة عنيفة قاتل فيها الشريف ومن معه قتالا شديدا حتى استشهدوا •

ولما نعى الشريف أحمد ولد طه للمهدى وكان اذا ذاك فى قدير تألم لموته الما شديدا وكتب للشيخ عوض الكريم أبى سن يتوعده لتلك

الفعلة قائلا : « قتلتم الشريف أحمد ولد طه خذلانا للدين ونصرة للكافرين ولتعلمن نبأه بعد حين »

ثورة في دار البديرية :

وبث منشورات المهدية فى دار البديرية فاذعن البديرية لامر المهدية وتكاتفوا مع الحمر وقاتلوا البكباشى نظيم افندى ومحمد رحمه فى ابى حراز ففرا ليلا الى الابيض وزحف البديرية برئاسة حامد ولد السنجق للبركه وسار حمر برئاسة مكى ولد ابراهيم ولد اسماعيل الى اسحف .

وبعد وصول فلول قوات نظيم افندى للابيض عينت الحكومة حملة برئاسة البكباشى محمود افندى حسين وعمر محمد دفع الله من آعيان الابيض رئيسا للمتطوعين وزحفا للبركة حيث التقيا بالبديرية وكانت الدائرة عليهما وقتل عمر محمد دفع الله نفسه وعاد البكباشى محمود افندى حسن الى الابيض منهزما .

استسلام اسحف :

واما مكى ولد ابراهيم ومن معه من حمر فقد زحفوا الى اسحف واستلموها من النور بك عنقره ومن معه عنوة فانهزم لباره ، واستلم مكى غنائم كثيرة بينها النحاس المنصورة التى كانت تحت امرة النور بك عنقره الذى غنمها من سلاطين الفور فى حرب الزبير باشا .

الزحف على باره :

وزحف السمانى الحلاوى ومن معه من قبائل دار حامد على باره وكان بها الصاغ سرور افندى بهجت والاميرالاى على بك شريف والنور بك عنقره والسنجق أحمد محمد خير الشايقى وثلاثة من جماعة أحمد بك دفع اللهوكثير من الاعيان المتطوعين ولما اقتربمنهم السمانى الحلاوى

احتموا بحصن كبير فى داخل المدينة واصلوا السمانى ورجاله نارا حامية فقتلوا نحو خمسة آلاف من قبائل دار حامد وانهزم السمانى ومن معه من الجموع الى شتوره وانضموا لمكى ولد ابراهيم وهناك جاءهم عبد الله ولد النور وابو ام فضالى مرسولين من المهدى لرفع الروح المعنوية فى تلك القبائل •

وتابعت حامية باره جموع السمانى المنهزمة الى شتوره حيث اجتمعت معها جموع المكى واقتتل الجمعان مع حامية باره فهزمتهما فتراجعا لجبل أبى سنون ورجعت حامية باره لقواعدها • ثم امرت حكومة الابيض نظيم افندى أن يتابع حملاته على المكى ولد ابراهيم فاقتفى اثره الى ابى سنون ولكن المكى كان قد رحل من أبى سنون قبل أن يلقاه وعادت الابيض فأمرت نظيم افندى بالعودة لباره لان الفكى المنا احتل التيارة ويخشى منه على الابيض فعاد نظيم أفندى لباره •

واقعة التيارة :

ضمن القبائل التى كاتبها المهدى قبيلة الجوامعة فاذعن لامر المهدية من زعمائها الفكى المنا واستنفر نحو عشرين ألفا من الجوامعة هاجم بهم التيارة وكان بها اليوزباشى محمد افندى الشافعى ومعه ما ينوف عن الالف وخمسمائة عسكرى نظامى وباشبزق وكان لها خندق عظيم ومتراس فصمدت فى وجه الفكى المنا زمنا طويلا • وطلب اليوزباشى محمد افندى الشافعى مددا من الابيض فارسل اليه المدد بقيادة خليل اغا السنجق ولكن الفكى المنا استلم التيارة قبل وصول المدد ثم التقى بالنجدة القادمة من الابيض فقضى عليها وكتب للمهدى مبلغا اياه ما حصل فوصل كتابه للمهدى وهو فى الكواليب •

بعد استسلام التيارة اهتم محمد سعيد باشا بتحصين الابيض وبأره واما المهدى فانه تريث فى الكواليب بسبب هطول امطار كثيرة وجريان الوديان التى عاقت حركة الجيش •

الزحف على الابيض :

عزم المهدى فى رمضان على غزو الابيض ولكنه أخفى عزمه على العامة واظهر لهم انه يريد المسير لتقلى فأمر أن تسافر الرايات اليها وفى الطريق انثنى الى جبل اللخه وارسل للجيش الذى سبقه لجبل الجرادة ليعود اليه فى اللخة • وقد اتضح للعامة انه يريد الابيض بعد قيامه من اللخه •

ومن جبال الكواليب كاتب المهدى أهالى الابيض طالبا منهم الخروج مسلمين لامر المهدية • وانتظر المهدى فى الكواليب بسبب نزول الامطار كما ذكرنا آنفا وفيها أتته افواج كثيرة مهاجرة من كل الجهات

وتحرك المهدى فنزل فى كابه قرب الابيض فى يوم ١٠ أو ١٢ شوال عام ١٢٩٩ هجرية وكان يوم خميس • وفى صبيحة يوم الجمعة ارسل محمد ولد خوجلى وآخر بانذار لمدير وحكام وتجار الابيض فشنق مدير الابيض رسولى المهدى امام جمع غفير قبل صلاة الجمعة وفى مساء ذلك اليوم خرج ناس كثيرون مهاجرين للمهدى فى كابه لانهم لم يستحسنوا فعلة المدير ومن المشهورين بين المهاجرين السيد عبد القادر ساتى على وعمر ازرق والقاضى عثمان الحلاوى • واخبر السيد عبد القادر المهدى بان يسهل أهالى الابيض فسيخرجون اليه مهاجرين لانهم جميعا مسلمون بأمر المهدية وأشار عليه أن يرسل الفى حصان تدور حول الابيض فيراها الاهالى ويرهبوا عدوهم ويتشجع من يريد الهجرة فيخرج مهاجرا ففعل المهدى ما اشير اليه به فازداد عدد المهاجرين كل ليلة واخرى • أما

الحكومة فأنها انشـأت استحكاما خارجيا حول المدينة وآخر داخليـا حول مبانى الحكومة وجمع الحكام والعساكر داخل ذلك الاستحكام •

الهجوم الاول :

وبعد اسبوع من وصول المهدى لكابه زحف المهدى قريبا من الابيض واشيع ان الفكى المنا ينوى الهجوم على الابيض قبل المهدى ليفـوز بالفتح والغنيمة فطلب السيد محمد عبد لله واحمد ولد جباره والشيخ الامين من المهدى أن يأذن لهم بالهجوم فطلب منهم ان يتريثوا وكـانت كلمتهم مسموعة عند المهدى آنذاك اكثر من الخلفاء انفسهم فالحوا عليه بدخول الابيض يوم الجمعة ٢٤ شوال ١٢٩٩ هجرية قبل ان يسبقهم اليها الفكى المنا أو ينالوا الشهادة فتأثر المهدى بطلبهم الشهادة وأمر بالاستعداد والهجوم على الابيض من جميع الجهات فهجـم عليها الانصار واستمر العراك من طلـوع الفجر حتى أول الزوال وقد انتصـر الانصار بادىء الامر فامر احمد دفع الله عساكره ان يصعـدوا الى رءوس البيوت فلما صعدوها تبين لهم ان الجهة الغربية التى بها جيش أحمد جباره قد ضعفت بما حدث فيها من قتل لانها كانت اول من بدأ القتال ولانها كانت موالية لقوات أحمد ولد دفع الله الذى كان فى حربه اشد على الانصار من غيره من الرؤساء

اما الجهة القبلية فقد كان فيها جيش محمد ولد عبد الله وكـان فيها اغلب رؤساء الابيض مثـل محمد سعيد جراب الفـول المدير والقائمقام محمد اسكندر بك قمندان العساكر وعلى بك شريف وقـد هزمهم السيد محمد حتى دخلوا الاستحكام الداخلى ووصل السيـد محمد بنيان المديرية عند طرف الفولة الداخلية • وعند ذلك كان الامر قد صدر من أحمد ولد دفع الله بأن يصعد الجند لرؤوس المنازل ففعلوا واصلوا الانصار نارا حامية وقتل السيد محمد عبد الله والشيخ الامين

وأحمد جباره والسيد عبد الله اخو المهدى واحمد ولد السيد محمد والشيخ ادريس الشاعر وعبد الرحمن محمود والشيخ عبد الله التيجانى جعلى امين ختم المهدى ويوسف محمد اخو الخليفة عبد الله والملك ولد ساله وساتى على ولد نور الدين والحسين ولد أحمد ابو سيفين وامام على من الاشراف وآخرون بلغ عددهم نحو ستة آلاف شهيد منهم ثلاثة آلاف من الجيش الذى قدم مع المهدى وثلاثة آلاف من رجال الفكى المنا .

ووقع حمل المعركة على الراية الزرقاء وجيش الفكى المنا لان مدافع الترك قد استأصلت جيش ولد جباره ودغيم وكنانه وجيش السيد محمد فتقهقرت الراية الزرقاء وبقية الانصار وانحاز الجميع لمعركة كابه ورجع معهم المهدى وقد كان ساعة القتال يقف عند الفولة الامامية من جهة راية السيد محمد لان عادة المهدى كانت ان يتقدم الجيش حتى يصل ساحة القتال فيتأخر عنه قليلا .

حصار الابيض :

عزم المهدى بعد ذلك على حصار الابيض فحاصرها خمسة اشهر حتى استسلمت حاميتها فى شهر ربيع اول عام ١٣٠٠ هجرية . وقد تم الحصار يوم حط المهدى رحاله فى الجنزاره على مرمى المدفع من الابيض وضيق الخناق على حامية الابيض واخذ يشن عليها الغارة تلو الغارة حتى انهم لم يتمكنوا من الخروج للحصول على اقواتهم حتى سلموا وقد بدأ الحصار فى اواخر شوال وتم التسليم فى ربيع الاول وصادف ايام المولد فطلب عثمان الطوبجى من المهدى ان يأذن له باقامة حفلة المولد وكان من التجار الاخيار المشهورين بانفاق المال فى سبيل الله وكان محبوبا عند المهدى فاذن له باقامة الحفل رغم ان تلك العادة لم يكن معمولا بها عند المهدى تطييبا لخاطره كما عفى عنه وعمن ينتمون اليه .

حرب على الضلالة :

فى هذا المجال نذكر ان الشيخ جلال الدين طلب من المهدى أن يأذن له بمسك سر السلاح وتعهد للمهدى أن يعطل سلاح الاتراك إن اذن له فى ذلك فلم يوافق المهدى على ذلك واخبره انذلك شيء لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم وسأله أين يقع فضل الجهاد ان عطل السلاح ؟ لنترك لهم سلاحهم ونعمل بما امرنا الله ورسوله لقوله تعالى : « فاحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » فاقتنع الشيخ جلال الدين بذلك .

جردة ابى كوكه :

لما ضايق المهدى الابيض حصارا امرت الحكومة قوة كبيرة بالتحرك للنجدة . فيها بين ستة آلاف الى ثمانية آلاف عسكرى تحت رئاسة على بك لطفى (٢١) المكنى بأبى كوكه ومعه من أعيان السودان السيد أحمد الازهرى الذى عينته الحكومة قاضيا لعموم غرب السودان ومعه محمد على صبر الذى كان رئيسا للمجلس المحلى بالخرطوم ثم عينته الحكومة ناظرا لعموم الغرب بدلا عن اخيه عبد الهادى صبر الذى قتله المهدى فى قدير ومعه من الاعيان كذلك الملك سليمان ولد الملك محمد سليمان رئيس الجموعية ومعه كثير من اهله الجموعية ، وقد سارت هذه الحملة على جناح السرعة عن طريق الدويم وشات .

قبل انتشار خبر هذه الحملة طلبت حامية باره من المهدى أن يرسل لها مندوبا يؤمنها ويستلم منها المدينة فارسل لها المهدى مائة فارس ومائة راجل تحت رئاسة الامير عبد الله ولد النور والامير عبد الحليم مساعد وعندما اقترب هؤلاء من باره كانت حاميتها قد بلغها خبر حملة ابى كوكه فسكرت وقذفت الانصار بنيران مدافعها فتراجع الانصار ثم كتبوا للمهدى يبلغونه بأمر جردة ابى كوكه واستأذنوه فى ملاقاتها فرد عليهم يأمرهم بالعودة للابيض .

عين المهدى رحمه منوفلى والشيخ المنا لاستنفار الجوامعة فسبق رحمه لمقابلة ابى كوكه فى جيش عظيم من الجوامعة والتقى به فى جهة الكوة وأم غريره بنواحى قرية الدومه « دومة التلب » المشهورة فانهزم ابو كوكه وتلقف الفكى المنا المنهزمين فقضى عليهم . وسلمت شرذمة قليلة من جيش ابى كوكه فدخلت باره واستبان لحامية باره ما حل بنجدة ابى كوكه فطلبت من المهدى أن يؤمنها ويرسل لها من يستلم منها المدينة مرة اخرى فانتدب المهدى هذه المرة جيشا غفيرا تحت رئاسة عبد الرحمن ابو دقل ومعهم السيد عبد الصمد الحاج شرفى والسيد محمد أحمد الشيخ أدريس لأن لهما معرفة باهالى باره وقد أوصى المهدى الامير عبد الرحمن النجومى بالمحافظة على جنود ورؤساء حامية باره وعموم أهاليها من اذى الجوامعة اذا سلمت الحامية دون قتال . وسلمت بدون قتال فضرب عليها الامير عبد الرحمن نطاقا قويا حتى تم التسليم وان لم تسلم من بعض مناوشات الجوامعة .

وقد كان كبار الحامية هم الرئيس الصاغ سرور افندى الحبشى والنور بك عنقره (٢٣) ومحمد اغا شبو التركى والسنجق احمد محمد خير الشايقى الذى كتب للمهدى بالتسليم فكشفوا أمره وعزلوه من منصبه ووضعوا بدلا عنه النور بك عنقره .

خيانة الشيخ التوم :

قبل وصول حملة هكس اتصل بالمهدى من ابلغه ان التوم ولدسالم غدر بالمهدية وكاتب غردون باشا وارسل اليه هدية مكونة من نحو الف جمل وصادف ان الحاج محمدا ابا قرجه كان عامل المهدى فى جهات الكبابيش لجمع الزكوات والغنائم وكان معه السيد محمد احمد شيخ ادريس فكتب المهدى لابى قرجه ليقبض على التوم ولد سالم ويحضره اليه بالابيض فطلب من المهدى ان يمده بحاجته من الجيش فارسل اليه عبد القادر ولد

مدرع فى نحو مائتين وخمسين فارسا فتوجه ابو قرجه لمقر التوم الـــذى حاول الهرب عندما احس بانكشاف أمره فاحاطت به الخيول من كل جانب والقى عليه القبض محمد صقر وكان فى الجهة الموالية له وهو رجل قصير القامة تمكن من ان يقفز من حصانه فركب مع التوم على حصانه ووقع معه على الارض فتمكن الانصار من ان يكتفوه ويوثقوه جيدا • وكلما عرفناه عن محمد صقر انه من الحسبلاب «اولاد حسب الله» وعند وصول التوم للمهدى بالجنزارة أمر بحد رأسه فحده الطليعة وقد ابدى شجاعة نادرة عندما قدموه للقتل • وقد فتش منزله ووجد فيه الخطا ب الـــذى ورد اليه من غردون باشا وفيه منحه وظيفة بك وارسل له طربوشا وبعض جياد الخيول وجمال كريمة فارسلت جميعها لبيت المــال •

بعد قتل التوم ولد سالم عين المهدى بدلا عنــه عوض السيد ولد القريش وهو ابن عم التوم ولد سالم ولد فضل الله •

الفكى المنــا :

بعد تسليم الابيض ظهر خلاف الفكى المنا وتفصيل ذلك ان جيشه نهب اغلب اموال الابيض واغتروا بما وقع فى ايديهم من مال ثم ســـار الفكى المنا بجيشه الى بلده بقرية يسين بدار الجوامعـــة بدون اذن من المهدى أو خليفته وبلغ المهدى ان الفكى المنا عصى امر المهدية فاراد ان يكشف حقيقة امره فارسل اليه بعض العيـــون فعادوا واخبروه ان حاله تدل على عصيان ظاهر وقيل انه ادعى خلافة الصديق اذ ان بعض قومـــه كانوا ينادونه « المهدى » المنا • ولم يقتنع المهدى بهذه الاخبار فارسل الشيخ البخيت الحمراوى من أمراء الحمر وهو رجل عاقل عالم صادق

تزينه تقوى ــ ارسل للفكى المنا ليبلغه أمر المهدى اليه برد الغنائم التى أخذها بدون وجه حق وان يرجع عن دعواه فى خلافة الصــديق ويأتى للخليفة عبد الله معتذرا ، فاعتــرض المنا عن قبول أمر المهدى وعــاد الشيخ البخيت فاخبر المهدى بجلية أمر الفكى المنــا ، عند ذلك طلب المهدى حضور الخلفــاء والامراء وشاورهم فى أمر المنــا فأشاروا عليه بارسال جردة لتأديبه ان عاند واحضاره ان امتثل •

وعين الامير عبد الرحمن ولد النجومى وامراؤه وجيشه وعبد الله ولد النور وحمدان ابو عنجه ومن معــه من الجهدية وراية حاج خالد وراية ولد ابى صفية تحت امارة الشافى ولد ابى صفيه • وقد عين حــاج خالد وجماعته ليقطعوا على الفكى المنا خط الرجعة لجهات جبال النوبه لئلا يحتموا بجبال تقلى • ورسمت الخطة ليتحرك الجيش وكأنه متوجه لجبال تقلى ثم يعرج للجهة التى يقيم فيها الفكى المنا ورجاله • ونفذت الخطة كما رسمت وطوق الحاج خالد الفكى المنا فى قرية يسين فتفرق الجوامعة من حوله ودخل عليه عبد الله ولد النور وعبد الله ولد ابراهيم وحمدان ابو عنجه والقوا عليه القبض كما قبضوا على والده وولده وأمين بيت ماله وساروا نحو الابيض فقابلهم أحمد الطليعة فى التيارة يحمل امرا من المهدى بقتل الفكى المنا ومن معه من المقبوض عليهم فقتلوهم • وقيل ان المهدى قال فيما بعد أن الفكى المنا طهره القتل وعفا الله عنه وصارت آخرته سليمة وذلك عندما قال ولد التويم فى مديحه :

التبعك فــاز واتهنى   والخالف يذوق حال المنا

فنهاه المهدى عن ذلك وبدل له الشطرة الاخيرة وقال له انه قد عفه الله عنه •

وقيل ان الامراء المذكورين آنفا وقفوا عند باب الشيخ المنا طالبين

مقابلته فى أمر ارسلهم به المهدى فاجابهم انه معتكف ومشغول بذكر الله فطلبوا منه ان يخرج لسماع أمر المهدى فرفض فاستبانت لهم مخالفته فدخلوا عليه واوثقوه كتافا .

لقد كان الشيخ المنا ينتسب للطريقة السمانية وكان تلميذا للشيخ موسى ولد الاحمر ولما كتب المهدى للشيخ موسى فى أمر المهدية وقع الكتاب فى يد الشيخ المنا فتلاه واذعن لامر المهدية وقام من فوره فجمع الجموع وغزا التيارة فاستولى عليها وشارك فى حصار الابيض .

واقعة هكس :

بعد انتهاء المهدى من أمر الشيخ المنا وردت اليه أخبار بان الحكومة جهزت جيشا كبيرا جعلت قيادته لعلاءالدين باشا (٣٣) واحد اكابر الانجليز المدعو هكس باشا (٣٤) ومعهما مائة من ضباط الجيش الانجليزى واكابر اهالى الخرطوم مثل قناوى بك ابو وبساطى بك وحمدى بك التلب ومحمود بك احمداى والشيخ على كرم الله واحمد يسين العبادى الذى عين رئيسا على الهجانة . وكانت مع هؤلاء قد جهزت كل المعدات اللازمة من ذخيرة وسلاح من طراز لم ير السودان نظيره قبل تلك الواقعة .

المهدى يواجه الموقف :

اتصل المهدى بجميع عماله من كل كردفان مثل عبد الحليم مساعد (٣٥) وحاج محمد احمد ابو قرجه (٦٢) والشيخ فضله وعساكر ابو كلام والشريف داوود محمد وموسى ولد الاحمر وبلغهم بخبر قدوم هذا الجيش الحكومى العظيم وامر كل منهم ان يجتمع مع من يقرب منه ويستعدوا جميعا لمقاتلة هذا الجيش .

وراقب المهدى تحرك جيش هكس فعلم به وهو ينزل الترعة

الخضراء وهو يتحرك الى شات وحينئذ كتب لجميع الأمراء العاملين بتلك الجهات الذين ذكرناهم آنفا أن يجمعوا الاهالى ويشنوا غارات متواصلة على ذلك الجيش ويقتفوا اثره ويضعفوه بكل ما لديهم من مقدرة على ان لا يدخلوا معه فى معركة فاصلة • وبدأ الامراء يشنون غاراتهم على جيش هكس أول ما تحرك من شات فقتلوا بعض العساكر وغنموا جمالا احضروها للمهدى واسروا عسكريا طوبجيا ضخما من المصريين يسمى على بدر سلموه للحاج خالد ثم تبعوه لابى عنجه وسلموه أحد المدافع الكروب عندما تسلم ابو عنجه كل السلاح النارى • وفى زريقه غرب شات ناوشوا جيش هكس وقتلوا بعض العساكر وغنموا بعض الجمال مما جعل علاء الدين باشا يشير على هكس بضرورة عمل زرائب حيثما يعسكر الجيش ولم يوافق هكس على هذا الرأى فأصدر علاء الدين تعليماته بعمل الزرائب وقد كان لدى كل عسكرى فأس صلب صغيرة يحملها فى جنبه •

هكس يكتب للمهدى :

ومن زريقه حرر هكس باشا خطابا للمهدى تلاه المهدى على رؤوس الاشهاد وفيه يقول هكس : « اعلم انى انا الجردة التى فى بطنها جردة والتى لا بعدها جردة . انا هكس ابو ذراعا حديد فلو وقع السماء اشيله بالسنج وان تحركت الارض اركزها بالجزم • فلو كنت انت ودراويشك عمركم اردب سمسم لاخذتكم بالقوة وقتلتكم عن آخركم • »

بعد ما فرغ المهدى من تلاوة خطاب هكس قال : « سبحان الله هذا المسكين نسى قوة الله فاين قوة الله فلا حول ولا قوة الا بالله » ثم كتب المهدى انذارات عامة للجيش نسخت منها اعداد كبيرة علقت على فروع الشجر فى طريق جيش هكس • وقد وجد بعض الانصار الذين كانوا

يقتفــون اثر جيش هكس ان احدهم كتــب على احدى ورقات تلك الانذارات : « انى آمنت بربكم فاسمعونى »

ومن تلك الانذارات التالى نصه الذى وصل لهكس فى ٢٩ر١٠ر١٨٨٣ ميلادية •

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله مع التسليم وبعد فمن عبــد ربه الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدى بن عبد الله الى من يسمع من اهل الجردة ممن له عقل • فانه لا يخفى على ذى عقل ان الامر بيد الله لا يشاركه فى ذلك بنادق ولا مدافع ولاصواريخ ولا عصمة لاحد الا من عصمه الله تعالى فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تغتروا باسلحتكم ولا بجنودكم التى تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله فانه لا قوة لشىء دون الله ، وان قلتم ان مهديتنا مكذوبة فاعلموا ان الكذب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف المخلوق ويستعجز قوة الله فاذا فهمتم ذلــك فلا تغرنكم اقوال علمائكم فان الترك الذين قتلتهم شكوا للحق عز وجل فقالوا : « يا الهنا ومولانا ان المهدى قتلنا من غير انذار » فأقول : « انذرتهم يارب فلم يسمعوا وحضر على ذلك شاهدا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وقال لهم الامام المهدى انذركم فلم تسمعوا له وسمعتم قول علمائكم فذنبكم عليكم » فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صددناكم عن الهدى اذ جاءكم بل كنتم مجرمين • فأن كان لكم نور تؤمنوا بالله ورسوله والدار الآخرة وتصــدقوا بمهديتنا وتخرجوا الينا مسلمين ومن سلم يسلم وان أبيتم الا الجحود فاسوتكم بمن سبقكم من الجنود والسلام •

حكم بالاعدام :

وفى علوبه اسر أحـد خبراء جيش هكس وهو من قبيلة العبابدة وكان هو نفس الرجل الذى عفا عنه المهدى فى مرة سابقة وعاهد المهدى على الا يعود للجيش فقال له المهدى : « الآن وقد ثبت انك جاسوس وجب قتلك شرعا » فأمر به وضرب عنقه عصر الاربعاء •

المهدى يتحرك للقائهم :

عندما علم المهدى بأن هكس وصل لعلوبة تحرك من الابيض الى فرتنقول وعندما علم بعزم هكس على النزول فى البركة ليسيطر على مورد الماء أمر السيد محمود عبد القادر ومعه الف حصان ليستعجل ويسيطر على البركة قبـل هكس وامره ان يقاتلهم ويجليهـم عنها أن وجدهم سبقوه اليها •

هل يتعاقب الجيشان ؟

عند نزول المهدى فى فرتنقول جاءه نواى الحازمى وابراهيم دردق الترجماوى مساء الخميس وبلغاه ان هكس باشا اتخذ طريقه الى الابيض فقال لهما المهدى : « اذا طار الطـير فأين ينزل ؟ » قالا له : « ينزل فى الارض » قال لهما فأين ما توجهوا سيأتون الينا لانهم يقصدون لقاءنا ثم أمر المهدى بالمسير الى البركة حالا • وتحرك السيدعبدالقادر محمودومن معه من الفرسان عشاء الخميس فسروا الليل واصبحوا فى البركة فوصلوها قبل هكس • اما المهدى فانه بات بفرتنقول فصلى بها صبح السبت ثـم تحرك بعد الصلاة الى البركة فوصلها أول ظهر السبت وعند العصر جاءه نواى الحازمى وابراهيم الحاج الترجماوى « دردق » للمرة الثانيةوبلغاه أن جيش هكس متوجه للابيض •

الحرب خـدعة :

عند ذلك أمر المهدى خليفة الصـديق ان يناوش باصحاب الخيول ليعطل هكس من التحرك نحو الابيض فصدرت تعليمات خليفة الصديق بضرب امبايا (٢١) فحدثت حركـة من الجيش لها دوى عظيم اذ اخـذ الفرسان يشدون خيولهم ويتصايحون صيحات عالية « ضربوا الكورال » فلفتت هذه الحركة نظر هكس الى انه ربما يحدث هجوم مفاجىء لجيشه وهو متحرك فأمر جيشه بالنزول وباتوا فى «مصران بره» قريبا من حلة عبد النبى وتحركوا صباحا نحو الابيض فقام المهدى على اثرهم وعمل لهـم نفس المناورة السابقة فاضطروا للنزول فى شيكان ضحى الاحد وباتوا فيها وظل جيش المهدى يناوشهم بقيـة يوم الاحد على أن يكون الهجـوم الرئيسى يوم الاثنين .

المهدى ينظم صفوفه :

واستعدادا للمعركة الفاصلة طلب المهدى جميع الجهدية اصحاب السلاح النارى التابعين لحمدان ابى عنجه والتابعين لود النجومى والتابعين لولد بلال فلما اجتمعوا مصطفين مر عليهم ثم قال لهم مشيرا لجهة هكس: « هؤلاء اهلكم الذين كانوا يحسنون فيكم ويعطونكم الوظائف ونيب المأكول فأن شئتم فانضموا اليهم فان نصرتنا بالله وليست نصرتنا بكم ». وعندما سمعوا هذا القول من المهدى بكى بعضهم واجابوه بانهم لا يبغون بالمهدى بديلا وعاهدوه على الصدق فى القتال فدعا لهم بالخير .

وطلب المهدى حمدان ابا عنجه ومحمدا ولد بلال ثم التفت لجهـة حسن ولد النجومى وكان المزمار يزمر وحصانه يلعب على صوته فطلب المهدى عبد الرحمن ولد النجومى واسر اليه بكلام فذهب توا نحو عمه حسن ولد النجومى واخرجه من الصف واضافه الى الرايات . ثم التفت

المهدى خلفه فوجد عبد الرحمن بن عوف النصرى واخويه محمد وكرم الله فاشار اليهم بأن يتولوا قيادة جهدية عبد الرحمن النجومى الذين كانوا تحت رئاسة حسن النجومى فصدعوا لامره •

صدرت التعليمات :

وعندها امر المهدى الجهدية بأن يزحفوا نحو جيش هكس بعد صلاة العصر وقراءة الراتب بحيث يصلونهم عند المغرب ويبدأوا فى مناوشتهم بعد صلاة المغرب بالسلاح النارى ويسهروا بهم كل الليل فنفذوا التعليمات كما صدرت اليهم وعندما أذن المؤذن لصلاة الصبح كانت الزريبة الاولى من جيش هكس قد انتهت وخرج من بقوا فيها فانضموا للزريبة الثانية وارسل امراء المهدية للمهدى ابن اخت ولد النجومى ليبلغه هذا ويستأذنه فى الزحف على الزريبة الثانية فامرهم المهدى بأن يحضروا لصلاة الصبح معه •

بعد صلاة الصبح أمر المهدى بمراقبة عساكر هكس وان يبلغوه عنهم عندما يخرجون من زريبتهم فخرجوا عند شروق الشمس فابلغوه فأمر المهدى بالزحف عليهم من اربعة جهات •

عندما تراءى الفريقان :

قبيل الزحف أمر المهدى الفرسان أن يقطعوا على هكس خط الرجعة الى الابيض وقيل ان الخيول وحدها تقدر بنحو سبعين ألف حصان أما الجيش فربما كان ضعف الخيول • وعندما أخذ المهدى موقفه بين الراية الزرقاء والخضراء قال: الله اكبر، هيا توكلوا على الله، ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ـ فحقت عليهم بقية الآية ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين » ، ثم قال للجيش : « ان الذى ينقطع شراك نعله لا يدرك القتال اذا انشغل باصلاحه »

خمس دقائق فقط !

وقد حدث ما تنبأ به المهدى اذ ان جيش هكس هلك فى زمن وجيز جدا فقد ضبط محمد ولد العريق الزمن حتى نهاية المعركة فبلغ ثلاثا وستين دقيقة وذلك منذ ان تراءى الجمعان وبدأ جيش المهدى فى الزحف عليهم اما بعد التحام الجيشين واستعمال السلاح الابيض فلم تدم المعركة اكثر من خمس عشرة دقيقة وقال بعضهم خمس دقائق فقط مبالغة فى السرعة وقد حدث ان بعض المقاتلين وجدوا المعركة قد انتهت عندما وصلوا ساحة القتال •

ثم ماذا ؟

وبعد انتهاء المعركة حضر المهدى لمكان القتال فمر على الشهداء من اصحابه وبشرهم بالجنة وقيل انهم كانوا بين الخمسمائة والسبعمائة شهيد بخلاف الجرحى وهم عدد ضئيل بالنسبة للعدد الذى اشترك فى المعركة •

اكاذيب الأجانب :

روت المؤلفات التاريخية الانجليزية كما روى نعوم شقير ان الخبراء ضللوا هكس باشا فأوردوه حتفه بالعطش وهذا كلام عار عن الصحة اذ ان الفصل كان خريفا والوديان مليئة بالماء • وقالوا ان جيش هكس كان مكونا من احد عشر الف عسكرى والحقيقة ان الخيول وحدها فى جيش هكس بلغت ستة عشر الف حصان ولم ينج منها الا الف واحد وقد كان جيشه مكون من ستة وثلاثين الف مقاتل •

اين هكس باشا ؟

بعد المعركة وجد هكس باشا وسط شرذمة من الانجليز محيطة به

فى شكل « كردون » ومربوط كل منهم مع من يليه بشنكل حرصا عليهم من الهروب والتفرق فقتلوا جميعا كتلة واحدة .

مطاردة علاء الدين باشا !

اما علاء الدين باشا فقد ولى هاربا فلحقه عبد الرحمن صغير فقتله وقد اشترك معه فى قتله بخيت ابن اخت عبد الرحمن النجومى وذلك انهما تشوقا لحصانه وقد كان من كرائم الجياد فتسابقا فى مطاردته فادركه بخيت فطعنه فلم يصب منه مقتلا فالتفت واطلق عليهما عيارا من بندقيته « ام روحين » فاخطأهما فطعنه عبد الرحمن صغير فى اسفل بطنه فمد يده لطبنجيته ولكن عبد الرحمن صغير لم يمهله وضربه بسيفه فقطع يده فخرعلى الأرض صريعا فتسابقا لحصانه وكان بخيت جسيما وعبد الرحمن ضعيفا فسبق عبد الرحمن وقفز على حصان علاء الدين وطرده الى المكان الذى يقف فيه المهدى فبشره بهلاك علاء الدين فقال له المهدى : « سبحان الله يا عبد الرحمن ! انت الصغير الجسم قتلت علاء الدين باشا الضخم الجسم » ثم تلى قوله تعالى : « فلم تقتلوهم لكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى . الآية » ثم قال « يا عبد الرحمن ان اخوانكم الذين نالوا الشهادة قد فازوا فوزا عظيما »

عودة الظافر :

بعد انفضاض المعركة رجع المهدى الى البركه فاقام بها نحو اسبوع واثناء ذلك جمعت الاسلحة والغنائم ثم امر بالرجوع الى الابيض فتحرك الجيش ظهرا وسار بقية اليوم والشطر الاول من الليل حتى وصل خرتنقول حيث بات بها وتحرك منها بعد صلاة الصبح فوصل الابيض أول الظهر .

نتائج هزيمة هكس :

بعد القضاء على هكس خضعت جميع بقية القبائل والجبال وجاءت للامام المهدى وفود كثيرة مهاجرة من كل جهات السودان وذلك لانهم كانوا ينتظرون انتصار الحكومة على يد هكس فلما هلك هكس خاب أملهم • وكان المهدى يأمر كل وفد يأتيه ان يزور الشهداء فى شيكان ويطلع على ساحة المعركة ليتأكد من كثرة جيش هكس الذى هلك •

وكانت اكبر قوة فى الجبال هى جيوش الملك آدم ام دبالو فجاء بجيوشه واولاده مسلما لامر المهدية فاستقبله المهدى استقبالا رائعا واحتفل به واطلق فى تحيته اكثر من مائة مدفع وانزله فى مكان خاص هو واتباعه وزاره خليفة الصديق عدة مرات ولكنه بعد مدة اظهر انفة وتوقفا فى تنفيذ أمر خليفة المهدى لانه كان يرى نفسه ملكا عظيما يحكم كل جبال تقلى فكتب المهدى فى ذلك منشورا للملك آدم •

ومن نتائجها أن انتشرت دعوة المهدية فى دارفور بعد رجوع السيد محمد خالد زقل (٢٨) • لقد ذكرنا آنفا انه قدم مندوبا من قبل سلطات دارفور ليختبر حالة المهدى ويفيدهم عن حقيقة أمره ووصل السيد محمد خالد والمهدى يتأهب لمقابلة هكس فاشترك مع المهدى فى واقعة هكس وعاد معه للابيض فعينه المهدى أميرا لعموم دارفور ونواحيها وزوده بالمنشورات والتعليمات اللازمة فسار السيد محمد خالد لدار فور واستلم أمرها فى يده •

البـــاب الثالث

المهدية تعم السـودان :

بعد القضاء علـى جيش هكس عزم المهدى على التوجه لفتح الخرطوم ، واثناء ذلك وردت اليه مكاتبات من الشيخ محمد البصير (١) امير الجزيرة يخبره فيها ان عبد القادر باشا (٢) حكمدار الخرطوم قد عين صالح بك الملك (٣) ومعه جيش جرار برئاسة بضعة سناجك من الشايقية للقضاء على عامر ولد المكاشفى واجلى صالح بك عامر ولد المكاشفى من حول سنار وفى طريق عودته للخرطوم قابلته جيوش محمد البصير أمير الجزيرة فقاتلها وتغلب عليها فتقهقرت الى فداسى حيث استعدت واعترضته مرة أخرى فلم تستطع شق طريقها فتحصن منتظرا امدادات من الحكومة وجاء فى مكاتبات محمد البصير للمهدى انه ينتظر المدد كذلك •

ابو قرجه للجزيرة :

أمر المهدى أبا قرجه بالتوجه لمساندة محمد البصير فسار الحاج محمد ابو قرجه الى المسلمية واجتمع بمحمد البصير واطلقت خمسون قذيفة من مدافع جيش الانصار ارهابا وتخويفا لصالح بك وارسل محمد البصير الحاج نصر وولده ومحمد ولد فانه وعبد الله عوض الكريم (٤) والشيخ العبيد ولد بدر لرفاعه لمحاصرة صالح بك حتى لا يفلت الى الخرطوم من ناحية الشرق فشددوا واحكموا الحصار عليه ومنعوا عنه المؤونة التى كانت تأتيه من الشيخ عوض الكريم ابى سن (٥) • وهكذا اصبح محصورا من الشرق اما من جهة الغرب فقد حاصره الفارس ود البصير ومن معه من الحلاويين ومن الجهة القبلية عثمان صالح اورباوى ومن معه •

استسلام صالح بك :

كتب ابو قرجه بعد وصوله لصالح بك وبلغه بانه زاحف عليه بجيش لا قبل له به ودعاه للتسليم فرد صالح بك مستسلما فاستلم منه السلاح والخيل ثم وجه هو نفسه للمهدى فقابله فى الرهد فاكرمه المهدى اما بقية السناجك فقد خيرهم ابو قرجة بين الاقامة معه والرجوع لحلفاية الملوك •

بداية الزحف للخرطوم :

بعد انتهاء امر جيش صالح بك صدرت تعليمات الامام المهدى للحاج محمد ابو قرجه والشيخ محمد البصير بالزحف الى الخرطوم ومحاصرتها وأمرهما بقطع اسلاك التلغراف وسد الطرق والعمل على قطع المؤن عنها واخبرهم بانه قادم على الاثر ان شاء الله • ثم توجه المهدى نفسه من الابيض الى الرهد زاحفا نحو الخرطوم •

هدية غردون (٦) للمهدى :

وردت للإمام المهدى وهو فى الرهد رسل من غردون تحمل هدايا للمهدى بينها جبة وقفطان وحزام وطربوش مغربى بعمامته ومركوب وشال وكتاب من غردون فيه سمى المهدى سلطانا على كردفان • ورد عليه المهدى بتاريخ ٧ جمادى الاول عام ١٣٠١ هجرى هديته ومنحته السلطنة وارسل رده مع محمد أحمد الصافى وعبد الرحمن ولد جلى ومعهما هدية منه لغردون بينها جبة وسروال من الدمور وكرابة ورداء وسبحة وحزام برش وطاقية برش •

وفيما يلى النص الكامل لكتاب المهدى ردا على كتاب غردون باشا له ومنحه اياه السلطنة على كردفان •

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم » وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى بن عبد الله الى عزيز بريطانيا والخديوية غردون باشا • قد وصلنا جوابك وفهمنا ما فيه والحال انك تزعم ارادة اصلاح المسلمين وفتح الطرق لزيارة قبر النبى « صلعم » واتصال المودة فيما بيننا وبينكم وحل المسيحية من النصارى والمسلمانيين وان تجعلنا سلطانا على كردفان فأقول والامر لله انى قد دعوت العباد الى صلاحهم وما يقربهم من ربهم وان يفرغوا من الدنيا الفانية الى دار البقاء ويعملوا بما يصلحهم فى آخرتهم وقد كتبت الى حكمدار الخرطوم وانا بأبا بدعايته الى الحق وبأن مهديتى من الله ورسوله ولست فى ذلك بمتخيل ولا مريد ملكا ولا جاها ولا مالا وانما انا عبد أحب المسكنة والمساكين واكره الفخر وتعزز السلاطين ونبوهم عن الحق المبين لما جبلوا عليه من حب الجاه والمال والبنين وهذا هو الذى صدهم عن صلاحهم واخذ نصيبهم من ربهم فأخذوا الفانى وتركوا الباقى واشتغلوا بمالا يكون من الفانيات ولم يسمعوا قول الله ولا رسوله ولم يذكروا خبر القرون الذين لم يغن عنهم ذلك شيئا وتندموا على قدر الذى تمتعوا به فأيدنى الله تعالى بالمهدية الكبرى لدلالتهم الى الله تعالى وليتركوا العز الفانى والنعيم الفانى الى العز الدائم والنعيم الابدى فى دار النعيم المقيم ولا عرفهم غرور من يريد العاجلة ويظن انه ساع فى رضاء الله ويكون له نصيب فى الآخرة وقد قال المسيح ، عليه السلام ، يا معشر الحواريين ابنوا على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا ومن ظن انه يخوض البحر من غير بلل فهو مغرور فكذلك من ظن انه يجمع الدنيا ويريد عزها وجاهها ويكون له فى الآخرة شأن فانب الى الله الباقى وأخضع لجلاله وأطلب عز الآخرة ولا تظن ان هذه الدنيا دار حتى تسعى لملكها وعزها وكيف من يكون على خلاف سكة النبى « صلعم » يفتح باب زيارة قبره

ولم يكن النبي « صلعم » ممن يرغب زيارة الكلاب كما ورد ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب ولم يكن يرغب من عبد غير الله ونسى الله واعرض عن كلامه وطلب متاع الحياة الفانية فأن كنت شفيقا على المسلمين فبالاول اشفق على نفسك وخلصها من سخط خالقها وقومها على اتباع الدين الحق • باتباع سيدنا محمد ورسول الله(صلعم) الذى احيا ما اندرس من ملل الانبياء والمرسلين واتى مصدقا لما بين يديه من الكتب فجميع الانبياء عليهم السلام لو حضروه لما سلكوا غير ملته وكلهم يتمنون ان يكونوا من امته ومن حضر بعثته وما بعد لا يقبل منه دينا غير سكته فطهر نفسك اولا بالدخول فى ملته ثم اشفق على امته بسلوك سنته فعند هذا فانت الشفيق ومن غير هذا فمالك من المحققين رفيق كيف وقد قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فأنه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين » الى ان قال « وليكم الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » واننا قد امتثلنا أمر الله فما تتخذ وليا الا الله ورسوله والمؤمنين وعلى ذلك قد وعد الله بالغلبة كما سمعته من قول الله • هذا وما دام ان الله يقول لهم الغالبون فلا غلبة لغيرهم فأن رجعت عما انت عليهمن ملة غير الاسلام وانبت الى الله ورسوله واخترت الآخرة تتخذك وليا وتكون من اخواننا وتكون المودة المطلوبة عند الله ورسوله وتكون ممن امتثل أمر الله بعد هذه الآيات فاستحق الوعد والبشارة فى قوله تعالى « ولو أن اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنة النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم •• الآية » فبعد هذا تتصل المحبة والمودة فيما بيننا وبينكم وتكون ممن عمل بالقرآن والتورية والانجيل وتكون قد اتبعت باتباع نبينا محمد « صلعم » عيسى وجميع الرسل والنبيين وحزت الخير الابدى • والا حيث علمت ان حزب الله

الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون من كلام الله فاعلم ان حزب اللهواصل اليك ومزيل لك عما شاركت به اللهخالقك فاستدعيت ملك عباده وأرضه مــع ان الارض لله يورثهــا عباده الصالحين واما المسلمانيون والمسيحيون الذين دعوت بطلقهم اليك فانا أريد لهم الصلاح والنفع عند الله وفى دار الابد كما اريده لك ولكافة عباد الله فلا ابعدهم من جنتهم الى محنتهم فان الله قد ايدنى رحمة للعباد لانقذهم من الهلاك الذى هم واقعون فيه لولا رحمة الله بظهورى فيهم • واعلم انى المهدى المنتظر خليفة رسول الله « صلعم » فلا حاجة لى بالسلطنة ولا بملك كردفان ولا غيرها ولا فى مال الدنيا ولا زخرفها وانما انا عبد الله دال الى الله والى ما عنده فمن كان سعيدا أجابنى واتبعنى ومن كان شقيا اعرض عن دلالتى فازاله الله عن موضعه واذله وعذبه عذاب الابد وقد ايدنى الله تعــالى بالانبياء والمرسلين والملائكة والمقربين وجميع الاولياء والصالحين لاحياء دينه وقد بشرنى النبى « صلعم » أن جميع من يلقانى بعداوة يخذله الله ويهزمه ولو كان الثقلين الانس والجن فلا تغتر فتهلك كما هلك اخوانك فافهم وسلم تسلم • واما الهدية التى ارسلتها لنا فعلى حسب نية الخــير جزاك الله الخير وهداك الى الصواب واعلم انه كما كتبنالك انا لا نرغب متاع الحياة الدنيا وزينتها وانما هى قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند الله نصيب فها هى مرسلة اليك مع ما نرغبه من اللبس لنفسنا ولاصحابنا الذين يريدون الآخرة ويرغبــون ما عند الله من الخــير الباقى الابدى ليستحقوا بذلك نعيم الابد وملك الدوام كما درج على ذلــك الانبياء والمرسلـــون وجميع السعـــداء من عباد الله وتعلم ذلـــك أنت حقيقة من سيرة عيسى عليه السلام وحواريه وقد قال كبيت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدى فتعلم بذلك ان من خالفه من الاحبار والرهبان وجميع من يدعى اتباعه ليسوا محقين وانما غرتهم الحياة الفانية والامتعة الآئلــة الى ان تكون جيفة وعــذرة ثم عدما محضا فتكون حسرة وندما عنــد

فراقها ولما فوتته من اكتساب خيرات الدوام • ثم ان مثل هديتك عندنا كثير ولكن اعرضنا عنه طلبا لما عند الله وأقول لك فى ذلك كما قال سليمان عليه السلام لبلقيس وقومها : أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما اتيكم بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون • واعلم انك اذا اتيتنا مسلما نريك ونريك من النور ما يطمئن به قلبك ويزول به طمعك فى الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك ان رأينا فيك خيرا وصلاحا للمسلمين وليناك كما فعلنا ذلك بمحمد خالد المشهور بزقل مديرداره سابقا فانه لما اتانا ورأى الحق وفرح بلقائنا وندم على ما فات مما ضيعه من عمره فى الفانى فاطمأن قلبه بالله واختار الآخرة ووثق بالله وليناه على دار فور وقد كتب لنا قبل ذلك عبد القادر سلاطين بالتسليم فاكرمناه والى الآن نريد كمال تربيته وهو الآن فى خير كثير وكذلك السيد جمعه الذى كان مدير الفاشر الآن ارسلنا الى محمد خالد المذكور يأتى به الينا لكمال التربية والارشاد وبلغنا حسن اسلام الدمترى سجاده وصدق اتباعه لنا وانابته للآخرة • وكذلك جميع امراء النقط بدار فور قد اذعنوا لله كباقى سلاطين دار فور وسلموا جميعا أمرهم الينا فى حب الله ورسوله فحسن تسليمهم واتباعهم لنا • وكذلك الملك آدم مك جبال تقلى الآن اتى مهاجرا لما رأى الحق وحسن اتباعه وصدقه وقد أكرمناه وهو الان معنا بخير كثير وهلم جرا فكل سعيد لابد أن يتصل بنا من جميع اقطار الارض ومن ابى لابد أن يخذله الله ويعذبه فى الآخرة كما اشار الى ذلك النبى « صلعم » مرارا • وليكن معلوما عندك يا حضرة الباشا ان جميع الذين قتلوا على يدى انذرتهم اولا انذارا بليغا وها هى واصلة اليك انذار ولد الشلالى بعد مخاطبته لى وانذار هكس بأجوبة عديدة للعامة وجواب مخصوص له ولاكابر جيشه وقد ارسلنا الى باشة الابيض بجواب فقتل رسلنا وبعد أن وقع فى يدنا أكرمناه واعطيناه جبة جميلة ليتدرج الى

الصدق مع اللهولا زلنا نكرمه ونعظمه ليقتدى بنا ويصدق مع اللهفيكون من الاصحاب الذين هم كالنفس فلم يصدقوما زال يقع فيما يهلكه ونحن نصفح عنه حتى أخذته نيته فمات ومع ذلك لاجل مبايعته لى ومجالسته معى اياما قد اتانا خبر بعد موته انه عفى عنه فى الآخرة فصار من السعداء والعبد اذا كان يسعد فى الآخرة فهو المقصود ولا خير فى الدنيا ولا فى نعيمها بل انما متاعها يكثـر الحسرة والحبس فقط يوم القيامة ونيتـى بالعباد سعادتهم فى آخرتهم الابدية وازالة الهلاك عنهم من الله ولذلـك لاطفت جميع الاكابر وأهل الدولة بالقول والفعل ليعرفـوا ما عند الله فيرغبوا فيه ويتركوا الخسيس الفانى وهكذا جميع من وقع فى قبضتنا من الاكابر من الدولة والحكام ما عملنا معه الا الخير والاكرام فمن صدق منهم معنا فهم الآن فى خير كثير وازدياد شرف ٠ والسلام ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٠١ هـ مارس سنة ١٨٨٤ م

« وبعد هذا البيان فان اهتديت وسلمت لى واتبعتنى حزت شرف الدنيا والآخرة وفزت بأجرك وبأجر جميع من اتبعك وان كان لك حسن نور فى العقل تعلم انى خليفـة رسول الله « صلعم » فلا تتهمنى فيمـا اسوق به الى الله والدار الآخـرة لا تسمع علىّ قول الظلمـاء الحساد الـذين يريدون ان يطفئـوا نور اللـه بافواههـم ويأبى الله الا أن يتم نوره وقد قال « صـلعم » مـن شـك فى نصـرة المهـدية فليقرأ قوله تعـالى « هـو الذى أرسـل رسـوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وقوله « كلما اوقدوا نارا للحـرب اطفأها الله » ولزيادة الشفقـة عليكم لزمت التحشية بهذا والهادى هو الله وكثرة البيان لا تهدى هدانا الله والعباد الى الصواب آمين »

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم » وبعد فمن عبد ربه الفقير الى الله محمد المهدى بن‌عبد الله الى غردون باشا باطلاعك على ما تدون بالجواب اليك تعلم باطنه وبه كسوة الزهاد أهل السعادة الكبرى الذين لا يبالون بما فات من المشتهيات طلبا لعالى الدرجات وهى جبة ورداء وسراويل وعمامة وطاقية وحزام وسبحة فان‌انبت الى الله وطلبت ما عنده لا يصعب عليك ان تلبس ذلك وتتوجه لدائم حظك وهاهو الرسول الذى اتى منك واصل اليك مع رسل من عندنا كما طلبت والسلام .

وكتب على الغلاف : « سألتك بحق الله ونبيه عيسى عليه السلام أن تقف على اجوبتنا هذه بالحرف وقد بلغنى محمد سعيد المسلمانى الذى يسمى السيد أفندى نعيم الاجزجى انه له معرفة بلغتكم وبالخط العربى وما دام انه يعرف الخطين واللغتين نرغب منكم الوقوف على مافى هذا الظرف جميعه حرفيا على يد المذكور أو من هو مثله وقد سألتك السؤال المذكور لما ذكرته والسلام اه »

عصيان جبل الدائر :

وفى الرهد وردت للمهدى أخبار بعصيان أهالى جبل الداير وهو جبل كبير جدا فارسل جيوش عبد الرحمن النجومى وموسى ولد حلو وحمدان ابو عنجه فتغلبوا على جبل الداير واسروا الملك ووزيره واحضروهما واعيان قومهما للمهدى . وفى هذه المعركة قال الشيخ محمد عمر البنا قصيدته المشهورة :

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت فى شأن الاله حياة

وقد استمرت حرب هذا الجبل ثلاثة اشهر ، ومن مشاهير الذين استشهدوا فيها عمر ابو بكر دقنه وكان مقدما فى جيش ولد النجومى .

امراء الشرق للشمال :

قابل عثمان دقنه المهدى بالابيض قبل واقعة هكس فبايعه وجعله المهدى أميرا للشرق وسلمه راية وكتب لـه كتبا للحكام ورجال الدين والوجهاء والاعيان بتلك الجهة . فاستلم عثمان دقنه الراية من المهدى بدون عود وادخلها فى جيبه ثم رحل للشرق لتنفيذ أمر ، وقد اتصل بالشيخ الطاهر المجدوب (٩) وسلمه رسالة المهدى اليه .

كما ذكرنا آنفا ان المهـدى اصحب الامـير عثمان دقنه كتبا الى مشايخ الشرق وغيرهم يدعوهم بها لنصرة الدين والقيام مع الامير عثمان دقنه لمحاربة الترك والجهاد فى سبيل الله . واليك صورة ما كتبه المهدى الى أهل سواكن فى هذا الصدد :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمـد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم » وبعد فمن عبد ربه محمد المهـدى ابن السيد عبد الله الى كافة احبابه فى الله المؤمنين بالله وبكتابه ومـن تبعه ووافقه على اقامة الدين ونصرته . اما بعد فالذى نعلمكم به ايهـا الاحباب ان الامر كله لله واليه المرجع والمـآب وانه مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء كما اخبر بذلك فى منشور الكتاب فاتعظـوا وتذكروا ياأولى الالباب وتنبهوا عن الغفلة والغرور بلوامع الدنيا التى هى سراب وتفكروا فى انفسكم واعتبروا بقوات دول القرون الماضية وبمن هو اشد منكم قوة واكثر جمعا للفانية فاصبحـوا لا ترى الا مساكنهم الواهيـة الخالية فاقبلوا نصيحتى وما تعيها الا اذن واعية وانما انذرتكم بجوابى هذا نصيحة لكم ورحمة بكم وشفقة على عباد الله المؤمنين وسببا لنجـاة المسلمين والمستضعفين وحيث فهمتم ذلك وعقلتموه فانى موجه اليكم الشيخ عثمان ابا بكر دقنه السواكنى لكى تستعينوا به على إقامة الدين وجهاد الكافرين وجعلته اميرا مباركا لكم لدلالتكم وارشادكم فاسمعوا

له واطيعوا امره ونهيه وبمجرد وصوله اليكم ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومصدقين انى المهدى المنتظر فتحزبوا اليه وائتوه افواجا افواجا من كل سهل وجبل لبيعة الرضوان ورضاء الواحد الديان لاجل اقامة الدين والسنن وشمروا فى ذلك بغاية الجهد وعلو الهمة واجتمعوا على كلمة واحدة باتفاق الجميع . والكلمة الواحدة هى التصميم والعزم على قتال الترك أهل المديرية التى انتم فيها ثم بعد اتفاقكم بأخذ عهودكم ومواثيقكم مع الله ورسوله وأميرنا والنائب عنا فى اقامة الدين فخذوا حذركم واهبتكم الجميع ثم اخبروا اعداء الدين بذلك وبلغوهم أمرنا هذا وأطلبوا منهم فى الحال أحد الامرين اما التسليم وأما القتال فان ندموا وسلموا بصدق وايمان فليسلموكم جميع ما عندهم من الاسلحة ولزومها والخزائن بما فيها ومفاتيحها فان كان ذلك فاحمدوا الله واشكروه ومن الدنيا الساحرة فأحذروا وان ابوا وسلكوا مسالك الحيل فالقتال القتال لتنالوا مقام الصديقين من الرجال فاهجموا عليهم الجميع مرة واحدة فأنتم حزب الله الغالبون . واذا اتحد معهم بعض أهل البلد فجميع من هو موافق للشيخ عثمان ابى بكر دقنه فلينضم اليه واخرجوا عنهم خارج البلد واجمعوا العربان التى بأطراف البلد واحكموا فيهم بالحصار والمغار واقطعوا عنهم الموارد بالكلية الى ان يهلكهم الله تعالى كما اهلك اصحابهم فانهم قوم كتب الله عليهم البلاء والعذاب فهم فى قبضة الله ونواصيهم بيده فلا تخشوهم ابدا فأنهم هالكون بأذن الله تعالى وعن قريب يورثكم الله ارضهم وديارهم فعليكم بالعدل والاحسان . واعلموا ان من بايع الشيخ عثمان المذكور فقد بايعنى ومن استشهد معه فكأنما استشهد معى ومن صحبه فقد صحبنى فاعلموا الجميع بذلك وابشروا بما بشرنى به النبى « صلعم » وهو ان اصحابى كأصحابه وان عوامهم لهم رتبة عند الله تعالى كرتبة الشيخ عبدالقادر الجيلانى والله ذو الفضل العظيم بشرط الاتباع ظاهرا وباطنا وحيث فهمتم ذلك فلا يفتكم هذا الفضل العظيم

فاحرصوا على الصدق والوفاء واقتفاء آثار المصطفى « صلعم » واختيار ما عنده تعالى بالجوع والفقر مع الرضاء والتسليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والسلام • غرة رجب سنة ١٣٠٠ هـ ٨ مايو سنة ١٨٨٣ م •

وقدم بعد عثمان دقنه وبعد واقعة هكس الشيخ محمد الخير فجعله المهدى أميرا على بربر ونواحيها واعطاه راية فعاد لبربر ومعه جماعة من الجعليين اهالى بربر الذين خيرهم المهدى بين الذهاب مع الشيخ محمد الخير والبقاء معه فسار بعضهم مع أمير بربر •

وقدم الشريف محمد الامين الهندى (١٠) بنفسه قبل عثمان دقنه واقام مع المهدى الى ان توفى بالرهد فشيعه المهدى بنفسه وصلى عليه •

وبعد قيام المهدى من الابيض وصلها فخر الدين حسن المعلاوى فقابل السيد محمود عبد القادر الذى تركه المهدى اميرا على الابيض فارسله للرهد حيث قابل الامام المهدى •

هزيمة وقتية :

بعد القضاء على عصيان جبل الداير أمر المهدى ولد النجومى(١١) بالعودة بجيشه لانه أتته اخبار تفيد بأن الشيخ محمد البصير والحاج محمد ابو قرجة ومن معهما سارا الى الخرطوم وبعد أن اقاما محاصرين نحو ثلاثة أشهر خرجت عليهما قوة من الخرطوم وهزمتهما فانحاز محمد البصير لبلدة تدعى السديرة بقلب الجزيرة وانحاز ابو قرجة لبلدة تدعى ولد شكر الله فى ديار الجعليين وولد جار النبى• وقد ارسل ابوقرجه للمهدى يطلب النجدة فارسل المهدى عبد الرحمن النجومى لنجدتهما بعد رجوعه من جبل الداير •

وزحف ولد النجومى وضم اليه ابا قرجه وولد البصير فنزلوا فى الصحراء المقابلة لشجرة ماحى بك قريبا من ديم الشيخ دفع الله الغرقان مبتعدين عن مرمى القنابل •

احكام الحصار :

ثم بنى اولئك القواد استحكامات لاحكام الحصار ومن ذلك انهم بنوا طابية البحر الابيض بجهة ديم الشيخ دفع الله الغرقان تحت رئاسة الشيخ محمد ابى قرجه والشيـــخ فضله كما بنوا طابيـــة فى برى تحت رئاسة عبد الله ولد النور وعبد الحليم مساعد وبنوا طـابية بالجريف لحراسة شونة العيوش التى ترد من الصعيد لمؤونة الانصار وكانت هذه الطابية تحت رئاسة حاج خالد محمد العمرابى (١٢) وعبد القادر ولـــد مدرع أمير الحسنات ومعه من الامراء مثل سليمان العبيد والشريف حمد النيل حامد وعمر الخليفةمحمد سوار الدهب(١٣) وغيرهم من الامراء وقد حشدوا جيوشهم بجهـــة الجريف ليمدوا الطابيـــة فى برى اذا لزم الامر وليصدوا الهاجمين الذين يخرجون من الخرطوم ويمنعوا الداخلين لها • وعينوا عبد الله ولد جباره واخوانه ومعهم العباس الشيخ العبيد وأخاه ابراهيم واتباعهم لمحاصرة الخرطوم من جهة قصر راسخ بالخرطوم بحرى فبنوا طابيتين هنالك احداها موالية لقصر راسخ والاخرى موالية لسراى غردون باشا • وعينوا بابكر عامر ومن تبعه لمحاصرة الخرطوم من جهة توتى فبنى طابية هناك لمحاصرة توتى حيث يعسكر سنجك من الشايقية والمحس والجعافرة •• الخ

وهكـــذا حاصر ولد النجومى الخرطوم من كل الجهـــات زهاء شهـــرين حتى قدم الامـــام المهدى فى شهر الحجـــة عام ١٣٠١ هجرى ونزل بديم العضام المشهور بديم ابى سعد وكان ذلك بعد العيد اذ حضر العيد فى الترعة الخضراء •

حصار حامية امدرمان :

عين الامام المهدى بعد وصوله جيش حمدان ابى عنجه (١٤) لحصار حامية امدرمان وكان على رأسها فرج المشهور ، فبنى حمدان حولها عدة طوابى احداها لنفسه والجهدية التابعين له تحت رئاسة الزاكى طمل (١٥) واخرى للنور عنقره وثالثة لعبد الله ولد ابراهيم والامير بلل ناقور الذى كان اميرا على قسم من الرزيقات وكانت هذه التحصينات فى الجهتين الشرقية والبحرية وفى الجهة القبلية بنيت طابية للامير أحمد ولد سليمان امين بيت المال وأخرى للسيد طه وهى الاخيرة من الجهة القبلية وكانت تعرف بدار السلام لان الآتى من الجهة البحرية اذا تخطى كل تلك الطوابى ووصلها فقد أمن وسلم لان طوابى الحكومة الثلاثة التى بالمقرن قد خصصت لمساعدة حامية امدرمان والوابورات المسافرة وقد تخصصت احدى هذه الطوابى الثلاث فى ضرب طابية السيد طه اما الآخرتان فقد وجهتا نارهما لطوابى الانصار الاخرى المواجهة لامدرمان .

معركة امدرمان :

قيل ان حمدان ابا عنجه عندما تلقى أمر المهدى بيوم الاربعاء بحصار امدرمان عزم على الا ينزل من حصانه الا عند مكتب التلغراف بامدرمان ليستلمه ويقطع صلتها مع الخرطوم فسار فى مقدمة جيشه بشاطىء النهر فانبرت له سبعة وابورات كل واحدة منها تقطر اربعة صنادل مليئة بالجنود فصبوا عليه نيران بنادقهم وقنابلهم وقد ساندتهم طوابى الحكومة حتى ان الدخان والعجاج حجبا الرؤية ووسط ذلك كان حمدان يشجع رجاله وهو على ظهر حصانه حتى وصل لمكتب التلغراف واقتحمه فتمكن أحد التلغرافجية من القفز بالشباك وقتل الآخر واخرج حمدان كرسيا من المكتب فجلس عليه امام الباب متجها نحو الخرطوم .

ظلت الوابورات والطوابى تمطر جيش حمدان بنيرانها منذ بزوغ شمس يوم الاربعاء حتى الساعة الحادية عشر نهارا ثم توقف الطرفان عن القتال فجمع الشهداء وكانوا بين ثلثمائة الى خمسمائة من جيش حمدان وعندما خيم الظلام حفر الانصار المتاريس وبنوا فوقها حيطانا منفخضة تشبه الطوابى وظلوا يكملون بناءهـا ثلاثة ايام يشتغلون فيها بالليـل ويتوقفون نهارا وكانت فى ارتفاعها تحجب الجالس وفتحوا فيها كوات للبنادق والمدافع وردموا حولها ترابا كثيفا •

وفى اليوم الرابع عادت الوابورات التى كانت فى التصليح بسبـب ما اصابها من رصاص وقنابل جيش حمدانوكان ذلك يوم السبت فاصلت الانصار بنيرانها حتىالساعة الثانية عشر ظهراوقد تعطلت احداها بصنادلها

الحامية تستنجد :

واثناء المعركة كانت الاشارات دائرة بينغردون باشا بسرايه وحامية امدرمان وقد كان فى جيش حمدان من له علم برمـوزها فبلغه ان قائد الحامية ارسل اشارة لغردون يقول له فيها ان مؤونته قد فرغت فـأن لم يزود باللازم حتى آخر هذا الاسبوع فسيضطر للتسليم ورد عليـه غردون بان ستصله وابور بعد باكر تحمل المؤونة الضرورية ، تحرسهـا وابورات وصنادل وأمره بأن يتخذ الترتيبات اللازمة فينزلوا بالجـدول المتصل بالنيل لاستلامها وستكون الوابور التى تحمل المؤونة فى الوسط وستقف عند الجدول المتصل بالنيل وأمره أن يرسل قوة كافية لاستلام المواد المرسلة له وبلغه ان الوابورين ستشغـلان الانصار الى ان يتـم الاستلام •

ابو عنجه يستعين بخليفة الصديق :

عندما علم ابو عنجه بمحتوى هذه الاشارة طلب من خليفة الصديق

أن يمده بقوة كافية من المشاة اصحاب السيوف والحراب وقوة أخرى كافية من الفرسان ليكونوا عند السرداب المكشوف الذى يربط بين موقع استحكام عساكر حامية امدرمان وشاطىء النيل داخل الخور المعروف « بخور أبو عنجة » فأرسل خليفة الصديق القوة المطلوبة وقد ابعدت الخيول عن السرداب خوفا عليها من قنابل الطوابى وزحف المشاة فرقدوا عند حامية السرداب وحفروا خندقا قريبا من السرداب لتحمى به حملة السلاح النارى الذين يردون على طابية امدرمان ويسكتون عندما توجه بنادقها وقنابلها نحو المشاة اصحاب السلاح الابيض .

جهزت كل قوة فى مكانها للعمل فى اليوم المعين لارسال المؤونة للحامية وفى اليوم الموعود وهو يوم الاثنين اقبلت الوابورات والصنادل عليهما العساكر وبدأ وابورا الحراسة اللتان تسير بينهما الوابور المحملة بالمؤونة والذخيرة تصليان الانصار نارا حامية وعززتها طوابى الخرطوم وامدرمان وخرجت من استحكام امدرمان قوة من عساكر فى هيئة مربع وانحدروا الى السرداب فانقض عليهم الانصار من حافتى الخور وقضوا على اغلبهم وهرب بعضهم وارغمت الوابورات على الرجوع فتقهقرت الى الخرطوم بعد أن قتل كثير ممن كان على ظهورها .

وقيل ان غردون باشا كان يشاهد كل هذه المناظر بنظارة معظمة من سطح سرايه بالخرطوم وقد وصل الينا انه وبخ ضباطه كثيرا وابدى لهم أسفه بانهم خيبوا ظنه وانه ينتظر رجال الحملة الانجليز ليخلصوه من هذا الموقف .

لقد استمر الضرب بين الوابورات والطوابى يوم الاثنين حتى الساعة الثانية عشر ظهرا ثم توقف الطرفان عن القتال .

الهجوم الاخير :

ولم تعد الوابورات فى صباح الثلاثاء فزحف حمدان ابو عنجه الى استحكام امدرمان تعززه طوابى الانصار بنيرانها حتى هد القصر الذى كانت ترسل منه الاشارات ورفعت علامة التسليم فظنها حمدان ابوعنجه خدعة وواصل الضرب الى ان خرج ضابطان يطلبـان الامان فطلب منهما حمدان ابو عنجه ان يحضرا الرؤساء لاخذ العهد عليهما فحضر فرج بك محمد قمندان العساكر بامدرمان ومعه ضباطه الكبار ومعه كذلك الشيخ موسى الاحمدى امام الحامية فأخذ معهم العهد واذن لهم بالرجوع بعد أن اتفق الطرفان على ان يكون التسليم صباح الاربعاء .

كيف تم التسليم ؟

اجتمع جميع امراء الطوابى عند حمدان ابى عنجه فى صباح الاربعاء وهم السيد محمد عبد الكريم والشيخاحمد سليمان والنورعنقره والسيد طه وعبد الله ولد ابراهيم والزاكى طمل وبلل ناقور الرزيقى وفى الضحى ساروا لاستحكام امدرمانفى فرقة من الجهدية مكونة من نحو مائتين الى ثلثمائة مقاتل فاستقبلهم فرح بك عند البـاب ومعه جميع ضباطه وامام الفرقة وبعد تبادل التحية دخلوا محل السلاح لاستلامه فوجدوا جميعه قد وضع فى مكان واحد وهنا خاطبهم أحمد ولد سليمان أمين بيت المال بأن جميع الاشياء الشخصية قد سمح لهم بأخذها مثل الرقيق والامتعـة والمنقولات ... الخ واما الاشياء التى تخص الحكومة مثل السـلاح والذخيرة والمهمات ... الخ فهى التى يستلمها منهم أمين بيت المـال . وبعد انتهاء الفرز استأذن أحمد ولد سليمان ليبلغ المهدى بما تم .

ارسل المهدى لخلفائه بأن ينتظروا فى شجرة الحضرة حتى يحضر قمندان وضباط حامية امدرمان لتسليم انفسهم لهم بصفتهم نائبين عن المهدى وعندما وصلوا شجرة الحضرة التى هى فى المحل الواقع بين ديم

ابى سعد والفتيحاب انتظروا ومعهم كل فرسانهم ويقدر عددهم بعشرة آلاف فارس • وانطلق أحمد ولد سليمان للحامية حيث بلغهم انتعليمات المهدى ان يترك حمدان ابو عنجه ومن معه من امراء الطوابى والجهدية فى حراسة السلاح والذخيرة وان يخرج كل الضباط والعساكر وما معهم من الخيول والجمال والحمير والخيام فى طابور عسكرى لتسليم انفسهم لخلفاء المهدى فوقف العساكر صفوفا سار فى مقدمتها فرح بك وقابلهم الخلفاء بالترحاب وشكروهم على حقن الدماء ثم أخذ أحمد ولد سليمان رءوس الحامية لمقابلة الامام المهدى وتولى خليفة المهـدى أمر العساكر فنصبت لهم الخيام وعاد اليهم ضباطهم بعد مقابلة الامـام المهدى وكان مؤذن معسكرهم الشيخ محمد علوان الذى صار مؤذنا فى جامع الشيخ دفع الله فى عهد هذه الحكومة « حكومة العهـد الثنائى » واقاموا فى مكانهم ذالك بضعة ايام ثم وزعوا على الجيش فضم الجهدية الى الجهدية والمصريون الى المصريين وكل جنس لجنسه •

ترقب النجدة الانجليزية :

انقطع حضور الوابورات لمناوشةالانصار لانها كانت تحت التصليح ولان غردون كان يترقب وصول نجدة الجيش الانجليزى • وبعد ثلاثة ايام اتت ثلاث وابورات هى : تلاحاويين والبردين والصافية • وكـان باحدها بعض سناجك الشايقيـة وعلى رأسهم خشم المـوس باشا وعبد الحميد ابو رقيبه والملك حامد وآخرون وكان الوابوران الآخران حرسا للاولى وقد ارسل غردون هـذه الوابورات فى الباطن لاستطـلاع خبر النجدة الانجليزية وفى الظاهر لمناوشة الانصار على شطى النيل وتنظيفهما منهم حتى بربر • وعند خروجهما من الخرطوم لميناء امدرمان اصلاهـا الانصار نيرانا من طوابيهم التحتانية ، والطابية التى احتلوها من حامية امدرمان فاسرعت هاربة ولم تقف الا فى جزيرة نسرى الواقعة بين ولـد

حامد والمتمة لانها موطن لبعض الشايقية وما سواها من القرى اصبحت موالية للانصار وانتظروا هناك يستطلعون أخبار نجدة الانجليز •

المهدى يعلم بأمرها :

اثناء ذلك ارسل الشيخ محمد الخير للمهدى يبلغه ان اول الحملة الانجليزية قد وصل لجقدول ووجهتها المتمة فعين المهدى راية الخليفة على ولد حلو برئاسة الامير موسى ولد حلو (١٦) اخو الخليفة على ومعه من امراء دغيم المشهورين محمد ولد بلال (١٧) والشيخ عبد الله أحمد برجوب من اللحويين وابراهيم عجب الفيه من كنانه والعبيد العبيسابى أخو جمعه ولد بلال والامير أحمد جفون الشنخابى والبشير عجب الفيه (١٨) وغيرهم ، وجد هؤلاء الامراء السير الى المتمة فوصلوها يوم وصول الشيخ محمد الخير اليها ومعه امراء الجعليين وجيوشهم وتشاور الفريقان فى أمر مواجهة الانجليز الذين تحركوا من جقدول الى ابى طليح واستقر الرأى على ان يتحرك جيش الخليفة على ولد حلو لابى طليح فوصلوها هم والانجليز فى وقت واحد واستعد الفريقان للحرب حالا

معركة ابى طليح :

حكى الامير الحاج على ولد سعد (١٩) وقد كان اميرا على السلاح فقال انه اخذ يجوب المنطقة بحصانه ليختار بقعة مناسبة لترتيب جيشه فوجد امام جيشه واديا منخفضافأمر اصحاب السلاح الابيض ان ينتظروا فى مكانهم خلف ذلك الوادى ويدقوا النحاس اشعارا للعدو ان جميع القوة مخيمة فى ذلك المكان حتى اذا اتت جيوش الانجليز تريد هذا الجيش المخيم فى الهضبة باغتهم اصحاب السلاح النارى الكامنين فى الوادى • وقال الامير وبينما هو مغتبط بما وفقه الله اليه اذ اتاه الامير موسى ولد حلو وهو الرئيس العام للجيش فسأل بانفعال عما يفعل هناك

فابلغه ما عزم عليه من خطة حربية فاجابه بحزم : اننا اصحاب المهدى وقد بايعنا المهدى وودعناه ومقابلتنا له فى الدار الآخرة فلا حاجة لنا بالمراصد بل علينا ان نقابلهم فى الفضاء دون أى مبالاة ونريهم بأس المهدية وقوة صدقها • قال الامير : فداخلنى الحماس الذى رأيته فى الامير فتركت الخطط التى دبرتها وصممت على ما أمرنى به رئيسى الذى لا تسعنى مخالفته وهناك وفى صحراء منبسطة متسعة تلاقينا مع جيش الانجليز فامطرونا وابلا من رصاصهم وقنابلهم فقابلنا الموت ببسالة نادرة وزحفنا حتى قابلناهم بالسلاح الأبيض واستمر القتال حتى سئمه الفريقان فتقهقر كل منهم عن الآخر وصعد الانجليز هضبة خلف موقفهم السابق ورجع الانصار مبتعدين عن ميدان العراك •

وفى صباح اليوم الثانى علم الانجليز ان الانصار رجعوا الى المتمة فزحفوا اليها وفى ابى خردق قريب المتمة من الجهة القبلية وجدوا الوابورات المرسلة لاستطلاع خبرهم من الخرطوم فباتوا هناك وزحفوا فى الصباح نحو المتمة فقابلهم جيش آخر ارسله المهدى بقيادة الصديق الكنانى والنور عنقره ومعهما ست رايات فيها من الامراء على ولد قمر (٢٠) وكيل راية ولد التويم وعلى أحمد الهاشمى من العمراب التابعين للحاج خالد والطايف ولد العجوز ولد أخت الملك آدم والحاج مرزوق الشايقى •

مصرع ستيوارت (٢١) :

عندما اقترب الانجليز من المتمة ارسلوا قنبلة تحية للانصار فاجابهم النور عنقره بقنبلة سقطت على الجنرال ستيوارت رئيس الجيش الانجليزى فقضت عليه فحملوا جثته وعادوا لابى خردق وحصنوها واقاموا فيها وخابروا الفرقة الانجليزية التى كانت معسكرة فى جقدول فاسرعت اليهم فى جنح الليل واستكمل الانجليز تحصيناتهم أما الانصار فانهم حاصروا الانجليز فى ابى خردق وقد قام بالحصار الامراء صديق ولد الكنانى

والنور عنقره والحاج على سعد وعبد الماجد الحاج محمد والشيخ محمد الخير ومن تبعهم وارسلوا للمهدى يبلغونه بما حدث ويطلبون منه ان يمدهم بالذخيرة والرجال لان الانجليز استنجدوا بالجيش الانجليزى القادم من دنقلا •

طليعة انجليزية للخرطوم :

اما الانجليز فانهم ارسلوا بعض جنودهم فى وابورين لغردون ليعلموه بما حصل وتركوا الوابور الثالثة بشاطىء ابى خروق وعند رأس جزيرة توتى وصلت الوابوران فى يوم الاربعاء وتبين لهما ان الخرطوم قد وقعت فى يد الانصار قبل وصولهما بثلاثة ايام أى فى يوم الاثنين • وعند عودتهما قذفتهما طابية عبد الله ولد ابراهيم بقنبلتين لم تمسا الوابورين فاسرعتا هاربتين وعند مرورهما بولد البصل بالقرب من جبل الريان واجهتا نيران الانصار ولكنهما لم تصابا باذى • وفى شلال السبلوقة ارتطم احدهما « تلاحاويين » بالحجارة فتعطل فنقلوا مشحوناته الى البردين وجدوا السير الى ابى خردق حيث بلغوا القوة الانجليزية بسقوط الخرطوم •

خدعة انجليزية :

ازمع الانجليز الرحيل من استحكامهم الذى حصنوه باسلاك شائكة وديناميت من الخارج فشرعوا فى نقل مهماتهم وذخائرهم ليلا لابى طليح ثم الى جقدول ليعودوا لدنقلا اما فى النهار فكانوا يشتغلون بالطوابير والحركات العسكرية المعتادة ليضللوا الانصار بانهم ما زالوا ينتظرون الفرصة للعراك وظلوا يخدعون الانصار بمثل ذلكالى ان تكامل نقل مهماتهم الثقيلة ثم نصبوا تماثيل فى اماكنهم وربطوا عليها بعض الكلاب وبذلك خدعوا الانصار بانهم ما زالوا موجودين داخل

حصنهم وجلوا الى ابى طليح عندما وصلهم خبر قــدوم ولد النجومى بجيشه بالقرب من المتمة • ولم ينتظر الانجليز فى جقــدول بل واصلوا السير لدنقــلا •

سرية ولد النجومى :

عندما طلب الانصار من المهدى ان يمدهم بالذخــيرة والرجال فى المتمة امر عبد الرحمن ولد النجــومى ومعه نحو عشرين الف من المشاة وعشرة آلاف فارس بالمسير لقتال الانجليزوكتب كتابا لوكيل ولسلى باشا وانذارات للجيش الانجليزى ارسلها مع محمد أحمد الصافى (١٦) وبشير العجب وعبد الرحمن جلى ورابعهم لم نذكر اسمه • وكتب مــع هؤلاء الرسل كتابا لخشم الموس باشا وجماعته سناجــك الشايقية • واستلم الانجليز الخطــــاب الخاص بهم ولم يردوا على المهدى وقــد ورد من الشايقية عبد الحميد ابو رقيبه مسلما هو ومن معه واما خشم المــوس باشا فقد تبع الانجليز راحلا معهم •

بعد ارسال هؤلاء الرسل تحرك جيش ولد النجومى من الخرطوم ومعهم الامام المهدى مودعا حتى النوفلاب حيث ضريح والده السيد عبد الله وعند قبر الشيخ عبد المحمود ابو شيبه المشهور جرد سيفه وكبــر ثلاث تكبيرات قائلا : « الله اكبر يا قوى يا عزيز على الترك والشايقية والانجليز » وقيل ان الامام المهدى قلع راية ود النجومى وهرول بهــا خطوات وسلمها لعبد الرحمن النجومى وتلى : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى المؤمنين القتال »

وزحف ولد النجومى فوصل المتمة بعد عشرة ايام لكثافة جيشه وهناك علم ان النجدة الانجليزية قد تقهقرت شمالا فكتب يبلغ المهدى بالامر ورد عليه المهدى بان يعين من الامراء من يقتفى اثرهم ويطاردهم حتى دنقلا فعين الامراء مصطفى ولد جباره وعثمان ازرق وحسن عثمان

اخو الحاج محمد ابو قرجـه وميرغنى ســوار الدهب ومن معهم من الجيوش • وكتب الامام المهدى لمحمد الخير بان يقوم بجيشه من المتمة الى بربر حيث يعد نفسه للمسير لدنقلا • وقد اسرعت الكتائب المنتخبة من جيش ولد النجومى لمطاردة الانجليز فلم يدركوهم حتى وصلوا مروى فانتظروا محمد الخير هناك لعلمهـــم ان الانجليز الذين يطاردونهـم سينضمون لقــوة انجليزية أخرى فى دنقــلا • ولمـا علم الانجليز أن الجيش الذى يطاردهم انتظر مددا آخر فى مروى سلموا العرضى لطنبل ولد الملك ومن معه من العساكر النظامية والباشبوزق ورحــلوا للمحس

أما قوة ولد النجومى الاساسية فقد انتظرت فى المتمة الى ان توفى الامام المهــدى ثم طلب خليفة المهدى ولد النجــومى نجدة للسيـــد محمد عبد الكريم بسنار •

مبـــادلة لم تتم :

قبل مبارحتهم كتبوا كتابا للمهدى وارسلوه اليه مع سيد احمــد عبد الرحيم يبلغونه انهم قبضوا اخيار اهله واخذوهم معهم ويطلبون منه ان يفديهم بالاسرى المسيحيين الذين وقعوا فى اسره ، فلم يوافق المهــدى على ذلك وكتب جوابه المشهور الى اهله رافضا طلبهم ونصه الآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمــد لله الوالى الكريم ، والصــلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، وبعد فمن العبد المفتقر الى الله المعتصم به محمد المهدى بن عبد الله الى محمد عبد القادر وحــاج شرفى محمد نور وشريف ساتى على وعبد القادر عبد الكريم ومحمــد ابراهيم واحمد البخيت وحاج شرفى بن القاضى محمود • قد ورد لنــا جوابكم تذكرون فيه انكم صرتم مأسورين بيد اعداء الله الانجليزوكيل اللورد ولسلى وجماعتــه ، ومرهونين تحــت ارسال القسس والفرنج

والاقباط الذين بطرفنا وجارى التضييق عليكم فى خصوص المذكورين ولذلك ترغبون منا ارسالهم الى دنقلا ليعتبر الافراج عنكم لآخر ما بجوابكم فهم واقول لكم: يا ايهاالناس اتقواربكم واخشوايوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ان تقول نفس يا حسرتاه على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو ان الله هدانى لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين » ولا يجدى نفعا اذ قال تعالى : « بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين » واعلموا ان هؤلاء الجماعة الذين طلبتم ارسالهم هم الحالة اكرم على الله منكم لانهم اجابوا داعى الله وخرجوا من الظلمات الى النور وصاروا من ضمن انصار الله وحزب الله وفى حرم الله وقربه وجواره وولايته • قال تعالى : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » واما انتم فقد بلغتكم دعوتنا ولم تنجح فيكم وما زلتم مصرين على عدم الاجابة وراكنين الى الكفرة الذين قال الله فيهم : « اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » وما جرى عليكم منهم اقل من جزائكم وليس لنا بكم حاجة لانكمظلمتم انفسكم فلا فرق بينكم وبين الانجليزعندما وما قدركم الجميع عندنا حتى نرسل لكم من اراد الله بهم خيرا وهداهم الى الايمان وشرحصدرهم بنوره ؟ أليس هذا من باب التمنى الذى لامطمع فيه ؟ ولو عقلتم لعلمتمان استبدال الذى هو ادنى بالذىهو خير ليسمن الرشدوأى دناءة بعد الاعراض عن داعى الله ؟ ومعاذ الله ان نرتكب ما لا ينبغى لنا بعد قوله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم »

وان كان نظركم الى القرابة فهذه الآية تكفيكم فاصلا عنا وفى ما حكاه الله عن نبيه نوح عليه السلام وابنه وابراهيم خليله عليه السلام وابيه مقنع لاولى الالباب واعتبارا يهدى من اراد الله هدايته الى الصواب ، وحاصل الامر انا لا نجيبكم لما طلبتم ولا نشفق عليكم فى كل ما يجرى عليكم من الكفار وما دمتم فى موافقتهم وطاعتهم وخشيتهم دون الله وليفعلوا ما شاءوا بكم فذلك منهم واليهم ومن عادتهم ان يكون بأسهم بينهم شديدومن ثم قال صلى الله عليه وسلم: « من اعان ظالما سلط عليه» وان شاء الله تعالى ان لم ترجعوا عما انتم عليه والمذكورون جميعا تصيروا فى قبضتنا قريبا بحول الله وقوته وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله هذا والسلام ـ حرر فى شعبان سنة ١٣٠٢ هجرى .

سقوط دنقلا العرضى :

استعد الشيخ محمد الخير فى بربر للزحف الى دنقلا واجتمع الجيش المنتخب من جيش ولد النجومى فى مروى وزحفوا جميعا الى دنقلا العرضى فاستلموها دون مقاومة . وعندما علم الانجليز بالخبر وهم بأرض المحس بين فركه ومقركه رحلوا الى حلفا فنزلوا فى الكرمة وصارت الحدود بين جيش الانجليز وجيش الانصار مقركه وكانا يتناوشان بين آن وآخر .

حصار الخرطوم :

لقد حل الامام المهدى وهو متوجه لدخول الخرطوم بديم ابى سعد فى ١٠ اكتوبر عام ١٨٨٤ ميلادى الموافق ٢٨ ذو الحجة ١٣٠١ هجرى ومكث هناك مدة من الزمن كاتب اثناءها غردون بتاريخ ١٩ نوفمبر ١٨٨٤ قائلا بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله الواثق بما عند مولاه محمد

المهدى بن عبد اللهالى غردون باشا : اعلم انى حضرت بالقرب منامدرمان بجيوشي المنصورة واصحابى واحبابى فى الله المؤيدين بالنصر من عند الله وكن على يقين انى على علم من حضور عساكر الانجليز بجهة دنقلا ولكنى لست مباليا بهمولا بغيرهم بفضلالله وسيكون لهم اسوة بجيوش هكس والشلالى ولا تغرك نصرتك المتوالية وكل من استشهد بها فهو عن امرى رأفة بهم لينالوا درجة الصالحين تصـديقا لقوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل اللهامواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خوفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ولولا مـراعاة حسم دماء المسلمـين لضربت صفحا عن مخاطبتك وبادرتك بالهجومات التى لا اشك فى نجاحها فسلم تسلم انت ومن معك وقد نصحتك وانصحك والا فالحرب بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى » •

واشتد الضيق على حامية امدرمان وعلى الخرطوم حتى أدى ذلـك لتسليم حامية امدرمان كما ذكـرنا وكانت قـوات الانصار قد احاطت بالخرطوم من كل جانب • اضطربت نفوس من بقى بالخرطوممن سكان وكثر لجوء الوافدين من الخرطوم الى الامام المهدى فكتب الامام المهدى بشأنهم الى عماله فى ١٩ربيع اول سنة ١٣٠٢هجرى الموافق ٦ يناير ١٨٨٥ ميلادى ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمـــد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله مع التسليم ، وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى بن عبد الله الى احبابه واصفيائه انصـار الدين بالهوى والشرق والغرب وخصوصا العمـلاء والرؤوس : وبعد فاذا فهمتم هذا احبابى فألفوا عباد الله الذين يخرجون مسلمين ومنقادين بانواع التأليف وتلقوهم بالاكرام والتشريف ولا تنظروا لمن استشهد من الانصارفتحنقوا

بسبب ذلك على من كان مع الكفار فأن قيامنا هذا لله ومن استشهد من الانصار فقد نال عظيم المقدار فيما فعله لوجه الله فاكرموا الذين يأتون مسلمين وخصوصا العلماء ومن كانوا اهل وظائف كبار وبالاخص نحو الامين الضرير فقد قال صلى الله عليه وسلم : « اكرمـــوا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر ، والسلام »

وكتب الامام المهدى الى اهل الخرطوم يدعوهم للتسليم فقال :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله مع التسليم ، وبعد فمن العبد المفتقر الى الـــله محمد المهدى بن عبد الله الى كافة اهالى الخرطوم هــداهم الله الى الصواب وقد طالما ذكرتكم باللهورغبتكم فيما عنده وحذرتكم من وعيده فالى متى الغفلة والتسويف والى متى مبارزة مولاكم بالعداوة ؟ أترغبون النجدة والفرج عند الانجليز وتصرفون نظركم عن خالقكم الذى بيده اموركم وقوامكم وهو القوى العزيزفما الانجليز وغيرهم اضعافا مضاعفة بشىء فى جنب قدرة الله التى يعجز عن وصف كنهها كل لبيب ونجيـــب وما الغوث الا من عند الله القريب المجيب . وحيث فهمتم ما ذكر فانى لا اؤاخذكم بما فات منكم ولا تتريث عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فأنيبوا الى ربكم وسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون وعليكم امـــان الله ورسوله وامان العبد لله وليس عليكم حرج فيما مضى وغايته ان من سلم سلم ومن خالف عطب ونـــدم فهيا هيا ثم هيا الى طريق الفلاح والنجاح قبل قص الجنا ح ولا تخشوا من شىء يحصل عليكم فأنا ناظرون فيكم آية قوله تعالى : واذا جاءكم الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمـــة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم والسلام »

ولما كان الامام المهدى حريصا على ان يجبر الخرطوم على التسليم حتى لا تندلع فيها الفوضى التى تصحب الفتح عنوة حرص على تكرار المكاتبة مع غردون لعله يظفر بمراده • ففى ٩ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هجرى الموافق ٦ يناير ١٨٨٤ ميلادى كتب له الخطاب الآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد ، فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى بن عبد الله الى غردون باشا فسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان اعرضت كان عليك اثمك واثم من معك فقد اتانى الخبر من الرسول ان الجردة الآتية لو كان معى ستة انفار تموت أو خمسة تموت أو واحد تموت أو وحدى كذلك ولو كانت مثل ورق الشجر ونبت الوعر وموج البحر وقد اتانى خبرها أنها تموت ايسر من موت جردة ولد الشلالى وهكس والمديريات الغربية كلها والبحر الابيض وكذلك موعود بجميع البلاد فالامر لله ومادام أيدنى بالكرامات وبالنصر فلا يضرنى انكار منكر وانما يضر نفسه فقط والامر الذى وعدت به من رسول الله صلى الله عليه وسلم صار على ان الجردة التى تعتمدون عليها مالها وجه يوصلها لكم من سد الانصار الطرق فان اسلمت وسلمت فقد عفونا عنك وأكرمناك وسامحناك فيما جرى منك وان ابيت فلا قدرة لك على نقص ما اراده الله والسلام »

« تحشية : وان طلبت زيادة بعد وصول جوابى هذا فتخبرك المرأة الواصلة اليك وان رأيت التمكين واليقين ان اردت التسليم اكثر من هذا الجواب سنرسل لك عبد القادر ولد ام مريوم لزيادة الطمأنينة فى الامان فلا مانع وبذا لزمت التحشية »

وفى خطاب آخر ارسله المهدى لغردون فى ٢٠ ربيع اول سنة ١٣٠٢

هجرى الموافق ٧ يناير ١٨٨٤ ميلادى قال فيه بعد البسملة والحمد لله والاستهلال :

وبعد فأن اراد الله سعادتك وقبلت نصحناودخلت فى امانتا وضماننا فهو المطلوب وان اردت ان تجتمع على الانجليز الذين اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهم فنوصلك اليهم فالى متى تكذيبنا وقد رأيت ما رأيت وقد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاك من فى الخرطوم قريبا الا من آمن وسلم ينجيه الله ولذلك احببت لك الا تهلك مع الهالكين لاننا قد سمعنا مرارا فيك الخير ولكن على قدر ما كتبناك للهداية والسعادةما اجبتنا بكلام يؤدىالى خيرك كما نسمعه من الواردين والمترددين وللآن ما آيسنا من خيرك وسعادتك ولما سمعنا من الفضل فيك سنكتب لك آية واحدة من كتاب الله عسى ان ييسر الله هدايتك بها اذ جعلنا الله باب الرحمة والدلالة الى الله ولذلك طالما كاتبناك لترجع الى وطنك وتحوز فضالتك الكبرى ولئلا تيأس من الفضل الكبير اقول لك ، قال تعالى : « ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما » وقد بلغنى فى جوابك الذى ارسلته الينا انك قلت ان الانجليز يريدون ان يفدوك وحدك بعشرين الف جنيه ونحن نعلم ان الناس يتقولون منالباطل كلاما كثيرا ليس فينا وذلك لصدود من اراد الله شقاوته ولا يعلم نفيه الا من اجتمع بنا وانت ان قبلت نصحنا فبها ونعمت والا ان اردت ان تجتمع على الانجليز فبدون خمسة فضة نرسلك اليهم والسلام • فى تاريخه »

فاجابه غردون معرضا عن التسليم طالبا منه ان يرسلاليه عبد القادر ود ام مريوم فرد اليه المهدى بخطاب جاء فيه بعد البسملة والحمد لله والاستهلال :

نعلمك ان جوابك رد المحرر منا وصل الينا وفهمنا مضمونه وقد

عذرناك فى عدم اذعانك واجابتك لنا بالطاعة كما طلبنا منك وذلك انك لم تدر الحقيقة التى نحن عليها وبحسب قيامنا ودلالتنا الى الله وشفقتنا على عموم خلق الله حتى من هو مثلك لم يطب قلبنا بصرف النظر عنك ولا زلنا ندارجك عسى الله ان يهديك الى سواء السبيل فاجب داعى الله واغتنم سلامتك من الشر الوبيل فقد رأيت ما حل ونزل ولا زلت ترى ولا طاقة لك ولا لاعوانك على حرب جند الله عز وجل وقد ذكرت ان عبد القادر ود مريوم حبيبك وتقبل قوله ونصيحته وطلبت ارساله اليك فعلام ذا ؟ هل انت منيب الى الله وقصدك التسليم لنا على يد المذكور ام أنت على تصميمك فى اعراضك ومعاداتك لربك فأفدنا على هذا لنعلم طلبك له على أى الوجهين هو ونرسله لك ان رأينا فى ذلك صلاحا للدين واقول لك ان عزة الاسلام خير لك وابقى لدوام احترامك فى الدارين فتحل بها ان عقلت والسلام ، ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٠٢ هجرى الموافق ٨ يناير سنة ١٨٨٤ ميلادى »

تعددت المكاتبات ما بين الامام المهدى وغردون وكانت تجرى على وتيرة واحدة فالامام المهدى متأكد تأكدا روحيا راسخا ان الله سوف ينصره وقد ايدته النتائج الملموسة فى قوة جيشه وانقياد البلاد له واتباع سكانها لدعوته وغردون متأكد تأكدا راسخا ان الامبراطورية البريطانية لا غالب لها فيكفى ان يصل عدد قليل من جنودها لتنفرج الازمة ويتقهقر الانصار كما ان لغردون ثقة كبرى فى نفسه اذ قاد رجال امبراطور الصين وحده للنصر ضد عدد كثيف من الثوار ولذا فقد اعرض عن كل ما عرضه عليه الامام المهدى .

فى ١٧ من يناير عام ١٨٨٤ ميلادى وصل جيش الانكليز المرسل لنجدة غردون ابا طليح حيث التقى بجيش الانصار بقيادة الامير موسى ولد حلو وبدل ان يكون وصول الانجليز سببا فى تقهقر الانصار كما ظن

غردون كان سببا فى اتخاذ الامام المهدى قراره بفتح الخرطوم عنوة حتى لا ينشغل الانصار بالحرب فى جبهتين •

ستيوارت لمقابلة الجيش البريطانى :

عندما بدأت قوات الانصار تحاصر الخرطوم وشعر غردون بأثر ذلك على موقفه رأى ان يرسل وكيله ستيوارت فى وابور ليذهب لمقابلة قيادة الجيش البريطانى ويطلعهـــا على موقفه من المؤن والاستعـداد ويستعجل قدوم النجدة •

قام الوابور واسمه العباس من الخرطوم واخترق سبيله حتى اصابه عطل فى تجاه بلاد المناصير فوقع ستيوارت ومن معه فى قبضة شيخ المناصير فقتل استيوارت وصحبه واستولى على ما معهم من رسائل وبيانات وارسل بها للامام المهدى دلالة على ولائه فعندما وصلت هذه الرسائل والبيانات الى الامام المهدى رأى ان يكشف أمرها لغردون لعله يقتنع بأن المهدى اصبح قابضا على زمام الامر ولا مفـر لغردون الا فى التسليم ، فكتب الامام المهدى لغردون الخطاب الآتى بعد البسملة والحمد لله والاستهلال:

« الى غردون باشا الخرطوم هداه الله للطريق القويم • اما بعـد فاعلم ان وابوركم الصغير المسمى بعباسى الذى بعثتموه بقصد توصيل اخباركم لمصر بواسطة دنقلا ، المرســول فيه وكيلكم ستيوارت باشا وقنصلى فرنسا والانجليز ومن معهم قد وقع فى القبضة بأذن الله تعالى ونجامنه من آمن بمهديتنا وسلم الامر الينا وهلك فيه من لم يتبع كوكيلكم المذكور والقناصل وغيرهم وعجل الله بارواحهم الى النار وبئس القرار وصار ذلك الوابور وما فيه غنيمة للمسلمين وقد اطلعنا على باطن ما فيه من المكاتبات والتعريفات عربية وافرنجية وجغرافية بعد فكها بواسطـة من منّ الله تعالى عليهم ونور قلوبهم بالايمان وحسن الاتبــاع كما وان

البوستة المبعوثة من طرفكم لمدير دنقلا مع ما هـو مرفوق معها لاجل بعثها للجهات المصرية والاوروباوية ضبطت وما فيهـا علم وكان مقتضى عودتها جميعا لكم لعدم لزومها انما مادام اصلها مرسولة منكم ومعلومة لطرفكم فاستنسـب ان نبعـث لكم البعض منهـا ليتأكد بطرفكم ذلك ويرسخ بذهنكم حقيقة ما هنـاك رجاء ان يهديكم اللـه للاسلام وللتسليم وتسلموا انتم ومن معكم لتفـوزوا بالنعيم السرمدى والخير الابدى ٠ وهو ان منها الجواب الجفرة المؤرخ غرة الحجة ١٣٠١ هجرى المرسل لمصطفى ياور مدير دنقلا رد جوابه الرقيم ٢٠ اغسطس سنة ١٨٨١ بانكم اعطيتموه رتبة اللواء الذى بظاهره تلغراف لخديوى مصر لاجل اعتماد تلك الرتبة للمذكور وكذلك اطلعنا على يومية موجود الشونة ، التى بختم ناظرها عثمان موسى وهى ٣٣٦٤ ــ و ١٤٣ أردب قمح لآخر ما بها وكذا يومية موجود الجبخانة التى بختم ناظرها المؤرخة ٢٥ شوال سنة ١٣٠١ البالغ كمية عدد ما بها ٥٨١٣٩٥ كماوالتلغراف المحرر لخديوى مصر ولنـوبار باشا ولقنصل جنرال الانجليـز بمصر من التسعة عشر شخص الواضعين اختامهم به الذين هـم ريس مجلس الاستئناف حسن عبد المنعم واعضاؤه والسر تجار والتجار الراغبين فى استبـدال السكة الحديد السودانية التى صعب امرها على حكومة مصر بالوابورات البحرية والنقط العسكرية والخطوط التلغرافية ما بين كل شلال وايضا الجواب الذى مع قنصل فرنسا المحرر منكم له فى ١٨ رمضان سنة ١٣٠١ نمرة ٥١٢ شطب ٣٨ بوصول المائة فرنك الموزعين على الفقراء والمساكين ثم جوابكم رقم ٦ ذو العقـدة سنة ١٣٠١ نمرة ٣٤ شطب ١٤٤ المبعوث لنوبار باشا جنرال الانجليز وناظرمالية مصر المخبرين فيه بكيفية الخمسين ألف جنيه الواردة من مصر لبربر واغتنموها انصار الدين وكيفية السلفية من التجار بالربا عن المائة قرش قرش واحد بأمل دفعها لاربابها او وكلاهم بتلك الجهة ومخاطبتكم رقم ٤ المبعوثة لريس مجلس النظار المرفوق معها

كشف بستة عشر نفر المتطلبين فيها التتميم بالرتب التى عينتموها لهم وخطابكم المرقم ٢١ شوال سنة ١٣٠١ نمرة ١ شطب ١٤١ لمهر دار خديوى مصر باعتماد ما اعطيتموه من الاربعة نيشانات المرسولة عينتها والرتب المذكورين ضباط والكشف الحاوى أحد عشر نفر كمثل النور بك قمندان عساكر سنار المجعول لوى وغيره وتلغرافكم المرقم ١٩ العقدة سنة ١٣٠١ نمرة ٢٣ للمردار المذكور باعتمادكل من ابراهيم فوزى وموسى شوقى ومحمد نصحى لواءات وجواباتكم الافرنكية الموضحين فيهاكيفية اسلام وكيلكم كوستى مع كيفية الجوابات التى وردت اليكم من عملائنا من النصايح وبكمية الاوروباويين الموجودين بالخرطوم الذين هم ثلاثة انجليز واثنين نمسا وواحد روسيا وواحد فرنساواربعة يونانية واربعين اروام ويومية الاسلحة والجبخانة والمدافع وغير ذلك المختومة بختم فرج الزنبى قمندان العساكر التى بها مدفعين كروب بمائتين اربعة وثمانين طلقة واحد عشر مدفع جبلى وجبخانتهم الفين وثلثمائة وثلاثة والمدفعين القبس وجبخانتهم ثلثمائةوخمسةعشر والخمسةمدافع شرحه وجبخانتهم الخمسمائة خمسة وستين والمدافع الاردى والمدفعين المتريوز الخالين عن الجبخانة والثمانية سواريخ والخمسمائة تسعة وستين جبخانتهم والسبعة آلاف واربعمائة وخمسين بندقية رافنتون والالف ومائتان وخمسين بندقية قبسول والمائتان ستة واربعين بندقية ارشلق والمائة سبعة وعشرين بندقية خشخان ترز قديم والتسعة عشر طبنجة وجبخانات الرافنتون التى هى ١٥٣٢٢٣ وسنه وغيره ومقدار الجهادية وهم اثنين اميرالايات وخمسة قايمقامات . وهكذا باقى الوظائف والفين وثلثمائة وسبعين نفر جهادى وارادى الباشوزق والشايقية والخطرية البالغ قدرها ستة وعشرون اوردى باربعة آلاف وسبعمائة سبعةوتسعين نفر وبيان خدم الترسانة والوابورات وابورا وابورا وايضا اطلعنا على جوابى صالح الملك السنجق سابق الذى كان سبق تسليمه للمهدية احدهم الرقيم ٤ رجب سنة ١٣٠١ الظاهر فيه

والثانى الرقيم ٥ منه المؤدى لكم فيه ما اوراه ومتطلبا صرف استحقاقه وايضا اطلعنا على تلغراف الضباط ورؤساء الدواوين والقاضى والمفاتى والعلماء البالغ قدرهم اربعة وثلاثون المعروض منهم لمهردار خديوى مصر الرقيم ١٩ ذو العقدة سنة ١٣٠١ المستنجدين فيه الحكومة الملصوقة فيه بوصلتكم لمدير دنقله من اجل سحبه تلغرافاتكم الجفرة احدهم الرقيم ١٥ شوال سنة ١٣٠١ لمهر دار خديوى مصر الموضحين فيه انه بوصولكم الخرطوم تراءىلكم عدم امكان سحب العساكر والمستخدمين لمصر بسبب الهيجان وقطع الطرق ولذلك تطلبوا الاسعاف بالامدادية وما كادت تحضر حتى حصل ما حصل لمديرية بربر وكيفية حضوركم بسبعة انفار بعد انقراض جيش هكس وتطلبكم ارسال تلغراف لكم بالتصريح من جهة السودان بالعربى لاطلاع اهالى الخرطوم عليه لان التلغراف الوارد بالجفرة لم يفهم منه المقصود سوى أخذ معلومات فقط وضياع الوقت بدون فايدة حتى انه من كثرة الوعد منكم لاهل الخرطوم بحضور الامدادية صرتم عندهم اشبه بكذابين وتطلبكم ارسال عساكر شاهينة ووعدكم بارسال وكيلكم استوارت والمسيو ياور لدنقله الذين اهلكهم الله والثانى بالتاريخ والصورة المذكورة لريس مجلس النظار والمستر الانجليزى بمصر والثالث الرقيم ٩ ذى العقدة سنة ١٣٠١ للمهردار الموعدين فيه عن ارسالكم الفرقةلضرب الشيخ العبيد التى توجهت واهلكها الله تعالى ثم جوابكم لخديوى مصر الخالى عن التاريخ المتطلبين به ارسال عساكر انجليز وتعيين الزبير بامدادية لعودة العساكر المصرية لمصر أو ان تعطى السودان للسلطان ليحصر امدادية مائتان الف نفر وان لم يحصل ذلك فالموجودين بالسودان يقتلوا فيكون مدانا بدياتهم لآخر ما اوضحتموه فيه ان محمد على باشا الشخص الفريد الوحيد فى السودان وتقدروا ان تعتمدوا عليه نايبا عنكم وقد اهلك الله معتمدكم محمد على المذكور والرابع الرقيم ٩

العقدة سنة ١٣٠١ لخديوى مصر ولنوبار باشا والقنصل الانجليز بمصر المورين به انكم منتظرين حضور الامـدادية السابق طلبها بسكة مروى والتلغراف المرسول للمذكورين ايضا بذلك التاريخ المورين فيه محاربة الانصار ووجود مؤونة خمسةشهور عندكم والتلغراف للمذكورين الرقيم ٣ العقدة سنة ١٣٠١ الزاعمين فيهحصول قتل ابراهيم العبيد وبلوغكم خبر قدومنا وعـدم تحقيق ذلـك وجوابكم لريس مجلس النظار والمستر الانجليزى بمصر الرقيم ١٥ شوال سنة ١٣٠١ المورين فيه تعيينكم الثلاثة وابورات لتفقد احوال سنار وانكم سترسلوا عساكر لبربر لاسترجاعها وترسلوا معهم استوارت والقناصل الذين اهلكهم الله والتلغراف الرقيم ١٥ شوال سنة ١٣٠١ المبعوث لريس مجلس النظار والمستر الانجليزى الذى وعدتم فيه بارسال الفين عسكرى لبربر لاسترجاعها وان لم تصل عساكر امدادية لبربر لتقويتها فعند نزول مياه النيل يحصل بها ما حصل اولا • وتلغرافكم لخديوى مصر ونوبار باشا الرقيم ١٧ العقدة ١٣٠١ المورين فيه انه كان من عزمكم نقل من بمنطقة سنار ثم تراءى لكم عدم امكان ذلكوتكدير اهالى ومستخدمين الخرطوم وسنار منعدم الاسعاف بالامدادية وتلغرافكم الرقيم ١٨ العقدة ١٣٠١ لخديوى مصر ولنوبار باشا وللجنرال الانجليزى من ارسال استيوارت ومن معه بالوابور الصغير والوابورين الكبار الذين اصحبتموهم بهللمحافظة وانهطال ماحررتم بطلب الامدادية والنظر لحالة السودان بغاية الاهمية فلا كـان ترد لكم افادة بالكلية حتى تسلمت نفوس العالم • وتلغرافكم الرقيم ١٥ شوال سنة ١٣٠١ المورين فيه ان الفرمان الصادر من الخديوى لكافة عمد واعيان السودان بالاعلان عن انجلاء عساكر الحكومة منها واخلاها لهم واجعال حكامها منها وفيها لم يمكنكم اعلانه عليه بسبب ما هو حاصل والاختام الاثنين المنقوشين باسمنا تقليدا لختمنا لآخرما كان من اخباركم وما انطوى عليه ضميركم وما انتم مرتكنين عليه من القوة والعصمة دون الله فهم

جميعه وانه لا تنفع التحليلات باصطناع الجغرافيا والتفرغ للغات المكاتب لان الله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافيـة واما انتظاركم للامداديات والارتكان بالاعتماد على غير الله تعالى لا يعود عليكم سـوى الهلاك والوقوع فى الخطر الاكبر دنيـا وآخرة وحيث ان الله تعالى قـد ازال بظهورنا الفساد وقمع اهل الريب والعناد وهدى العقلاء الى طريق الرشاد ولا ملجأ سوى الله تعالى وامتثال الامر له ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولنا • ولا بد قد بلغكم ما حل باخوانكم المنتظرين منهم النجدة بسواكن وغيرها فالله تعالى قد اهلكهم وشتت شملهم وخذلهم ومع ذلك فحيث اننا حضرنا الآن بمشرع القبة على مرحـلة من امدرمان متوجهين عـلى مشيئة الله لجهتكم فأن انبت الى الله تعالى واسلمت وسلمت الامر لله ورسوله وصدقت بمهديتنا فأرسل مخاطبة منك وممن معك جميعا الينا بعد وضع السلاح ورفع المحاربة لنرسل لكم من يأمنكم وبذلك تحوزوا خير الدارين وان لم تفعلوا ذلك فأذنوا بحرب من الله ورسوله واعلموا ان الله تعالى قادر على هلاككم كما اهلك من قبلكم ممن هو اشد منكـم قوة واكثر جمعـا وتكونوا انتم واموالكم واولادكم غنيمـة للمسلمين وتندموا حيث لا ينفع الندم لانه بعد وقوع الحرب ان سلمتم فيكـون ذلك عنوة لا رغبة ولا حول ولا قـوة الا بالله والسلام على من اتبـع الهـدى »

سقوط الخرطوم :

استشارة ذوى الرأى :

بعد فتح امدرمان وردت اخبار للمهدى بقدوم جيش من الانجليز نجدة لغردون لتخليصـه فطلب المهدى خلفاءه والامراء والاعيـان واستشارهم فى الامر فاشار عليه بعضهم باعداد الجيش لمقاتلة الانجليز القادمين وصدهم عن الخرطوم واشارت عليه الاغلبية بتوجيه قوته لفتح

الخرطوم ثم التفرغ لمقاتلة الانجليز ومن مشاهير أهل الرأى الاخير السيد محمد عبد الكريم (٣٢) والياس باشا ام بربر (٣٣) ومحمد ولد نوباوى امير بنى جرار وكان ذلك فى يوم السبت ٧ ربيع الاول عام ١٣٠٢ هجرى بمنزل السيد محمد عبد الكريم .

وفى مساء الاحد طلب الامام المهدى الخلفاء واصحاب الشورى الخصوصية واخبرهم بأن الامر استقر على فتح الخرطوم اولا ثم أمر السيد محمد عبد الكريم والسيد محمد احمد الشيخ ادريس ان يعبرا للجهة الشرقية من النهر مختفيين ويحضرا معهما ولد النجومى وعبد الحليم مساعد والحاج محمد ابو قرجه وعبد الله ولد جباره ومكين النور وينتظرونه بمنزل السيد محمد عبد الكريم فى ديم ابى سعد . وتم ذلك كله خفية وقابل المهدى الخلفاء الثلاثة واحمد ولد سليمان واخبرهم بأمر فتح الخرطوم وامرهم بالعودة لمراكزهم سرا وابلاغ الامراء ليقابلوا المهدى سرا فى شجرة محى بك . وامر السيد محمد عبد الكريم والسيد محمد احمد شيخ ادريس ان يذهبا مع القواد ويبلغا الامراء عن ضرورة كتمان أمر مقابلة المهدى وان يسوقا الجيش لمقابلة المهدى بالشجرة دون ان يعلماه بانه سيقابل المهدى .

وعبر المهدى للشاطىء الشرقى وقابل الجيش قريبا من حلة الشيخ دفع الله الغرقان وبايعهم على الموت وعدم الفرار من الجهاد بعد ان بلغهم بأن سيكون الهجوم على الخرطوم فى صباح الغد ثم قال لهم : « عاهدونى على كسر الرقاب وان لا تأخذوا شيئا من الغنيمة ولو ابره فى خيط » وقال لهم « اذا سقط الواحد منكم فى حفرة القفرة وكسرت رقبته تمشون عليه ويدوس الواحد اخاه فيتخطى به القفرة ولا يبالى . هل تعاهدونى على ذلك ؟ » فضجوا جميعا بصوت واحد « عاهدناك على قص الرقاب » ثم التفت المهدى فرأى اكواما من القش والعناقريب فسأل

عنها فقيل له قد احضرها الناس ليردموا بها القفرة ليمروا عليها فقال لهم ان شاء الله لا تحتاجون لذلك •

الغردون يا اخواننا :

ثم قال لهم : « الغردون يا اخواننا لا تقتلــوه بل اقبضوه حيـا واحضروه لنا فأن هذا الرجل عظيم عند أهله جدافلا تقتلوه لان قبضه حيا فيه فائدة عظيمة فانا نريد ان نسلمه لاهله ونفدى به رجلين عظيمين هما الزبير وعرابى ولشدة عظمته عند اهله اذا طلبنا منهم ان يفدوه بعشرين رجلا لقدموهم فدية له »

ثم قال لهم : « وعليكم بقتال من فى خط النـــار أولا حتى يدخلوا البلد ولا تقتلوا من يرفع لكم راية التسليم ولا تقتلوا من يغلق عليه بابه» وقد وصى المهدى بعدم قتل فرج باشا الزين القائد العام والشيخ محمد حتيك قاضى القضاة والشيخ الامين الضرير شيخ الاسلام والسيد حسين مجدى والمفتى شاكر والشيخ محمد الخرصانى والشيخ محمد السقـا والسنجك محمد قرضيهوابنه السنجك احمـد محمد قرضيه واحمد بك على جلاب مدير الخرطوم والشيخ سليمان الدراوى سر تجار الخرطوم ومحمد سليمان المنفى ومحمد طه الشامى • وقد نبه الامام المهدى القواد والامراءوعموم الجيش بعدمقتل المذكورين اعلاهثم كرر عليهمالتنبيهقائلا « الغردون لا تقتلوه ولو قتـل منكم مائة رجل » كما أمر بعدم قتـل الشيخ صالح ارباوى وعين المهدى بعض من يعرفون منازلهم من ذويهم ليحافظوا عليهم ومع ذلك فقد قتل بعضهم •

من قتل غردون ؟

فى قتلغردون عدة روايات والثابت منها انه قتلهمرسال مولى الحاج حموده ومن هذه الروايات (١)

اولا : رواية شائقة روجها الاجانب فقالوا ان من قتل غردون هو الامير محمد ود نوباوى بينما كان ود نوباوى ضمن جيش خليفةالصديق الذى كان مرابطا فى امدرمان ولم يشترك فى فتح الخرطوم •

ثانيا : وقيل انه قتل بيد الهدندوة الباركين برئاسة المقدم الشريف الماحى من جيش الامير عبد الحليم لانهمكانوا فى مقدمة جيش الامير عبد الحليم فدخلوا سراى غردون قبل اميرهم ولما وصل الامير عبد الحليم سأل : « اين غردون ؟ اين غردون ؟ »فاخبروه بانه قد قتل قبل دخولهم وانهم وجدوا رأسه محزوزا فاتهمهم بقتله فانكروه وتأسف على ذلك وارسل الرأس للخليفة شريف القائد الاعلى للجيش الذى فتح الخرطوم وكان هو والخليفة على ولد حلو بمنزل محمود بك احمدانى وقد تأسفا لذلك ثم عين الخليفة شريفالمقدم احمد شرفى وعبد القادر ولد حسن واحمد عبد الكريم ليذهبوا الى السراى ويتحققوا عن كيفية قتل غردون ومن قتله فخبرهم الامير عبد الحليم بما قام به من تحقيق وفشله فى معرفة القاتل • ثم ارسلا الرأس للمهدى بامدرمان على وابور الاسماعيلية وكان فيها كثير من الامراء والانصار وعند وصول الوابور تناول الرأس أحمد ولد سليمان وقدمه للامام المهدى فسأله : « ما هذا ؟ فقال له : « هذا رأس غردون » فاستشاط غضبا وقال لهم : « ما هذه الافعال ؟ ولماذا انتم دائما تخالفون أمرنا ؟ أما سمعتم امرنا المتكرر بعدم قتله فلماذا قتلتموه ؟ ثملماذا مثلتم به وقطعتم رأسه ؟ وما الفائدة فى قطع رأسه وارساله لى ؟ » فاسرع احمد ولد سليمان بتنحيته من امام الامام المهدى •

ثالثا : وهذه هى الرواية الثابتة بالدليل والبرهان فقد حدثنى الشيخ ابراهيم على صابر المغربى الذى كان كاتبا لراية الامير ميرغنى سوار الدهب بأن الذى قتل غردون حقيقة هو مرسال مولى الحاجحموده وكان مرسال هذا برقدار لراية الامير ميرغنى سوار الدهب • وقال

محدثى : « وصلت رايتنا للسراى عند انفجر وكان مرسال قريبا منى وقد رأى رجلا واقفا فى الدور الاعلى من السراى مطلا من النافذة وهو غردون وقد كان مشغولا بالنظر الى جيوشه المنهزمة ظن مرسال ان بيده سلاحا فاراد ان يبادره قبل ان يصيبه بسلاحه فقذفه برصاصة اسقطته على السلالم وهو لا يعلم انه قتل غردون • وفى الحال دخل ابراهيم على صابر الى السراى وصعد للدور الاعلى فوجد ان المضروب هو غردون وهو فى النزع الاخير وكان يلبس بدلة تشريفة وعليها نياشينه وقد دخل ايضا عبد القادر ولد كوكو الذى كان قاضى سرية حموده وقد قتل فى واقعة فركه » قال محدثى « فسألنى عبد القادر : من هذا ؟ فقلت له : هذا غردون • قال وكيف عرفته ؟ قلت : اعرفه منذ ان جاءنا فى كردفان وهو يحلق شعر فكه ويترك شعر عوارضه » فلما تحقق ان هذا الوصف ينطبق عليه أخرج سكينه وحز بها رأسه• ولما علم مرسال بانه قتل غردون باشا اختفى وطلب من الذين حضروا معه ان يكتموا ذلك ولهذا لم يعرف قاتل غردون الحقيقى •

عندما اخبرنى الشيخ ابراهيم على صابر بذلك ارسلنا معه مندوبين ليتحققوا ذلك من مرسال أو من سادته فلم يجدوا مرسالا لانه قتل فى واقعة كررى ولما سألوا سيده خاف واضطرب وقال لهم : « قد سمعنا من مرسال نفسه بانه هو الذى قتل غردون خطأ ولم يكن يعرفه وقد قتل مرسال نفسه فى واقعة كررى » ثم قال لهم : « ماذا تقصدون من ذلك ؟ » فقالوا له : « نريد معرفة الحقيقة فقط »

كيف نظم الهجوم ؟

كانت الحكومة قد بدأت تحصين الخرطوم وسنار منذ هجرة المهدى لقدير وقد اهتم بذلك أحمد بك على جلاب مدير الخرطوم • وقد حفر خندقا « ققرة » حول الخرطوم عرضه اثنا عشر ذراعا وعمقه بين اربعة

وستة اذرع او اكثر وجعل داخله على شكل مزلقان حتى لا يستطيع من يسقط فيه ان يخرج منه ووضعت حول الخندق اسلاك شائكة وتحتها وضعت قذائف الديناميت ونشرت بينها « الضريسة » وهى قطع من الحديد لها ثلاثة رءوس حادة ترتكز على رأسين ويبقى ثالثها عاليا فتطعن من يطأها وخلف كل هذا التحصين بنى سورا فيه كوات « مزاقيل » للبنادق وفيه طوابى للمدافع فى مواطن عديدة . وكانوا يواصلون الحفر كلما هبط ماء النيل وقد صادف ان نزل النيل يوم الهجوم مسافة كبيرة لم يتمكنوا من حفرها فدخلت بها خيول الانصار من الجهة الواقعة فى الركن الجنوبى الغربى المواجه لحلة الغرقان .

وكان هجوم الانصار الرئيسى من القلعات الثلاث المواجهة لباب الكلاكله وباب المسلمية وباب برى وكانت اجنحة هذه الصدور الثلاثة تكاد تكون متصلة ببعضها البعض حتى ان خط الهجوم كان سائرا فى نصف دائرة مرتكزة على النيلين الابيض والازرق . وكانت القيادة العامة للامير عبد الرحمن النجومى مع اشراف الخليفة شريف وقاعدتهما الرئيسية بحلة الغرقان. وكانت امارة قسم المسلمية لحاج محمد ابو قرجه وكان قسم برى تحت قيادة عبد الحليم مساعد .

كان اهتمام القيادة محصورا فى القضاء على خط النار اولا . لذلك لم يتبع الانصار العساكر الذى انهزموا فى دفاعهم عن باب المسلمية وانما قاموا بتطويق طابية برى من الخلف فقضى على الدفاع فى مدة وجيزة ثم اتجهت الجموع صوب المدينة فتم الفتح قبل ان ينتصف النهار وما النصر الا من عند الله . وقد تم فتح الخرطوم فى التاسع من ربيع الثانى عام ١٣٠٢ هجرى .

الباب الرابع

سرايا وانذارات لكل الجهات :

بعد فتح الخرطوم التفت المهـدى لارسال السـرايا لكل جهات السودان كما أرسل كثيرا من الانذارات داخـل وخارج السودان ومن ذلك انه عين جيش الامير عبد الرحمن النجومى للمسير الى المتمة ومقاتلة الانجليز وعين جيش السيد محمد عبد الكريم لسنار وعين جيش حمدان ابو عنجه لمقاتلة الجبال التى لم تدخل فى طاعة المهدية وكاتب الحكومات المصرية والانجليزية والحجازية والحبشية

أمير العبابدة :

عين المهدى حسين باشا خليفة (١) أميرا على العبابدة وحمله مكاتباته للحكومة المصرية وللعلماء ولاهالى مصـر الاعيان والتجـار وللملكة فكتوريا ملكة الانجليز فغادر امدرمان فى ١٦ شعبان عام ١٣٠٢ هجـرى الموافق ٣١ مايو عام ١٨٨٥ ميلادى وهذا نص كتاب امارته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمـد المهدى بن عبد الله الى حبيبه فى الله وصفيه حسين خليفه تولاه مولاه واجتباه واكرمه واصطفاه آمين .

ايها الحبيب اعلم وفقنى الله واياك الى الصواب وجعلنا ممن اعتصم بحبل الله الوهاب ، ان الله سبحانه وتعالى قد اكرمكم بصحبتنا وجعلكم من انصارنا واعواننا واتم عليكم نعمة ظاهرة وباطنة بسماع وعظنا والتنور بانوارنا فصرتم بذلك من انصـار الله واحبابه وعددتم من الاصحـاب

الصادقين ولما كان موضوع أمرنا القيام بأمر الدين وجهاد اعداء الله الكافرين وقد انتهى امرهم بالسودان وعزمنا بارادة الله على التفرغ لغيرها من البلدان فقد اخترنا الله تعالى ووجهناك امامنا عاملا عموميا على كافة قبائل جماعتك العبابدة الذين بالجهات البحرية عشاباب وشناتير وفقرا وعلى كافة من يرغب الانضمام اليك من القبائل الاخرى بطوعه واختيار لتبليغهم دعوتنا وتعطيهم بيعتنا وتستنفرهم لاحياء الدين وحررنا لهم الاوامر بذلك وما تركنا لهم فى الدلالة على الله والترغيب فيما عنده والتنفير عن هذه الدار الفانية شيئا فخذ الاوامر المذكورة وتوجه على بركة الله وابذل وسعك فى ابلاغ الدعوة واستنفار الناس للجهاد ودلالتهم على طريق السداد وكما اذناك فى اعطاء البيعة لمريدها فقد اذناك فى جهاد الاعداء تركا وغيرهم وتولية من ترى فيه اصلاح المسلمين وعزل من ترى فيه افسادهم وفوضنا اليك الامر فى فعل كل ما ترى فيه مصلحة الدين بتلك الجهة فشمر فيما نبذناك اليه وقم بواجب أمرنا هذا وتوكل على الله واعتصم به وليكن اكبر همك الاقبال عليه ومحبة لقائه فأن من احب لقاء الله احب الله لقاءه واكرم نزله ووصيتنا الجامعة لك ان تتقى الله وتكون من الصادقين وان تسير فى الناس بسيرنا وامارتنا لك على شرط اتباع الكتاب والسنة فأن غيرت أو بدلت فلا امارة لك فافهم ذلك واسترشد به سدد الله امرك وجعلك ممن قال فى شأنهم : « الذين ملكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » وفقنا الله واياك على مرضاته والسلام فى ١٢ شعبان عام ١٣٠٢ هجرى ـ ٢٧ مايو عام ١٨٨٥ ميلادى .

تحشية : ثم اعلم ايها الحبيب انه قد سبق التحرير منا بامارةالحسن سعد محمد وشمعون ابراهيم والحسن ابى سيدين على جهات قبائل

العبابدة ثم صار منهم على محمد خير وحيث ان امارة محمد الخير محصورة ومحددة فلتكن امارات هؤلاء الجماعة على العبابدة الذين بمديرية بربر ويفضلوا مع محمد الخير كما كانوا ولا يمكن لاحد منهم تعرض العبابدة بخارج مديرية بربر وانما يكونوا تحت امارتكم بذا لزم الالحاق فى تاريخه والسلام ــ آه »

انذار خديوى مصر :

وحرر الامام المهدى انذارا لوالى مصر « الخديوى » هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدى بن عبد الله الى والى مصر : لا يخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره ان الدين الذى يكون المتمسك به ناجيا عند الله هو دين الاسلام الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونزل به القرآن من الملك العلام ، قال تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » وقال تعالى

ومن يبتغ الاسلام دينا فلن يقبل منه « وما سوى ذلك من الاديان فضلال يدعو الشيطان اليه حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ومن منحه الله تعالى عقلا يميز به بين الخبيث والطيب لا ينبغى له ان يصرفه الا فيما ينتج خلاصه عند الله يوم تزل الاقدام ويشيب الطفل ويشتد الزحام والا كان اسوأ حالا من البهائم حيث اضاع حكمة تركيب العقل فيه ولاسبيل الى السلامة عند الله الا باتباع دينه وسنة نبيه وامينه واماتة ما حدث من البدع والضلال والانابة اليه تعالى فى كل الاحوال وقد تأكد ذلك فى هذا الزمان الذى عم الفساد فيه سائر البلدان فان دسائس اهل الكفر التى ادخلوها على اهل الاسلام وضلالاتهم التى مكنوها من قلوب الانام قد افضت الى اندراس الدين وعطلت احكام الكتاب والسنة بيقين فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الانام وتراكمت الظلمات وانتشرت البدع

وابيحت محارم الاسلام واشتد الكرب على أهل الايمان فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر لتراكم البغى والعدوان فعند ذلك اظهرنى الله طبق الوعد الصادق رحمة لعباده لانقذهم من ظلمة الكفر الى نــور الايمان وادلهم الى الله على هدى منه وتبيان وطوقنى بالخلافة الكبرى المهدية وخلع علىَّ حللها البهية وبشرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالنصر على كل من يعادينى ولو كان الثقلين وبأن من يقصدنى بعــداوة يخذله الله فى الدارين وقلدنى سيف النصر وايدنى بقذف الرعب فى قلوب اعدائى ، يسعى امامى اربعين ميلا • واخبــرنى بأن املك جميع الارض وبأن من يشك فى مهديتى فقد كفــر بالله ورسوله ونفسه وماله غنيمة للمسلمين وبان الله ايدنى بالملائكة الكرام وبالجن والاولياء امواتا واحياء وهكذا من البشارات والعجــائب التى يطول شرحها وكل ذلك بحضرة الملائكة المقربين والخلفاء الاربعة والخضر عليه السلام وما كنت اترقب هذا الامر لنفسى ولا سألت الله اياه بل كنت اسأله يجعلنى معينا لمــن يقدم به فلما اراد الله ما كان وحكم الامر علىَّ سيد الوجود والاكوان قمــت باعباء هــذه الحمالة واعتصمت بالله وتوكلــت عليه واخبــرت الحكمدارية بأنى المهدى المنتظر وقد كــان بها محمد رءوف وما تركت لاهلها فى ايضاح هذا الامر شيئا وانا فى انتظــار الاختبار وتسليم الامر لله الواحد القهار فما كان منهم الا ان ضربوا عما اخبرتهم به صفحا وطووا عن قبوله كشحا وبادرونى بالمحاربة من غير روية ولا تثبيت فى هذا الامر الدينى الذى جئتهم به من خير البرية فايدنى الله كما وعــدنى • وهكذا صارت جيوشك تأتينى ثلة بعد ثلة واقدم لهم الانذارات ولم تنفعهم والله يؤيدنى وينصرنى عليهم كما وعدنى ويقطع دابرهم الى ان قلت حيلتك وتلاشى امرك فسلمت أمر امة محمد صلى الله عليــه وسلم لاعداء الله الانجليز بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم على غير الله فلما سول الشيطان لهم ادراك غردونهم بالخرطوم وآيست من هداية اهله وعلمت ان تكرر

الانذارات لا تنفعهم وحقت عليهم كلمة العذاب وصاروا مثل من قال الله تعالى فى شأنهم : « وسواء عليهم أأنذرهم ام لم تنذرهم ــ الاية » عجل الله بفتحه واهلاك من فيه واحرقت النار اجسامهم عيانا كالذين من قبلهم اظهارا للحقيقة وتعجيلا للعقوبة وصدق عليهم قوله تعالى : « حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة ــ الآية » ثم انذرت الانجليز فلووا رؤوسهم فوجهت اليهم طائفة من الانصار فقذف الله فى قلوبهم الرعب فولوا هاربين بعد ان اهلك الله فيهم من اهلكه وشتت شملهم وهذا كله غير خاف عليك وعن قريب يحل بهم من الدمار ما يكون عبرة لمن اعتبر هذا وان المؤمن المصدق بوعد الله لا يرى لجميع ما فى الدنيا من الفانيات قيمة ولا يأسف على ما فاته من ملكها الذى مآله الى الزوال وعظيم النكال وانما يكون مطمح نظره الى ماعند الله ومن النوال فى دار الكرامة والافضال فأن الدنيا لو بقيت للازل لم تنتقل للآخر ومن هنا نعلم ان هذا الملك لم يصل اليك الا بموت او عزل من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار اليك ، وحيث كان الامر كذلك فلا ينبغى لك ان كنت ترجو من الله نعيم الابد ان تأسف على ما فاتك من الدنيا بحذافيرها فدقق النظر واجمع عليك فكرك وتدارك نفسك واسع فيما ينجيك عند ربك اذا مثلت بين يديه وسألك عما جرى منك وسلم الامر اليه تسلم وما كان يحسن منك ان تتخذ الكافرين اولياء من دون الله وتستعين بهم على سفك دماء امة محمد صلى الله عليه سلم ألم تسمع قول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ، بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم الآية » وقوله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ــ «آية» وقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ــ الآية ، وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا

لا تتخـذوا الذيـن اتخـذو دينـكم هـزؤا ولعبا مـن الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء » وما هذه الطاعة لاعداء الله والله تعالى يقول : « يا ايها الذين آمنوا ان تطيعـوا فريقا مـن الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله » الى ان قال : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ــ الآية » فاذا كنت ممن ينظر بعين بصيرته ولا يؤثر متاع الدنيا الخسيس على نعيـم آخرته فاعتبـر بذلك وبادر الى النجاة والسلامة المصيرة وهى سلامة الايمان ونزه نفسك عن ان تكون فى أسر اعداء الله دائما ولا تهلك من معك من امة محمد صلى الله عليـه وسلم واغسل ما جرى منك بدموع الندم ولا تكترث بجاه الدنيا الفانى ولا بملكها الزائل فان لله دارا خيرا منها وقد اعدها لعباده المتواضعـين لجلاله ، قال تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ــ الآية » واياك والركون الى اقوال علماء السوء الذين أسكرهم حب الجاه والمال حتى اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فيهلكون كما اهلكوا من قبلك، ففى الحديث القدسى : «لا تسأل عنى عالما اسكره حب الدنيا فيصدك عن طريقى اولئك قطاع الطريق على عبادى » ولا تغتر بقوة حصن بلدك وكثرة اسلحتـك وعددك الظاهرية ومظاهرة اهل الكفر لك فانها لم تغن عنك من الله شيئا وكم اهلك قبلك من الملوك أهل الحصون المنيعة من هو اشد منك قوة واكثر جمعا لـما بغوا وعتوا فى الارض مفسدين ، وليكن فى علمك ان امرنا هـذا دينى مبنى على هدى من الله ونور من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيد من عند الله بجنود ظاهرية وباطنية وما قصدنا فيه الا احياء الدين واظهار آثارالانبياء والمرسلين ولا نريد مع ذلك ملكا ولا جاها ولا مالا ، فأن نور الله بصيرتك وخالفت النفس الامارة بالسوء وقبلت هدينا وانبت الى الله بنية خالصة فعليك أمان الله ورسوله وامانا وما بيننا وبينك

الا المحبة الخالصة لوجه الله تعالى ونكون الجميع يدا واحدة على اقامة الدين واخراج اعداء الله من بلاد المسلمين وقطع دابرهم واستئصالهم عن آخرهم ان لم ينيبوا الى الله ويسلموا • وقد حررت اليك هذا الخطاب وانا بالخرطوم شفقة عليك وحرصا على هدايتك فأرجو الله ان يشرح صدرك بقبوله ويدلك على صلاحك ورشادك فى الدارين وها انا قادم على جهتك بجنود الله عن قريب انشاء الله تعالى فأن امر السودان قد انتهى فأن بادرتنى بالتسليم لامر المهدية والانابة الى رب البرية فقد حزت السعادة الابدية وامنت على نفسك ومالك وعرضك انت وكافة من يجيب دعوتنا معك وان ابيت بعد هذا الا الاعراض عن طريق الفلاح والرشاد فأنا عليك اثمك واثم من معك ولا بد من وقوعك فى قبضتنا ولو كنت فى بروج مشيدة وهذا انذار منى اليك وفيه الكفاية لمن ادركته العناية والسلام على من اتبع الهدى ـ آه

انذار أهالى مصر :

وكتب الامام المهدى انذارا لكافة سكان مصر حكاما وتجارا وعمدا وغيرهم وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالى الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدى ابن عبد الله الى كافة سكان مصر حكام وتجار وعمد وغيرهم وفقهم الله وهداهم لرشادهم وولاهم آمين اهدى لكم السلام واعرفكم ان النجاة من عذاب الله انما تكون للمتمسك بدينه الذى جاء به نبيا محمد صلى الله عليه وسلم وقد رأيتم ما ناله من الاندراس الذى لا يخفى ولما ان اراد الله احياءه واظهار شعائره اعز وعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاظهرنى بالخلافة المهدية وامرنى بدعاية الخلائق الى العمل بالسنة المرضية ومن عهد ظهورى بهذا المظهر الدينى ما زالت دولة الترك تجيش

جيوشها وترسل رجالها لمحاربتى من غير استناد الى دليل شرعى ولا حكم مرعى بل رغبة فى ملـك الدنيا الفانى الـذى مآله الحسرة والنـدامة وجلب عـذاب الله يوم القيـامة وما زال الله يؤيدنى وينصرنى عليهم نصرا من عنده لا بحولى وقـوتى وقد اهلك الله جميـع عساكرهم الذين بالسودان على يدى واحرقهم بالنار عيانا شاهدهم جميع من رآهم حين ان قتلهم الله بسيفى وما ذلك الا اظهار لكفرهم وتعجيل لعقوبتهم ولا شك ان جميع ذلك قد بلغكم وتواتر اليكم من الواردين وما زلتم عن الحق معرضين وعلى حب حطام الدنيا الخسيس عاكفـين مع علمكم بأن الله قد ذم هذه الدنيا فى جميع كتبه السماوية ولا سيمـا القرآن فقد اكثر من ذمها فيه ويكفى من ذلك قوله تعالى : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ــ الآية » وقوله تعالى : « وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان ــ الآية »ولعظم شأن الآخرة عنده تعالى اعدها لعباده المؤمنين وجعل لهم فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واكرمهم فيها بالنظـر الى وجهه الكريم ودعاهم اليها بقوله تعالى : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ــ الآية » وحيث فهمتم خسة هـذه الدار الفانية وعظم تلك الدار الباقية فيلزمكم الاعراض عن هذا الفانى الخسيس والمسارعة الى حوزنعيم الابد النفيس ولا يخفى عليكم ماحصل منكم من التفريط فى جنب الله وتربص الدوائر بحزب الله بالركون الى محبة نصرة اعداء الله ومع ذلك فقد سامحناكم فى جميع ما جرى منكم ان بادرتم الى اجابة دعوتنا والانتظام فى سلك اصحابنا أول وصول كتابنا هذا اليكم ولا نقول لكم الا كما قال يوسف عليه السلام لاخـوته :

« لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين » وليكن فى علمكم ان أمر السودان قد انتهى ونحن قادمون على جهتكم بحزب الله قريبا ان شاء الله وما كاتبتكم بهذا الا شفقة عليم وخوفا من ان يحل بكم من العذاب ما حل باخوانكم الذين خالفوا أمرنا وغرتهم الامانى واعتمدوا على قوتهم الظاهرية التى انستهم قدرة الله على كل شىء فأن شرح الله صدوركم وتلقيتم امرنا هذا بالقبول فابشروا بخير الدارين وعليكم أمان الله ورسوله وامانتنا فى انفسكم واموالكم وعروضكم انتم وجميع من يجيب دعوتنا معكم وان ضربتم عن مقالنا هذا صفحا فاعلموا ان الله تعالى قادر لا يعجزه شىء فى الارض ولا فى السماء وقد وعدنى بالنصر وايدنى بملائكته وجنه وأوليائه وأخبرنى بملكى لجميع الارض وبأنه لا تثبت لقتالى انس ولا جن ولا بد بأذن الله من وقوعكم فى قبضتنا ولو اتخذتم نفقا فى الارض أو سلما فى السماء وستعلمون غدا من الكذاب . فيا عباد الله ارفقوا بانفسكم واصلحوا عاقبة امركم ودعوا هذا الاعراض والتلاهى بشهوات الدنيا المنقضية بالعلل والامراض تشوقوا للقاء الله فأن الدار آخرة والحياة آخرة وأن هذه الدار قد ولت مدبرة فاتخذوها معبرة ، ويحكم ويحكم ان لم تتداركوا نفوسكم وتنشلوها من هذا الوحل المفضى بكم الى العطل واياكم ان تغتروا بقوة حصن بلدكم فأن الله اقدر من كل قادر وكم اهلك قبلكم من أهل الحصون المنيعة من هو اشد منكم قوة واكثر جمعا فاعتبروا بهم وبما فعله الله عليهم لما بغوا وعتوا فى الارض مفسدين فالله الله عباد الله ، هلموا الى النجاح والفلاح قبل قص الجناح وهذا ما جهزته اليكم وانذرتكم به ولا داعى للتطويل فأن الهداية من الله الجليل ، اسأل الله ان يلهمكم رشادكم ويأخذ بنواصيكم الى طريق سدادكم ، هذا والسلام .

سرية السيد محمد عبد الكريم :

وجهها الامام المهـدى لسنار فحاصـرت سنار ثمانية شهر وتم لها الفتح فى محرم عام ١٣٠٣ هجرى .

منتهى العدل :

بعد وصول سرية السيد محمد عبد الكريم لسنار وردت شكوى للامام المهدى من جماعة من التجار انهم كانوا يحملون دمورا على حميرهم فقابلهم جماعة من الغديات تحت امارة الياس ود كنونه امير الغديات وعبد الصمدابو صفيه أمير البديرية وغنموا دمورهم وحميرهم واعتدوا على بعضهم بالضرب وقد قدم أحد هؤلاء التجار عريضة للمهدى فطلب المهدى الخلفاء والسيد محمد صالح ساتى والسيد عبد القادر احمد ساتى على والسيد أحمد شرفى والسيد أحمد عبد الكريم (٢) وامر بالعريضة فتليت امامهم ثم قال : « نحن كنا نبهنا على محمـد عبد الكريم وجيشه بأن يسيروا بالعدل ولا يظلموا احداً وحيث انه حصل منهم هذاالظلم فالاحسن نرسل لهم لارجاع هذه السرية لان الظلم لا يرجى معه نصر ، ثم طلب خليفة المهدى الرجل الذى قدم تلك العريضة فسأله : « هـل قدمت شكواك هذه لرئيس السرية السيد محمد عبد الكريم نفسه ؟ فأجاب سلبا . فقال خليفة المهدى للمهدى : «ما داموا انهم لم يقدموا شكواهم لرئيس السرية المسئول فأنى استحسن ارسال كتاب اليه صحبة البوستة وان يذهب هذا الرجل برفقتهم فاذا نظر فى شكواهم ورد اليهم حقوقهم حسب ما يقتضيه العدل فبها ونعمت والا فليكتب له أمر ثان بارجاع سريته .

ولما وصل الكتاب للسيد محمد عبد الكريم أحضر الياس ود كنونه وعبد الصمد ابو صفيه وامرهما باحضار السلع المنهوبة وأمر بمعاقبـة المعتدين فجلدوهم وحبسـوهم ثم نبه السيد محمد عبـد الكريم على

الامراء بانه اذا اعتدى شخص من اتباعهم على أحد فسيكون العقـاب على الامير لاهماله لانه مسئول عن اتباعه فاستقامت الحالة .

المهدى يصبو للقاء ربه :

بعد فتح الخرطوم مال الانصار عن الزهد الذى عليه المهدى فاترف بعضهم وسكنوا بيوت الخرطوم الفاخرة فلم يرق ذلك فى نظر المهـدى فانبأهم وتلى عليهم قوله تعالى : « وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا وتبين لكم كيف فعلنا بهم ـ الآية » ولما رأى ان بعضهم ما زال متماديا فى حب الدنيا بينما هو ينفرهم عن حبهاويزهد فيها ،أثر ذلك فى نفسه فأخذ يسأل الله الانتقال للدار الآخرة وذلك ظاهر فى الراتب ودعوة رمضان وخلافه ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

توزيع الاختصاصات :

بعد ان ثبت هلال رمضان واديت صلاة المغرب قال الامام المهدى للمصلين بعد ان ذكرهم بفناء الدنيا وبقاء الآخرة : « ان هذا هو شهر رمضان فلا تشغلونا باشغال دنيوية وقـد عينا لكم خلفاء وقضاة وامناء ونواب وامراء فمن كانت عنده قضية أو امر يريده فليرفعه لجهةاختصاصه اما للخلفاء أو القضاة او الامناء الستة او الامراء . اما المظالم التى تخص بيت المال فارفعوها الى أمين بيت المـال .

وفى نفس ذلـك اليوم وهو نهاية شعبان كتـب الامام المهدى منشورات بالمعنى المذكوراعلاه وامر بأن تلصق على الحيطان وفى الجامع وفى السوق وهذا هو نص المنشور الذى وزع :

منشور الوداع :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فيقول العبد لله محمد المهدى ان هذا الذى أقبل هو شهر رمضان ، زمن الاقبال على الرحمن ، وميدان الاشتياق الى عظيم الشأن ، فافرغوا ايها الاحباب فيه للديان ، ووطنوا قلوبكم على الشدائد والرضى بالبلايا والامتحان ، حيث وعدكم بذلك الرحمن لتبين أهل الصفوة والرسخان ، وبشر الصابرين بعظمة الشان وحسن العواقب وتولية الديان ، فتوكلوا على الله وفوضوا له كل ما يفعل لحسن الظن به اذ هو حقيق بالاحسان ، وهو العالم بما لم يعلمه الابوان قال بعضهم :

ولما رأيت القضا جاريا
بلا شك فيه ولا مرية
توكلت حقا على خالقى
والقيت نفسى مع الجرية

فلما كانت المنازعات لقضاء الله اما اوقفت العبد فى طلب ما لا يكون واما اوقفته فى طلب ما هو واصل اليه من الله بلا طلب ـ فأن طلب ما لا يكون فقد اوقع نفسه فى تعب لا طائل تحته وان طلب المخلوق فيما هو واصل اليه من الله فقد انقطع من الله فى ظنه ان الله لا يعطيه انما يعطيه الخلق ومع ذلك يكله الله على ما ظن فيه قضاء حاجته والمعلوم انه لا يدوم له ففوضوا الامر لله وارضوا بقضاء الله واصبرو على بلائه ، فأنه لا اله الا هو ولا رب غيره ولا حول ولا قوة الا به ، فتحققوا بذلك ايها الاحباب وانصبوا انفسكم لله وارفعوا حوائجكم اليه فكلنا عبيد الله والامر بيده ، فلا تشغلونى بقضايا ولا بحوائج فى هذا الشهر وخلونا للذكر والتذكار والصلوات والدعوات

فأن فقد العبد نور الصبر والرضى والتفويض واراد ان يرفع حاجته الى العبيد فهاهم الخلفاء نيابة عنى والنواب المعينين والقاضى ، فمن شغلنى بشىء فى رمضان بعد هذا فلا يلومن الا نفسه والسلام ، نهاية شعبان ١٣٠٢ هجرى

دعـوة رمضان :

وفى نفس هذا اليوم كتب الامام المهدى دعوة رمضان وهذا نصها :

اللهم انى احمدك حمدا كثيرا واثنى عليك ثناء كبيرا يا من اسدى نعما لا تحصى ووفق بفضله على حسن العمل وافوض امرى اليك فقد عجزت عن القيام بشكرك والثناء عليك بما اعطيت من فضل واسألك اللهم بكرم ذاتك ان تصلى وتسلم وتبارك على سيدنا محمد نبيك المرسل وعلى آله واصحابه الذين فازوا بحسن التصديق فاجتهدوا باحسن العمل وان تشوق قلوبنا اليك وان تمدنا بنور منك فنذعن اليك قبل انقضاء الاجل يا منشىء الخلق من العدم ويا محيى الموتى ويا جابر الكسير من الخلل لا تجعلنا دون من استجبت له دعاءه عندما سأل بحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، اجعل نور الشوق حاديا لظواهرنا وبواطننا حتى تسد منا مواضع الخلل ويزول كل تأخر عنك وتقوى الاعضاء على طاعتك بلا عطل فلا يكون لنا التفات الا اليك ولا اقبال الا عليك ولا هم الا بك يا من بك كل قوة وعمل ونسألك اللهم ان تملأ جميع اركاننا وزماننا بنور محبتك مع تعظيم نور النظر اليك والمراقبة لك واحفظنا من ظلمة من غفل ونسألك اللهم ان تؤنسنا وتؤمننا عند لقائك من كل خجل ووجل فلا طاقة لنا بسخطك ولا قوة لنا على عذابك فيا خير معيذ اعذنا عن سخطك ومما يوجبه ، استغثنا بك فاغثنا يارب من جميع العلل وقو عزائمنا حتى تقوى على اتبـاع سيدنا محمد الحبيـب الاعظم صلى الله عليه وسلـم • ونسألك اللهم بحقه لديك الا تفرق بيننا وبينـه فى الدنيا ولا فى الآخرة يا رب يا مبدئا بالكرم وارفعنا الى حسـن نياته مع عظيـم صلاته وقوة

الهم ونور صلاتنا بنور صلاته وهب لنا عظيم هباته وسيرنا بسيرة كما اظهرتنا من العدم وركب نوره فى ظواهرنا وبواطننا حتى لانزيغ عن حسن القدم ، وقو اعضاءنا بنوره حتى لا يعوقنا عنه خلل الطبع يا قادر يا عظيم الكرم واسألك اللهم بأن لكالحمد لااله الا انتبديع السماوات والارض ذو الجلال والاكرام صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد ما علمت من خلقك وما لم نعلم • اللهم صل على نبيك الحبيب سيدنا الدال اليك للسعادة والتقريب وسلم عليه تسليما عدد الذر يا رقيب واجزه عنا أفضل ما جازيت نبيا عن امته يا مجيب ويا سامع الدعاء ولا تفرقنا من حبيك القريب ، اللهم ارض عن السادة الكرام الذين شيدوا قواعد الاسلام وبذلوا جهدهم واخلصوا الشوق اليك وعدلوا لاجلك فى الانام ابى بكر وعمر وعثمان وعلى ومن كان معهم من السادة الاعلاماللهم ارضعنهم وارضاهم وانزلهم منمقعد صدقاعظم مقام وعمنا برضائك يا ذا الجلال والاكرام واجعلنا واصحابنا على اثر نبيك صلى الله عليه وسلم واصحابه الكرام ، ولا تزغ بنا عن سكتهم الى ان نلقاك سالمين من الآثام آمين •

ذكرى نافعة :

جاءه فى رجب بعض كبار المهدية ليهنوه بختان أبنائه فخاطبه السيد محمد صالح ساتى على بالتمنى المعتاد بما معناه نسأل الله ان يبارك فيك ويطول عمرك حتى تحضر زواجهم وذريتهم وان يمتعنا جميعا بوجودك فاغرورقت عينا المهدى بالدموع وقال لهم : « من يستعز بمن يموت فعزه يموت ، فاتركنا نحن وانتم ان نمسك فى الحى الذى لا يموت » فانقبضت نفوسهم تأثرا بقوله فسكتوا واجمين الى ان اعطاهم الفاتحة واذن لهم بالانصراف فانصرفوا •

وفاة المهـدى :

شعر المهدى بحمى فى ثانى يوم من رمضان واستمرت معه الى ان انتقل الى رحمة مولاه فى ضحى الاثنـــين الثامن من رمضان عام ١٣٠٢ هجرى .

من وصايا المهـدى :

من وصايا الامام المهدى لاهله الاشراف انه قال لهم : « انى خائف عليكم من اثنين، من الدنيا والخليفةعبد الله ، فاعلموا ان الخليفة عبد الله غيور وانه خليفتى عليكم بعدى فلا تخالفوه فى أمره .

الباب الخامس

خليفة الصديق يتولى الامر :

بعد انتقال الامام المهدى لرحمة مولاه صعد خليفة المهدى المنبر فى الجامع وبايع الناس وهذا نص المبايعة :

« بايعنا الله ورسوله ومهديه وبايعنا الخليفة عبد الله على السمع والطاعة والانقياد لحكمه والرضى بمراد الله »

وبعد البيعة قال لهم بعد التسليم والثناءعلى الله والصلاة على النبى « ايها الناس اعلموا ان ضعيفكم عنــدى قوى حتى آخذ له الحــق من القوى وقويكم عندى ضعيف حتى آخذ منه الحق للضعيف »

وفى اليوم الثالث لوفاة المهدى طلب خليفة المهدى جميع كبار أهل المهدى فى محراب الامام المهدى وهم : احمد شرفى ، ، احمد عبد القادر السيد محمد صالح ، السيد أحمدعبد الكريم ، احمد سليمان ، عثمــان النابر ، الشيخ طه ، السيد محمد حاج شريف ــ وامر ان تغلق جميــع الابواب ثم قال لهم « ان المهدى عليه السلام انتقــل لجوار ربه واتنــم وهؤلاء الخلفاء الذين حضرتم امر الامام المهدى وانتم والخلفاء بايعتمونى بحضرة المهدى ويد المهدى مع ايدينا ، فالذى اطلبه منكم ان تكونوا معى كما كنتم مع المهدى ، وانى رأيت حالتكم مع المهدى ، فانكم كلكم كنتم فى كل الاوقات لا تغيبوا عن المهدى ، ومجلسكم من المهدى كان خــلف المهدى يجلس بعدكم القضاة وبعدهم الامراء فانتم كنتم مع الخلفاء سويا فلذلك انا اطلب منكم ان تكونوا دائما معى على هذه الحال وارجو ان لا يغيب احد منكم عن مجلسى فانى اخشى عليكم من الناس المفتنين أن ينقلوا اليكم حديثا منى يغير خاطركم ، لذلك فانى اريد ان تكونوا دائما

معى وتشهدون كل ما يصدرمنى من اقوال وافعال ، فهذا هو الخليفة على ولد حلو خليفة المهدى تعلمون حاله معى وامتثاله لى وهذا هو الخليفة شريف فهو منكم فأن اباكم أو ابيتموه فأنتم عائدون لبعض ، وان وجودكم معى دائما سوف ينهض الخليفة شريف على مداومة الاجتماع معى ، وانت يا الخليفة شريف فانى اطلب منك ان تكون لى مثل الخليفة على لا تفارقنى ابدا فاذا جلست تجلس معى واذا ركبت لاى جهة تركب معى فاذا فعلت انت ذلك فسيكون الاشراف تبعا لك ويقتدون بك وكذلك اولاد المهدى سيقتدون بفعلك » ثم قال : « الآن يجب علينا ان نكتب للعمال الكبار فى كل الجهات بنعى المهدى وحصول البيعة لنا بوجوده ثم مبايعة الناس لنا بعد وفاة الأمام المهدى وكل من لم يكن عنده ختم فعليه ان ينقش له ختم » وانفض المجلس على ذلك .

وقد استمرت مؤازرة الخليفة شريف والاشراف للخليفة عبد الله الى آخر عام ١٣٠٣ هجرى .

استنفار أهالى الجزيرة :

فى أول عام ١٣٠٤ ارسل خليفة المهدى لامراء الجزيرة بأن يستنفروا قومهم للرباطاب وعين لكل منهم الجهة التى يريده ان يذهب اليها فردوا عليهم بانهم بلغوا دعوته للناس فلم ينفروا معهم للجهاد ، عند ذلك اصدر امره لعموم سكان الجزيرة بأن يرحل المتخلفون لامدرمان ويجرد كل الذين سافروا او هربوا من البوغازات . وبعد وصول المرحلين لامدرمان صعد المنبر فخطب فيهم وانبهم على فعلتهم .

حرب الحبشة :

كتب الامام المهدى لصالح ادريس شنقا بالقلابات يدعوه لاتباع المهدية ويجعله اميرا على قومه بالقلابات لانه من سلالة الملوك

السابقين بجهة القلابات فاعرض صالح شنقا عن اتباع المهدى وارسل له جوابا يقول فيه بانه لا حاجة له بالامارة فكتب المهدى الى الفقيه محمد ارباب [1] من سكان القلابات وعينه اميرا عليها وقد كان معلما للقرآن بمسجد صالح شنقا فقبل الفقيه محمد ارباب أمر المهدى وخابر صالح شنقا طالبا منه الاذعان لامر المهدية فاحتقره صالح شنقا وهو الذى يملك اكثر من خمسمائة عبد مدججين بالسلاح بخلاف اتباعه من سكان القلابات زيادة على القوة العسكرية الحكومية المرابطة بالقلابات فى حدود الحبشة . وقد استهون صالح شنقا الفقيه محمد الارباب حتى انه أمر التجار ان لا يغلقوا متاجرهم فى سوق القلابات لان ذلك ليس حربا وانما تأديب رجل خرج عن القانون ؟ ولكنه انهزم امام الفقيه محمد الارباب حتى دخل حدود الحبشة محتميا بها وهناك اخذ يستعد وقد عاونته الحبشة بجيش كثيف فكتب الفقيهمحمد الارباب لخليفة المهدى مستنجدا فأمر خليفة المهدى الامير يونس الدكيم [2] ومعه ستة آلاف مقاتل بالتحرك لنجدة الفقيه محمد الارباب ثم كتب لامراء الجزيرة بأن ينفروا جميعهم مع الامير يونس الدكيم لحرب الحبشة وهؤلاءهم أمراء الجزيرة:

الشيخ محمد البصير ــ وكيله القرشى ــ البصير ــ امير الحلاويين

العباس الشيخ العبيد	امير قبيلة المسلمية
بخيت عبد الصادق	امير قبيلة الشنابلة
عبد الله الشيخ عوض الجيد	وكيله الشيخ محمد الضو ــ امير قبيلة الخوالدة
عبد الله الشيخ حمد النيل	امير قبيلة العركيين
محمد ولد الزين	امير المغاربة
محمد حامد ابو زمام	امير الاحامدة (الدباسين وخلافهم)

الشيخ ناصر ولد جماع	امير العبدلاب
الشيخ عبد الله عبد الكريم	امير الشكرية (برفاعه شرق)
الشيخ ابراهيم ولد على	امير البطاحين (بالشرق)
ولد عايس	امير الكواهلة
الحسن احمد عمر بقادى	امير الكواهلة
محمد نور ولد مدرع	امير الحسناب
	امير العوامرة

والمذكورون اعلاه جميعهم امراء عينوا بوجود المهدى وكانوا تابعين للشيخ محمد البصير • وفى عام ١٣٠٥ أمر خليفة المهدى احمد ولد على اميرا عاما على جميع امراء الجزيرة• ولم يستجب اهالى الجزيرة لاستنفار امرائهم فكتب الامراء لخليفة المهدى كما كتب الامير يونس ولد الدكيم بلاغا شديد اللهجة لخليفة المهدى جاء فيه :

« ان اهل الجزيرة تخلفوا عن الجهـاد واصبحوا فى حالة شبيهـة بالعصيان » فعرض خليفة المهدى امرهم للقضاء فحكم القضاة بنفيهم من اوطانهم وتجريدهممن ممتلكاتهم فاكتفىخليفة المهدى بترحيلهم لامدرمان واخذ نصف ما يمتلكون من العيش ليصرف لاخوانهم المجاهدين •

ولما لم يجد الامير يونس ولد الدكيم العدد الكافى من أهل الجزيرة تلكأ فى الطريق حتى وصل جيش الحبشة للقلابات وقضوا على الفقيـه محمد الارباب • وقد نسف أحد الطبجية المصريين المولدين بالقـلابات الطابية بمن فيها من جيش الحبشة فخرج الحبش من القلابات بعد هذا الحادث عائدين لبلادهم وعادمعهم صالح ادريس شنقا التكرونىولم يجد فيها الامير يونس أحد فأقام بها اياما •

وارسل الامير يونس كتيبة بقيادة عربى دفع الله[٣] دخلت فى بلاد الحبشة حتى بلدة تدعى غبته ولما رأى انهم متيقظون وطرقهم وعرة عاد للقلابات وكتب الامير يونس الدكيم لخليفة المهدى يطلب المدد لان الحبشة تستعد للقضاء عليه .

نبى الله عيسى :

اثناء ذلك ادعى محمد آدم البرقاوى وهو احد التكارنه التابعين لجيش الامير يونس انه نبى الله عيسى فاتبعه بعض دهماء الجيش ونحو ستة عشر من امراء الجيش فكتب الامير يونس لخليفة المهدى طالبا ارسال جيش للدفاع عن القلابات ورد الحبشة عنها . عند ذلك أمر خليفة المهدى الامير حمدان ابو عنجه بان يسرع بجيشه الى القلابات ويقبض على ذلك المدعى ومن تبعه ويحقق معهم فأن تابوا تركهم وان اصروا على دعواهم يعرضهم للقضاء ويخابر خليفة المهدى بنتيجة التحقيق وحكم القضاء عليهم . وقد اصر المدعى ومن تبعه من الامراء على دعواهم فحكم عليهم القضاء بالاعدام ورفع الامر لخليفة المهدى فوافق عليه وقد ارسل خليفة المهدى بوستة يستثنى فيها الامير ابا انفضالى والطايف ولد العجوز وعبد الله جاموس لانهم من الذين بايعوا المهدى ولهم سابقة فى الجهاد ولكن الهجان لم يدركهم ونفذ فيهم حكم الاعدام .

وارسل خليفة المهدى للامير حمدان ابو عنجه ليستلم أمر الجيش من الامير يونس الدكيم ويرسله لامدرمان حالا وهناك امره بملازمة الصلوات فى الجامع وذلك عقابا له لاهماله فى امر المدعى التكرونى حتى استفحل أمره فاتبعه امراء من جيشه .

وبلغ خليفة المهدى ان الحبشة تتحفز لغزو القلابات فعين الامير احمد ولد على اميرا عاما لجميع جيوش الجزيرة وهو من التعايشه

السابقين الذين هاجروا مع الامير يعقوب من ابى ركبه ، وقابلوا المهـدى عند جبل ابى وتد وهاجروا معه الى قدير • فسار الأمير أحمد ولد على بجيوش الجزيرة من فداسى الى القلابات مددا لحمدان ابى عنجه ، وهنا تجدر الاشارة الى ان خليفة المهدى قد اذن لاهل الجزيرة بالعودة لمزارعهم فى خريف عام ١٣٠٥ هجرى وبعد انتهاء زمن الزراعة استنفرهم مع الامير أحمد ولد علي فخرجوا معه للقلابات •

وصف حمدان ابو عنجه :

هو منضلاوى من مواليد بلاد التعايشه ، اسـود اللون ، مربوع القامة ، مائل للقصر ، ممتلىء الجسم ، ضخم الكراديس ، قوى العضلات مستدير اللحية وعلى وجهه اثر الجدرى ، بشوش الوجه ، تقى زاهد ورع وهو من الامراء الذين عينهم الامام المهدى بنفسه وكـان من عاداته ان تحمل الراية التى اعطاها اياه الامام المهدى بالقرب منه فى داخل قلعتـه تبركا بها •

حجر الاساس لقبة المهدى :

وعندما عزم خليفة المهدى على بناء قبة الامام المهدى ارسل لحمدان ابو عنجه ليحضر وضع حجر الاساس فى القبة فحضر واستأذن خليفـة المهدى فى غزو الحبشة فاذن له بذلك لان الامام المهـدى كان قد اشار لحرب الحبشة •

اتركوا الحبش •

قيل انه لمـا قتل الشريف أحمد ولد طه وجاء نعيه للامام المهـدى فى قدير ذكر ذلك فى مجلس من اصحابه وقال لهم : « انه جزاه الله خيرا وفى بعهده معنا وقاتل جيش الترك حتى قتلوه شهيدا وقد عاون فى قتله الشكرية والعركيون تحت رئاسة الشيخ حمد النيل الشيخ أحمد الريح

والشيخ عوض الكريم ابو سن » فقال الامير الشيخ الامين محمد : « الى اين يذهب الشريف حمد النيل بعد وصولنا للجزيرة ؟ » فأجابه الشيخ أحمد ولد جباره بأنه ربما يذهب للحبشة فقال الامام المهدى : سبحان الله ! هل تعلمون ان لنا يدا فى الحبشة وان سلسلة القدرة فى عنقه اينما توجه ؟ » فقال الشيخ احمد ولد جباره للمهدى : « الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركوا الحبش كما تركوكم ؟ » فأجابه الامام المهدى : « ان النبى صلى الله عليه وسلم تركهم لنا ولمن نحن نتركهم ؟ » فقال الشيخ جلال الدين للمهدى فى مجلس آخر ان النبى عليه افضل الصلاة والسلام قال : « اتركوا الحبش كما تركوكم ، وقد بلغنى انكم ذكرتم حربهم فكيف ذلك؟ » فاجابه بأن النبى عليه الصلاة والسلام تركهم لنا ولمن نحن تاركوهم فما لهم عندنا الا السيف .

وعندما عاد الامير حمدان ابو عنجه بعد أن اذن له خليفة المهدى بغزو الحبشة استعرض جيشه فكان نحو اثنين وستين الفا من حملة السلاح النارى من طراز الرمنتون وعشرين الفا من حملة السلاح الابيض فترجل عن حصانه وسجد شكرا لله .

الزحف لغزو الحبشة :

وزحف الامير حمدان بجيشه هذا فتوغل فى أرض الحبشة وقد اصطدم معهم فى معركتين عظيمتين :

الواقعة الاولى : كانت ضد الراس عدار ومعه صالح شنقا ومعهما ضعف جيش الامير حمدان فتغلب عليهما الامير حمدان وكان من المقتولين الراس عدار نفسه وصالح شنقا .

الواقعة الثانية : وكانت مع القائد منليك وراس علوكه فى جيش

اكثف من سابقه فتغلب عليهما الامير حمدان ودخل مدينة قندر وكسر اصنامها وحول كنائسها جوامع وارسل رءوس القواد المشهورين الذين قتلهم لامدرمان واقام فى قندروكتب له ملك الحبشة موبخا ومتوعدا بانه سيقدم على حربه بنفسه ليقضى عليه وعلى الخليفة بامدرمان فرد عليه الامير حمدان ردا يناسب المقام وهدده هو كذلك بأنه سيزحف حتى اديس ابابا لو اذن له خليفة المهدى .

وارسل الامير حمدان لخليفة المهدى مستأذنا فى الزحف لعاصمة الحبشة فرد عليه خليفة المهدى يأمره بالخروج حالا من ارض الحبشة فخرج منها الى القلابات حيث اخذ فى اعداد الحصون فلم تمهله المنية فقيل انه استعرض الجيش فى يوم الجمعة وفى صباح السبت اعلن نعيه وقيل انه تناول شربة متداويا فكانت فيها منيته . ولما كان احمد ولد على [٤] اميرا عاما على الجيوش التى ارسلت لامداد الامير حمدان فقد انتخب رئيسا مؤقتا لحين ورود أمر خليفة المهدى .

وانتدت خليفة المهدى القاضى أحمد[٥] وقضاة آخرين بحمل تعزيته لجيش الامير حمدان فى القلابات واخبرهم بأنه يرى تعيين الزاكى طمل فى مكان الامير حمدان ولكنه يترك الامر للجيش فيولى من يختاره فاختار الجيش الزاكى طمل

القضاة الذين انتدبوا :

القاضى أحمد على	قاضى الاسلام (رئيس القضاة)
احمد حمدان	قاضى نائب
ابراهيم احمد عالم	قاضى بيت المال
عثمان أحمد النائب البطحانى	
البخيت ابو أحمد الحمراوى	

سليمان أحمد العمرابى المشهور	(بأبو اصبع)
	كاتب المحكمة
الامير حسن حسين	أمير المواليد
احمدى محمــود	كاتب خليفة المهدى
احمد الطليعة	امير وقاضى
موسى أحمد بن آدم دوم	كاتب محكمة

بعد وصول القضاة المذكــورين اعلاه للقلابات اتصــلوا بالامراء والمقاديم وقــد وجدوهم خارج القــلابات فى انتظار هجوم من الجيش فقدموا مكاتبات خليفة المهدى الى أحمد كريم الدين كاتب جيش ابــو عنجه فتلاها ثم تم اختيار الزاكى طمل للقيادة بدلا عن حمدان ابو عنجه

وصف الزاكى طمل :

هو رجل منضلاوى من مواليد بلاد التعايشة ، طويل القامة ، نحيف الجسم ، اسمر اللون ، مائل للسواد (أحو) ، ذو شاربين طويلين ولحية خفيفة ، شجاع وشهم ، كان يقتفى اثر حمــدان ابو عنجه ولكنه كان ذا جبرة وشدة مع الامراء .

الصدام مع الملك يوحنا (٦) :

وصل جيش الحبش بعد تولى الامير الزاكى طمل القيــادة وكان جيشهم كثيفا قدره بعضهم بمليون وقدره آخرون بنصف مليون وكان يقوده النكس الملك يوحنا ملك ملوك الحبشة وقيل ان يوحنا عندما مر باحدى الزرائب التى كان يتحصن بها جيش الامير حمدان استغرب ان تتجرأ قلة مثل هذه على غزو حدود بلاده وقال انه سيسحق هذا الجيش ولا يقف دون اسوان ،وقيل ان طليعة جيشه وحدها كانت اثنى عشر الفا .

بهذا العدد الضخم التحم النكس يوحنا مع الامير الزاكى طمل عند طلوع الشمس واصيب عند العصر برصاصة اردته قتيلا فانهزم جيشه حاملا ملكه المقتول فى صندوق ونزلوا على شاطىء نهر عطبرة • وفى هذه المعركة هجمت مقدمة الجيش على ديم الانصار من الجهة التى يحميها الامير احمد ولد على فقتلوا رجالاكثيرين منهم أحمد ولد على نفسه وكل امراء الجزيرة المشهورين ولم ينج منهم الا محمد البصير وعبد الله الشيخ حمد النيل • وازاء هذا الموقف امر الامير الزاكى طمل بضربهم هم والانصار معا لان ما بقى من الانصار ضئيل ولا بد من طرد الجيش من الديم فلما استمر فيهم القتل انهزموا حاملين معهم كثيرا من عائلات الانصار وقد امر الزاكى الامير فرج المشهور بفرج امدرمان ان يحمى الديم بعد ان استشهد أحمد ولد على وجل رجاله •

وعلى شاطىء نهر العطبرة حط الجيش رحالهم للراحة وقر رأيهم على تتويج ابن الملك بدلا عن ابيه المقتول وبكروا مرة اخرى لقتال الانصارصباحا اما الانصار فأنهم اقتفوااثر الجيش فسروا الليل وباغتوهم عند الفجر فانهزم الجيش تاركا جثة ملكه وولده الذى توج ليلا واثنين من وزرائه حزت رءوسهم وارسلت لامدرمان ومعها تاج الملك نفسه •

استعراض خليفة المهدى :

اما فى امدرمان فقد خرج خليفة المهدى مستعرضا الجيش فى نفس يوم التحام الحبش مع جيش الامير الزاكى طمل •

الباب السادس

ثورات واضطرابات :

عزل السيد محمد خالد زقل :

وعين الامام المهدى السيد محمد خالد زقل اميرا على عموم دارفور وما يليها لانه له المام باحوالها فمكث فيها لغاية عام ١٣٠٤ هجرى ، وفى هذه السنة كتب اليهخليفة المهدى يطلب حضوره بجيوشه كلها لمقابلته وتجديد البيعة معه فصدع بالامر وتحرك قاصدا امدرمان • وكتب لخليفة المهدى من باره مخبرا اياه بمقدمه فرد عليه خليفة المهدى مثنيا وآمرا بالانتظار فى باره لحين وصول امر آخر اليه بما تقتضيه الاحوال • وكتب خليفة المهدى فى نفس الوقت للامير حمدان ابو عنجه الـذى كان معسكرا فى جبال تقلى ان يقدم بجيشه حالا فيقابل محمد خالد زقل بباره ويستلم منه الجيش ويجرده من كل ممتلكاته ويرسله الى خليفة المهدى بنفسه • وقيل انه عندما شاع هذا الخبر فى امدرمان كتب احمد ولد سليمان أمين بيت المال الى السيد محمد خالد قائلا : (قد بلغنا ان خليفة المهدى كتب الى حمدان ابو عنجه ليحضر بجيشه لتجريدك واستلام الجيش منـك فأنى أحذرك عاقبة الامر واوصيك الا تصدع لهـذا الامر ولو أدى ذلك الى الحرب فانا اعتقد بأن فيك الكفاءة التامة لمكافحة حمدان »

وتقول بعض الروايات انه اشار اليه فى الكتاب الى حدة الحالـة بين خليفة المهدى والخليفه شريف ويخشى منها حصول حرب بينهما وكتب اليه ما معناه : « ولذلك فانا نريد ان نستعين بك وبجيشك ففدنا عنمقدار عدد جيشك كما علمنا مقدار جيش ابو قرجهوجد السير الينا ولا تتوان » وقد ارسل هـذا الخطاب مع بريد خاص وامروه بجد السـير لتسليم الخطاب لمحمد خالد قبل وصول حمدان اليه• ولكنهم وصلوا بعد تجريد

السيد محمد خالد وضبط حمـــدان البوسته وســألهم : « من اين انتم مرسلون ؟ والى من ؟ » فأجابوه بأننا مرسلون ببوستة من الخليفة شريف للسيد محمد خالد . ولمـا احس الاضطراب فى كـلامهم ضغط عليهم فسلموه البوستة التى كانوا يحملونها فاعطاها الامير حمدان للامير محمد خالد وأمره بقراءتها وافادته عما فيها ففتحها وأخذ يتلوها علنا ثم ناولها للامير حمدان الذى ارسلها بدوره لخليفة المهدى وبلغه ان السيد محمد خالد قابل أمره بالرضى والتسليم .

وقد سأل خليفة المهدى أحمد ولد سليمان عن ذلك الخطاب فاعترف له بانه كتبه وحده وان الاشراف المذكورة توقيعاتهم فى ذلك الخطاب لم لم يشتركوا معه فى كتابته فاذن له خليفة المهدى بالانصراف . وقد ذكر خليفة المهدى أمر ذلك الخطاب بحضرة الاشراف ليقرأ من اساريرهم مدي تأييدهم واشتراكهم فيما فيه .

مراقبة بالابيض :

بعد ان رد خليفة المهدى على الامير حمدان ارسل السيد محمد خالد الى الابيض مسجونا تحت المراقبة ومعه بعض اولاد التعايشة حرسا وكان ذلك بأمر من خليفة المهدى . وانتظر بالابيض نحو شهر ثم طلبه خليفة المهدى فى امدرمان فاكرمه وشكره على حسن طاعته وادنى مجلسه منه .

عزل السيد داؤود محمد :

طلب خليفة المهدى من المهدى ان ينتدب رسولا لدار التعايشة يطلب منهم الهجرة الى المهدى فانتدب المهدى السيد داؤود محمد ولكنه طلب من المهدى ان يؤجـل سفره الى ما بعد فتح الخرطوم فسكت المهـدى

ولكنه كان يبدى له رغبته فى ان ينفــذ امره بالشخــوص لدار التعايشه فسافر اليها ورغبهم فى الهجرة فهرعوا لامدرمان اناثا وذكرانا •

بعد ان اتم السيد داؤود محمد مهمته كتب اليه المهدى لينضم للسيد محمد خالد زقل فبقى معه الى ان انتقل المهدى لدار الخلود وخرج معه لامدرمان عندما استدعاه خليفة المهدى وقد جرد من جيشه كما جــرد السيد محمد خالد زقل وارسل لمقابلة خليفة المهدى فى امدرمان •

تعين الامير عثمان ولد آدم

اثناء مرور الامير حمدان ابو عنجه بالابيض جعل الامير عثمان ولد آدم عاملا عليها فى مكان السيد محمود عبد القادر الــذى قتل بالجبال وجعل احمد على الهاشمى أمين بيت مال وعثمان آدم مساعدا له بأمر من خليفة المهدى •

عصيان الكبابيش :

أظهر الكبابيش عصيانهم عندما بلغهم ان الامير حمدان جرد السيد محمد خالد من جيشه ورحل من جبال تقلى واصبحت المنطقة خالية مــن جيوش المهدية فصاروا يهاجمون المناطق المتاخمة لهم والموالية للمهــدية مثل دار حامد وجهة الخيران الصافية وخــلافها فكتب الامير عثمان ولد آدم[1] لخليفة المهدى عن أمر عصيــان الكبابيش فامره خليفة المهدى أن يرسل لهم قوة تؤدبهم فأرسل لهم جيشا بقيادة سليمان اكرت[2] واحــد امراء التعايشة •

وارسل محمد ولد نوباوى وحنيطر ابو موس من المعالية بكتاب من خليفة المهدى الى صالح جلطه يؤمنه فيه اذا تاب مما فرط فيه • فســأل الرسل : « اين التوم ولد سالم ؟ واين الشيخ عوض الكريم ابو سن ؟

واين ولــــد زايد ؟ واين ولد اب روف ؟ انتم اتيتم لى بهذه الكساوى والهدايا من خليفة المهدى وهــو يطلب حضورى ليضمنى لولــد زايد ويسجننى معه فى الدانقه ام خشيم ؟ » فقالا له : « ان خليفة المهدى يريد رؤيتك لتجديد المشاهدة ومــذاكرتك فيما يلزم • عند ذلك اخرج حقة التمباك ، واخذ منها سفة امامهم علامة على مخالفته امر المهدية ثم قــال لهم انى لن اذهب معكم • وقد عزم على قتل الرسولين لولا ان منعه كبار أهله •

وعاد الرســولان وبلغا خليفة المهدى ما رأيا وما سمعا فكتب لــه خليفة المهــدى فرد عليه متهكما قــائلا : « لقد وصلنى منك امان الله ورسولـــه ومهــديه وامانك ولكن لم يصلنى امـــان « الحلمــة » يشير بذلك الى (الحضــرة) • ولمــا اتضح عدم اذعان صــالح جلطه لامر المهدية برز اليه جيش الانصار فتقاتلا واتتصر عليــه الانصار وعاد الامير سليمان احمد اكرت الى الابيض فكتب الامــير عثمان ولد آدم لخليفة المهدى مبلغا بما حدث •

وقيل ان سيماوى أمير دار حامد وهو من المرامره له ضلع مــع الكبابيش فخشى ان يكشف صالح جلطه أمره ان بقى حيا فدس له من قتله فى الطريق بالقرب من كجمــر وجز رأسه وارسل للابيض ومنهــا لامدرمــان •

سجن الزاكى طمل :

تواطأ الامير أحمد على والقاضى أحمد على وعبد الله ابراهيم وعبد الرسول حنفى ومحمد فرح الجعلى على رمى الامــير الزاكى طمل بتهمة الاتفاق سرا مع الطليان لتسليمهم القضارف وما حولها والانحياز لهم وقد حلفوا على ذلك وذكروا لخليفة المهدى ان الزاكى وابنه طه اصبحا وكأنهما

ملكان وانه اذا طلبهما لامدرمان ربمالا يحضران فارسل خليفة المهدى لطه ولد الزاكى يطلبه فى امدرمان تجربة فحضر ثم طلب الزاكى نفسه فحضر وأمر خليفة المهدى بتشكيل محكمة كبرىمن القاضى أحمد رئيسا وجميع القضاة والخليفة على وواجهوه بهذه التهمة فدحضها وبرأته المحكمة وكان فى هذه المحكمة من المدعينعبدالله ولد ابراهيم وعبدالرسول فلم يستطيعا الادلاء بحجج اقوى منه • ولما بلغ الامير أحمد على ومحمد فرح الجعلى خبر براءةالزاكىايضا تأكداانهلابد منتقمفقدما بلاغاآخرعن خيانته واتفاقه مع الطليان وحلف الجميع اليمين ولم تقبل المحكمة دفاعه وحكمت عليه بالسجن ورغم ذلك كان خليفة المهدى يرى براءته واخلاصه ولكنه ارسل للسجن كما رأت المحكمة •

وبعد ان مكث فى السجن نحو ثلاثة أشهر صدر خبر من السجن انه مات وسبب موته ان القاضى أحمد كـان حانقا عليه من مدة طويلة فأصدر امرا بسجنه سجنا مشددا ووضعه فى مكان مظلم ومنع الاكل عنه فاعتبر رئيس السجن ان هـذا الامر امر قضائى مصـدق عليه من خليفة المهدى فنفذه الى ان مات الزاكى طمل جوعا وظلما •

خليفة المهدى يأسف لموته :

ولما علم خليفة المهدى بموته استغرب كثيرا وسأل عن سبب موته فقيل له حبس البول فارتاب فى ذلكلانه كان ينتظر ان يرفع اليهأمر مرضه عندما شعر به لانه كان كثير السؤال عنه لاعتقاده انه برىء مما ينسب اليه من الاتفاق مع الطليان • لـذلك فأن خليفة المهدى قبـل وضعه فى السجن ليحقق ويكشف حقيقة الامر وقد كان تحقيقه جاريا عن طريق سـرى •

القصاص من القاضى أحمد :

واخيرا علم خليفة المهدى بمنع الاكل عن الزاكى طمل فحكم على

القاضى احمد بأن يوضع فى السجن حتى يموت جوعا كما قتل الامير الامير الزاكى طمل • وقد أسف خليفة المهدى على موت الامير الزاكى طمل وقال : « هو الذى قهر جيش الطليان وهزمه ، انه ليس بالرجل الهين الذى لا يؤسف على موته بهذه الصفة •

نهاية المتآمرين عليه :

بعد موت الامير الزاكى طمل فى السجن زحف الطليان على جيشه وكان بعضه مرابطا فى كسلا تحت قيادة الامير مساعد قيدوم فاحتلوها بعد معركة اغردات التى مات فيها جل الامراء الذين تآمروا ضد الامير الزاكى طمل وحلفوا زورا وبهتانا • وقد ولى القيادة خلفا له احمد على •

سجن الحسين ولد الزهراء :

الشيخ الحسين ولد الزهراء عالم مصدق بالمهدية وهو من رجالها الاوائل وقد قابل الامام المهدى وبايعه بالجزيرة أبا فى رفقة الامير عبد الرحمن النجومى وله قصائد مشهورة فى مدح الامام المهدى • وقد شرح راتب الامام المهدى ولكن لم يعثر عليه بعد ، وقد ولاه خليفة المهدى القضاء بعد وفاة الشيخ سليمان الحجاز الذى تولى القضاء بعد القاضى أحمد على خلال عام ١٣١١ هجرى • وكان تولى الشيخ الحسين الزهراء للقضاء سببا فى سجنه وموته •

قضايا عاصفة فى عهده :

صادف فى عهده ان وقعت قضايا عاصفة وذلك فى عام ١٣١١ هجرى منها قضية اموال اهالى دنقلا التى اخذها منهم الامير يونس الدكيم خاصة والشيخ الحسين امره بردها لاهلها ولم يوافق فى ذلك بقية مجلس القضاة لان اصحاب الاموال المذكورة غير معينين بل قالوا بادخالها بيت المال العمومى حتى اذا عرف شىء معين لشخص معين يرد اليه من بيت المال

وما جهل اصحابه يبقى ببيت المال ويصرف لعامة المسلمين والمجاهدين . ولم يوافق الشيخ الحسين على هذا الرأى بل اصر على رأيه الاول .

ثم وردت قضيتان أخريان مشابهتان وهما موت شخصين فى بلاد العدو ووصول اموالهما بيد عمال المهدية وقد حكم الشيخ الحسين باعطاء هذه الاموال لورثتها ولم يوافقه بقية القضاة بل قالوا ان هذه الاموال حكمها غنيمة وتضاف لبيت المال لان ممتلكيها فى بلاد العدو وقد اصر الشيخ الحسين على رأيه فى تلك الاموال .

ووردت القضية الخاصة باهل وادى شعير ضد الجهدية والعرب وهى انه اثناء سير سرية الامير يونس الدكيم الى القلابات اتفق بعض الجهدية التابعين للامير ابى انفضالى فتحرشوا ببعض اهالى وادى شعير فوقعت بين الفريقين فتنة فقتل الجهدية بعض الاهالى وادعوا ان الاهالى قتلوا بعضهم كذلك . وعندما عرضت القضية على المحكمة لم يقبل الشيخ الحسين شهادة الجهدية واعترض بقية القضاة فى ذلك ونادوا بقبول شهادة الجهدية فهى شهادة تامة لانهم مجاهدون فى سبيل الله وهم احرار .

كانت تلك القضايا وخاصة الاخيرة سببا فى سجنه الذى مات فيه

الباب السابع

المهدية في فتح دار فور :

فتح دار فور :

فى عام ١٣٠١ هجرى جعل الامير محمد خالد زقل اميرا عاما على دار فور وما يليها وجعل محمد الخبير امام اميرا تحت رئاسة السيد محمد خالد فسار للفاشر فى مقدمة جيش السيد محمد خالد وقد استعد لمقاومته سيد بك جمعه فحفر خندقا عميقا حول الاستحكام ولم ينذر محمد الخبير سيد بك جمعه بل بدأه بالحرب ولا علم له ان سيد بك جمعه ارسل السنجك عمر أغا ترحو الشايقى عارضا التسليم للسيد محمد خالد وانف ان يخبر محمد الخبير بماعقد عليه عزمه تكبرامنه واحتقارا لتصرف محمد الخبير معه • ومع هذه الخطوة التى اتخذها للتسليم استعد لقتال محمد الخبير وهزمه • فكتب محمد الخبير للسيد محمد خالد طالبا الامداد فرد عليه بكف الحرب وامر سلاطين بك مدير داره انيذهب حالا مع السنجك لانذار سيد جمعه بصفته وكيل المديرية ولم يلتفت سيد جمعه للانذار وظل يقذفهم بنيران مدافعه •

وسارالسيدمحمد خالداليه وردمالآباروقاتله فهزمهبالعطش والقتال بعد ستة ايام رفع فى نهايتها رايةحمراء علامة التسليمفتم تسليم الفاشر كما استسلم السلطان دود بنجه وسير مع السنجك عمر اغا ليوصله للامام المهدى وفى الطريق رفض ان يواصل الرحلة لمقابلة الامام المهدى ومال لبلدة تدعى فافا بقوز ميمه بعد مسيرة يوم واحد من الفاشر وطير الخبر للسيد محمد خالد زقل فاستشار الامراء فى امر السلطان دود بنجه واستقر الرأى على ان يسير اليه السيد محمد خالد بجميع جيشه وعندما

تراءى الفريقان هرب دود بنجه وسار فى ثلة من رجـاله للمهدى بعد ان ارسل عائلته لجبل مره .

واقام السيد محمد خالد فى فافا نحو ثلاثة اسابيع محققا فى اسباب الفتنة فاصدر امره باعدام رءوسها وعاد للفاشر

السنجك ينقض عهـــده :

بعد عودة السيد محمد خالد من فافا بلغه ان قبيلة اظهرت العصيان فانتدب لها السنجك عمر ولد ترحو[1] الشايقى فى قوة كبيرة مسلحة وعين معه الفقيه عبد التواب العالم والقاضى الطيب العالم المسلمابى مستشارا فى الامور الدينيـة وساروا الى القبيلة المقصـودة وقضوا على عصيانها ومكثـوا هنـاك قرابـة شهر وهنـاك جاءهم نعى الامـام المهدى فقرأه الشيخ عبد التواب لان السنجك كان اميا لا يعرف القراءة قال له : « ألم اقل لك من زمان ان هذا ليس بمهدى فهاهو قد مـات » وامر السنجك بضرب النحاس فاجتمع الجيش فاستوثق ان الجيش معه على السمع والطاعة فاعلن انه رجع الى عهد حكومة الترك لان الذى كان يدعى المهدية قد مات ولذلك فهو ليس بمهدى وعزم على غدر السيـد محمد خالد زقل والقضاء عليه وتسليم دار فور لسلالة سلاطين الفور على ان يكون هو وزيرا له وكتب الامراء للسيد محمد خالد ليكون على حذر فاستعد السيد محمد خالد لحرب ولد ترحو .

وتحرك السنجك نحو الفاشر وارسل السيد محمد خالد الامير عمر الياس ام برير الى كوبى وامره الا يترك السنجك يدخل كوبى ولو ادى ذلك الى القتال واستجـاب السنجك لهذه الرغبة ونزل خارج كوبى وفى الليل سكر ومن معه من اعوانه الشايقية فتسلل الامراء المخلصون لامر المهدية وسروا حتى وصلوا الفاشر . ولما علم السنجك بالامر فى الصباح

ارسل للسيد محمد خالد يطلب عائلته فرفض السيد محمد خالد ارسالها اليه وتوعده بالنكال فارسل للسيدمحمد خالد مندوبين فاوضوه وضمنوا له امان السيد محمد خالد فسار معهم مستسلما ولكنه عندما رأى موكب السيد محمد خالد فى انتظار مجيئه ثار واخرج سيفه وأمر من معه باطلاق النار على السيد محمد خالد ومن معه من الامراء والجيش ففهموه ان هذا غير ممكن ولا يسعه الا التسليم والاذعان .

ولما وصل الى دار المديرية حيث كان ينتظره السيد محمد خالد وبخه السيد محمد خالد وقال له : « كيف تخوننى وقد سلمتك رجالى وسلاحى ؟ كيف تخوننى يا خائن ؟ » ثم قال : « هذا شقى ! » وامر الحاضرين ان يقولوا له شقى فكرروها له ثم امر به فوضع فى سجن منفرد ثم احضر القاضى الطيب المسلمابى والقاضى عبد التواب وناقشهما حتى اصدرا حكم القتل على من يقف موقفهما فأمر بهما فشنقا كما شنق عمر ولد ترحو وجميع من مالأه من قواد الجيش فبلغ عدد الذين شنقوا اثنى عشر رجلا .

امارة الشريف داود :

بعد قتل السنجك اصدر السيد محمد خالد أمره بتسمية الشريف داوود محمد اميرا بدلا عن السنجك ثم ارسله لدارا أميراً عليها وفى دارا جاءه خبر أمر خليفة المهدى بشخوص السيد محمد خالد لامدرمان فأستعد الشريف للسفر مع السيد محمد خالد ولكنه اصيب بالجدرى فتأخر الى ان عوفى ثم تحرك بجيشه وفى ام شنقه بلغه خبر تجريد السيد محمد خالد فاشار اليه بعض امراء جيشه بالرجوع الى الفاشر او الى دار برقو ليكون اميرا عاما هناك فلم يوافقهم على شق عصا الطاعة على المهدية وكتب سرا لخليفة المهدى ليدركه بجيش كاف لارغام اولئك

الامراء على السير لامدرمان وقد داراهم وسار بهم الى فوجه حيث جاء النور عنقره بجيش قليل لا يبلغ ربع جيشه ومعه أمر مـــن خليفة المهدى بتجريده عن الجيش فقبـــل الامر ووضعه على رأســـه وسلمه السلاح والذخيرة فغضب الامراء وتم تجريدهم من سلاحهم وخيلهم ثم امرهم النور عنقره بالمسير لامدرمان فساروا معه .

ذخيرة لعثمان آدم :

بعد انتصار الامير عثمان آدم على السلطان يوسف واستلامه الفاشر طلب من خليفة المهدى ان يمده بذخيرة فأمرخليفة المهدى بارسال نحو مائة وعشـــرين صندوقا من (الجبخانة) الذخيرة حملتها حوالى ستـــين بعيرا وحرسها مائة وخمسون مقاتلا أمر عليهم محمد قيلى الركابى . وفى الفاشر استلم الامـــير عثمان آدم الذخيرة المرسلة اليه واشتكى حراسها المـــائة وخمسون اميرهم محمد قيلى بأنه غير كفء للامارة فتشاور الامير عثمان آدم مع الامراء واستقر الرأى ان يجعلوا امر الامارة فى يد اولئك المقاتلين فاختاروا ادريس قيلى ابن عم الامير الاول فوافق عثمان آدم على ذلـــك

عصيان قبيلة المهرية :

ترددت هذه القبيلة فوجه الامير عثمان آدم اليها القوة التى قدمت مع الذخيرة مدعما اياها بالامير العطا اصول الشايقى ومن معه وسارت هذه القوة لديار المهرية وانذرتهم فلم يستجيبوا لامر الدخول فى طـــاعة المهدية ونشب القتال فكان النصر لقـــوات المهدية وغنمت اموال تلـــك القبيلة جزاء عصيانها .

احضار سلطان تامه :

ومن ديار المهرية توجهت تلك القوة بأمر من الامير عثمان آدم الى دار تامه لاختبار مدى تأييد سلطانهم للمهدية واحضـــاره نفسه للفاشر

لمقابلة الامير عثمان آدم فســارت القوة الى دار تامه وهناك قابل ابناء سلطان تامه امير الانصار وحاولوا ان يثنوه عن فكرة أخذ والدهم للفاشر وهو رجل كبير يحمل على عنقريب فاصر الامير على تنفيذ تعليمات الامير عثمان آدم واخذ السلطان معه .

كانت قوات الانصار قد دعمت بقوات الامير الختيم موسى[٣] وعبد القادر دليل وحامد مجبور من التعايشه ولكنها رغم ذلــك تكاثر عليها الناس عندما سمعوا ان سلطانهم اخذ للفاشر دون رضا ابنائه وتابعوها وكانوا يفتكون بكل طائفة تتأخر عن القوة الرئيسية ثم انتهز تامه فرصتهم وهجموا على مؤخرة الجيش وفتكوا بهــا وانقلب عليهم صلب الجيش فهزمهم وافنى الكثيرمنهم . وتجمع تاما مرة اخرى بقيادة المدعوابو جميزه للانقضاض على الانصار مرة اخرى فانتخب الامير الختيم موسى جزءا من الجيش أمر عليه ابن اخته المدعو ولد الرحيمة ليباغت تامه المتجمعين مع ابى جميزه ، وقد نفذ هذا الامر رغــم معارضة بعض الامراء واستقرار رأيهم على الانتظار حتى يصلهم ابو جميزه . وسارت القوة المنتخبة وفى الطريق قابلها رجل من الزيادية يسمى على كوع النمر وبلغها ان اباجميزه عقبها على ديم الانصار لمقاتلة الختيم موسى نفسه فلم يصدق ولد الرحيمة وواصل سيره حتى ديم ابى طمبره فلم يجد فيه الا قليلا من الحراس وعاد مرة اخرى مسرعا لنجدة خاله فعاقته امطار غزيرة عن مواصلة سيره . وفى اليوم التالى وجد ولد الرحيمه ديم الانصار قاعا صفصفا فقد هزمهم ابو جميزه وغنم ما معهم واستعد فى الحال للقتال ولكن ابا جميزه هزمه هو نفسه وتبعه حتى اوصله مع بقية رجاله لخاله الختيم موسى .

وبعد ان تجمع الانصار استقــر الرأى على المسير الى الفاشر ومن كبكبيه ارسل الامير الختيم موسى للامير عثمان آدم يبلغه بما حصل فرد

عليه بأن يمكث حيث هــو الآن الى ان تأتيه جيــوش الامير كرم الله كركساوى والامير محمد بشاره ثم يعود للقضاء على ابى جميزه فانهزموا امامه مرتين وفقدوا مالا يقــل عن ثلثهم فعــادوا الى كبكبيه مرة اخرى وكتبوا للامير عثمان آدم فأمرهم بالحضور الى الفاشر حالا وهناك جمع الامراء وتشاور معهم فاتجه رأيهم الى ارسال عائلاتهم الى امدرمان لان ابا جميزه ومن معه قوة لا طاقة لهم بها وكتــب الامير عثمان آدم لخليفة المهدى فى الامر فرد عليه بان يخرج من الفاشــر ويعسكر غربها ويتوقع الهجوم من جهة جبل شالا ٠

وجاءت الاخبار للامير عثمان آدم بأن ابا جميزه اصيب بالجدرى ومات واخفى امر موته على جيشه وهو سائر فى طريقه للفاشر فاستعــد للقائه وكان قتالا حاميا فى رابعة النهار استمر نحو ساعتين وانهزم جيش ابى جميزه فتبعهم الانصار حتى كونى التى تبعد مسيرة يوم كامل مــن الفاشر وعاد الانصار منصورين فارسلوا لارجــاع عائلاتهم من الابيض وارسل رأس اخى ابى جميزه لامدرمان ٠

فتنة السلطان يوسف (٥) :

عندما امر خليفة المهدى السيد محمد خالد زقل بالتوجه لامدرمان فى عام ١٣٠٤ هجرى جعل السيد محمد خالد السلطان يوسف اميرا على دار فور ونائبا عن المهدية فيها بموافقة خليفة المهدى وضرب خليفة المهدى الحدود بين السلطان يوسف والامير كرم الله كركساوى ولكن السلطان يوسف لم يعتبر الا الحدود القديمة التى كانت تحــد مملكة دار فور السابقة لشىء اضمره فى نفسه لذلــك اعتدى بعض جمــاعته على جماعة تابعين للامير كرم الله كركساوى وقتلوا بعضهم فى عدة مواضع وقــد كانوا يجمعون له الخراج ٠

كتب السلطان يوسف للامير كرم الله ان يخرج رجاله الذين يجمعون الخراج من داره فارسل الامير كرم الله اخاه سليمان كركساوى بشكوى لخليفة المهدى مؤادها ان السلطان يوسف غدر برجاله فى داره وقتلهم وفى نفس الوقت ارسل السلطان شكوى مؤادهاان الامير كرم الله تعدى عليه بدخول داره فأرسل اليهم من يفاوضونه فقتلهم •

انتدب خليفة المهدى وفدا من الملمين بشئون دار فور للنظر فى شكوى الامير والسلطان ويحققوا فيهمافى دار فور فسار هؤلاءالمندوبون للسلطان أولا فاكرمهم واطلعوا على تفاصيل شكواه ومكثوا معه ثمانية عشر يوما واثناء ذلك وردت بوستة من خليفة المهدى فيها اربعون خطابا لرؤساء القبائل بدار فور تدعوهم للهجرة وضمنها جواب للسلطان بنفس هذا المعنى وفيه عتاب منه للسلطان بما حدث من ظلم اتباعه وتعديهم على جماعة الامير كرم الله كركساوى ، فغضب السلطان عندما تلى هذا الخطاب •

تغيرت معاملة السلطان لمندوبى خليفة المهدى بعد استلامه ذلك الخطاب فخرجوا من دياره متوجهين للامير كرم الله كركساوى وعند بلدة تدعى الظليل ارسلوا للامير أحمد محمد عبد الوهاب التابع للامير كرم الله فاستعد للقائهم ولكنه لاحظ قبل وصولهم ان هناك غبارا يدل على وصول جيش كبير فأسل طليعة التقت بطليعة جيش السلطان يوسف المرسولة لقتل مندوبى خليفة المهدى وقد قتلت اثنين منهم واسرت واحدا عادت به وهو الذى كشف امر تدبير السلطان يوسف •

ووصل المندوبون الى شكا واصبح معلوما ان السلطان يوسف اصدر أمره لجميع العربان التابعين له بأن يناصبوا المهدية العداء والحرب وقابل المندوبون الامير كرم الله وتبين لهم كذب السلطان يوسف اذ انه

لم يرسل مفاوضين للامير كرم الله وكل ما فى الامر انه لم يقتنع بالحدود التى ضربها له خليفة المهدى بل كان يطمع فى حكم دار فور بحدودها التى كانت عليها قبل غزو الزبير باشا لها وارسل التحقيق والاسير الذى كشف تدبير السلطان يوسف ضد مندوبى خليفة المهدى الى امدرمان فاستيقن خليفة المهدى من عصيان السلطان يوسف فانتدب الامير عثمان ولد آدم من ثلاثين ألفا من المقاتلين لتأديب السلطان يوسف •

السلطان يغش العربان :

وبلغ السلطان يوسف ان الامير عثمان آدم سائر اليه فى جمع كثيف واسلحة نارية فكتب لعموم عربانه بانه جاءته كتابة من خليفة المهدى تقول ان الامير عثمان آدم خرج على طاعة المهدية وهرب متوجها لدار التعايشة وعلى كل من يمر بدياره ان يعطل سيره وهو ملزوم بذلك ولهذا السبب فأن العربان اخذوا يعرقلون سير الامير عثمان آدم ثم كتب الامير عثمان آدم للسلطان يوسف منذرا ومحذرا ويطلب فيهان يقابله عن الحدود التى عينها له خليفة المهدى فرد عليه قائلا ان دار فور صعبة المنال وانى اراك توقفت فى شكا فما بالك تأخرت ؟ ان كنت واثقا من قوتك فتقدم الينا لترى حربا لم ترها من قبل •

بعد الخطاب المذكور اعلاه اخذ الامير آدم يستعد للحرب فخابر الامير كرم الله كركساوى والامير أحمد محمد عبد الوهاب ليستعدوا للزحف معه على السلطان يوسف • وامام هذا الجيش اللجب انهزم الارباب ابكر ناقة بجهة نيره بالقرب من داره • وارتاح الجيش فى داره ثم واصل زحفه •

واما السلطان يوسف فقد اعد وزيره الاعظم رحمه قومو بعد انهزام

الارباب وسيره فى نحو خمسة وعشرين الفا ولكن الوزير ابطأ المسير عندما علم بقوة واسلحة الامير عثمان فكتب اليه السلطان يقول : « انى اعتقد بانك غلبت عثمان آدم ومن بعده ووصلت لامدرمان ، فاذا انت متأخر فى الطريق ولم تصل الى عثمان آدم فهل خفت من عثمان آدم ام ما الذى جرى عليك ؟ » فواصل الوزير زحفه نحو داره والتقى به عثمان آدم فهزمه فى اقل من ساعة ونصف فعاد الى الفاشر فوبخه السلطان وعين وزيره زايد على رأس اثنين وثلاثين الفا وارسل معه رحمة قومو نفسه واسرع زايد لداره وانهزم فيما لا يزيد عن الساعة وتبعه فرسان الانصار ضربا بالسيوف من الضحى الى العصر وقد قتل رحمة قومو وهرب زايد الى الفاشر .

وقد عرفت هذه الموقعة خرافات عديدة منها انهم رموا امام جيش الانصار (سفاريق ، اخشاب مقوسه) مكتوب عليها اسم طلاسم كانوا يظنون انها تهزم الانصار وانهم اطلقوا حماما علقوا فى اجنحته اوراقا فيها طلاسم كانوا يظنون انها تهزم اعداءهم وكل ذلك لم يجلب لهم نصرا .

بعد المعركة مع الوزير زايد بات الجيش فى داره وفى الصباح تحرك نحو الفاشر وفى ولد بيره وجد الجيش السلطان يوسف نفسه معسكرا هناك ومعه أخوه ناصر ووزيره زايد والتحم الجيشان فقتل ناصر وانهزم السلطان فى اقل من نصف ساعة وتبعه الانصار حتى الفاشر فاحتلوها وباتوا فيها ، اما الامير عثمان آدم نفسه فلم يدخل الفاشر بل حط رحاله فى القوز خارج الفاشر . وحقق الامير عثمان فى مصير السلطان فاتضح له انه هرب لجبل مره ولكنه عند الجبل اختلف مع وزيره زايد فدخل زايد الجبل وسار السلطان الى كلكل فعين له الامير العطا ولد اوصول

الشايقى فلحقه هناك وقتله واتى برأسه للامير عثمان آدم ومعه مظلة السلطان وعلاماته .

بعد انتهاء امر السلطان يوسف كتب الامير عثمان آدم لجميع انحاء دار فور يؤمن الاهالى على انفسهم واموالهم فهرع اليه مندوبو القبائل معلنين الطاعة والانقياد وكتب لخليفة المهدى بوستة وصلت فى اربعة عشر يوما فلما اطلع عليها سجد لله شكرا واثنى على الامير عثمان آدم ومن معه من الامراء والمقاديم وبقية الجيش ودعا لهم بكل خير .

وصف الامير عثمان آدم :

اسمر اللون « اسمر غامق » مربوع القامة ، نحيف الجسم ، خفيف اللحية وسيم الطلعة ، بوجهه اثر جدرى كثير ، بشوش دائم الايناس والبشر ، متكلم ، معروف بالزهد والتقشف وخشونة المأكل والملبس وتحكى عن زهده وشجاعته قصص كثيرة .

ومما يروى عن مسلكه رد بقرة ارسلها وكيل الجيش اليه من خمس الخليفة ليشرب لبنها وانه حمل قربة بالاجر كالسقاء وانه لم ير لابسا جبة جديدة مثل الامراء الآخرين الا مرة واحدة وقد رقعها بابخس انواع الرقع التى يستعملها الجهدية وانه كان دائما اشعث اغبر فقيل له فى ذلك لم لا تكون منعما دهينا مثل الامراء الآخرين ؟ فقال انه منذ ان عينه خليفة المهدى للغرب لم يقرب النساء .

الباب الثامن

مساعى الصلح بين المهدية والخديوى :

بداية غزو مصر :

ارسل الامام المهدى الامير عبد الرحمن النجومى لغزو مصر فأقام الامير عبد الرحمن زمنا طويلا فى دنقــلا العرضى انتظارا لامداده بجيش ومؤن • واثناء اقامته هناكوردتاليه كتابةمن السيدمحمد سر الختم(١) فى عام ١٣٠٤ هجرى يقول فيها : « انى عرضت لولى النعم سمو افندينا توفيق باشا خديوى مصر بأن اتدخل فى شأن الصلح بين حكومة مصر وحكومة المهدية وانه قبل رأيى وفوضنى لان اكتب اليكم فى ذلك لحقن الدماء بين الامم ، ولذلك فأنى اعــرض عليكم الشروط المطلوبة ومتى وافقت عليها حكومة المهدى يجرى الصلح بمقتضاها ان شاء الله » ولم نعثر على هذا الكتاب ولا صورة الشروط ولكنى اذكر منها ما يأتى :

اولا : ان تكون الحدود بيننا خور موسى الواقع قبلى حلفا بحيث يكون من خور موسى وبحرى لحكومة مصر وان يكون من خور موسى باشا وقبلى لحكومة المهدية •

ثانيا : ان تتبادل التجارة فيما بيننا بحيث ترد تجــارتنا اليكم وترد تجارتكم الينـــا •

ثالثا : ان تطلقوا الاسرى الذين طرفكم بما فيهم المسيحيين •

رابعا : ان تفتحوا طريق الحج لبيت الله الحرام

خامسا : ان تكونالمودة بيننا وثيقة بحيثنمدكم برجالنا لو احتجتم اليهم فى الحرب وتمدونا برجالكم عندما نحتاج لمساعدتهم •

وبذلك نعترف بالمهدية دولة اسوة بالدول المتحابة •

وقد رد الامير ولد النجومى بجواب جاء فيه : « قد اطلعت على كتابكم وكل ما فيه علم لدينا • وقد ارسلته لولى امرنا وما يصدر منه نتبعه »

موقف خليفة المهدى :

بعد استلام هذه المكاتبات جمع خليفة المهدى رجال الشورى مثل القضاة والامراء وعرض عليهم كتاب السيد محمد سر الختم وبعد مداولة استمرت بضعة ايام لم يوافقوا على ابرام هذا الصلح • وكتب خليفة المهدى ثلاثة جوابات احدهما لخديوى مصر محمد توفيق باشا[٢] ومعه عشرة رواتب مطبوعة والآخر للسلطان عبد الحميد[٣] سلطان تركيا ومعه نسخة واحدة من الراتب بخط جميل والخطاب الثالث للملكة فكتوريا[٤] ملكة انجلترا بواسطة قنصلها فى مصر • ومضمون هذه المكاتبات ان خليفة المهدى يدعوهم للتسليم لامر المهدية والا فالحرب • وقد حمل هذه المكاتبات فضل الله شاويش وعبد الله ولد عماره العمرابى وأمرهما خليفة المهدى ان يأخذا معهما محمد أحمد الصافى وعبد الرحمن ولد جلى لان المهدى ارسلهما من قبل لغردون باشا وكانا وقتذاك فى جيش عبد الرحمن النجومى • وجعل خليفة المهدى رئيس هذا الوفد عبد الله ولد عماره فأن توفى تولى الرئاسة بعده فضل الله ولد شاويش • وقد قال السيد محمد خالد لخليفة المهدى : « لا قدرة لهؤلاء فى التكلم مع المصريين ولكنهم سيكونون رسلا فقط لتوصيل جوابات خليفة المهدى اليهم »

وحدد يوم السفر فخرج خليفة المهدى لهجرة ود البصير[٥] وسلم للوفد الخطابات والرواتب بحضور الخلفاء والسيد محمد خالد فقط ثم قال لهم : « ان اوصيتكم بكلام تقوموا بتبليغه لخديوى مصر ؟ » فأجابوا

بأن نعم فقال لهم : « قولوا له اجمع علماء بلدك ودعهم يتفحصون فى راتب الامام المهدى عليه السلام من أوله لآخره فيظهر لهم ان المهدى لم يطلب فيه ملكا ولا جاها ولا عزا ولا طول بقاء فى الدنيا بل كله طلب لما عند الله والدار الآخرة » وعند ذلك قال لـه السيد محمد خالد : « هل انت مرسلهم للمحادثة مع خديوى مصر ؟ فأن كنت تقصد من ارسالهم المحادثة فلا تسعهم المحادثة معهم لان فى مصر كثير من العلماء البلغاء الذين لا يمكن لهؤلاء التكلم معهم • ولا ينبغى لهم الا ان يسلموا الجوابات المرسولة معهم ويأتوا بالرد الذى يعطى لهم : فاستحسن خليفة المهدى رأيه •

وسار الوفد حتى وصل عنكش وهناك علموا ان رئيس المخابرات اركانحرب يدعى محمد افندى صدقى فكتبوا له كتابا يخبرونه فيه بقدومهم وارسلوه مع شيخ عنكش فسلموه راية بيضاء يحملها امام الوفد حتى لا يتعرض له الجيش •

الوفد يدخل المنطقة المصرية :

ودخل الوفد حلفا وقابل رئيس المخابرات الانجليزى فاقترح على اعضاء الوفد ان يغيروا ملابسهم حتى لا يكونوا ملفتين للنظر فرفضوا فعين معهم اربعين جنديا وضابطا لحراستهم حتى اسوان وهناك استقبلهم رئيس او قمندان انجليزى فطلب منهم ان يغيروا ملابسهم فرفضوا فوضعهم فى حجرة فاستشاروا الضابط المرافق لهم وكتبوا تلغرافا للخديوى هذا نصه :

نحن وصلنا باسوان الساعة الثانية عشر وتعرض لنا قمندان العسكرية طالبا منا تغيير لبسنا ونحن مرسلون من خليفة المهدى لسموكم

فلا يمكننا تغيير ملابسنا فنرجو صـــدور امركم ليسمحوا لنا بالوصول لسموكم بملابسنا التى اتينا بها •

سلموا تلغرافهم للضابط الذى قدم معهم من حلفا فارسله ولما فرغوا من صلاة الظهر سمعوا جلبة فاذا خيل وناس كثـــيرون يحملون تلغراف الخديوى وفيه يقول :

وصلنا تلغرافكم ومابه علم وقد تحرر لكافة المديريات بعدم التعرض اليكم دفعة ثانية • فعجلوا بالحضور لطرفنا آمنين مطمئنين •

الامضاء : نحن خديوى مصر

فأرسلهم القمندان الانجليزى وبعدها لم يتعرض لهم أحد حتـــى وصلوا الجيزة حيث وجدوا عربة تجرها جياد فى أنتظارهم فأخذوهم الى الحربية حيث اكرموهم وقابلوا السردارغرافيل باشاوطلب منهم الخطابات التى معهم فرفضوا تسليمها له لانهم مأمورون بتسليمها لخديوى مصر رأسا فوعدهم بأن يقابلوا الخديوى غداالساعة التاسعة وفى الصباح اخذوهم لمقابلة الخديوى وامروهم انيتركوا حرابهم وسيوفهم فتركوهافى منزلتهم وتوجهـــوا لسراى عابدين فوجدوا فى الـــدور الاسفل جمعا من العلماء والباشوات والوزراء واكابر مصر ومعهم السيد محمد سر الختم فجلس جوارهم وحاول ان يستلم منهم الخطابات فرفضوا •

الوفد يقابل الخديوى :

ثم اخذوهم للدور الثالث حيث وجدوا الخديوى جالسا على كنبة فخيمة وهو رجل وسيم الطلعة مرســلا لحيته وحوله اثنان على كراسى فقال اعضاء الوفد للخـــديوى : « السلام عليكم » فاجابهـــم بقوله :

« وعليكم السلام ورحمة الله » ثم تقدم رئيسهم وجلسوا على الارض باركين وسلمه رئيس الوفد الخطابات والرواتب ومع كل خطاب صورة من الانذارات والمنشـــورات الصادرة من المهدى • وبعد التسليـم والاستلام وقفوا قابضين ايديهم فى صدورهم اشارة للاحترام فقال لهم : « لقد وصلتم ما معكم من الامانة تماما وكتر خيركم » فحيوه وانصرفوا

الوفد يقابل كرومر (٦) :

وبعد نزولهم للدور الاسفل وجدوا الخطاب الخاص بملكة بريطانيا عند الضابط المرافق لهم فركبوا معه العربة الى دار اللورد كرومر فنزل اليهم من الدور العلوى ومعه مصوراتى فاستلم منه الخطاب وصورهم ثم قال لهم : « نهاركم سعيد » وصعد للدور العلوى •

الوفد يقابل سفير تركيا :

وسار الوفد لسفير تركيا مختار باشا فاستقبلهـم فى حجرة جلوسه وقدم لهم قهوة بعد ان حياهم وسلموه الخطاب والراتب وانصرفوا •

المعـــاملة تتغير :

بعد ان علموا فحوى الخطـابات وكان بخلاف ما ينتظرون غيروا معاملتهم الرفيقة بالوفد فوضعـوا امام غرفته خفيرا ببنـدقيته ومنعوا اعضاء الوفد من حمل اسلحتهم ثم اذنوا لهم بالسفـر بعد ثلاثة ايام • فأخذوهم الى بولاق حيث ردوا اليهم خطاباتهم ورواتبهم بعد نزولهـم فى الوابور وقال لهم الياور المصرى الـــذى رافقهم حتى الوابور : ان الحكومة كانت جمعت كل العلماء والذوات والوزراء تظن انكم اتيتم بالامر المطلوب وهو الصلح واتحاد الكلمة وبهذا الظن استلمت منكـم المكاتبات ولكن عندما وجدتها بخلاف المطلوب هاهى مردودة اليكـم بذاتها لانها لا رغبة لها فيها فعليكم ان تستعدوا للحرب • فاجابه اعضاء

الوفد بان المهدية على اهبة الاستعداد للحرب وبمجرد وصولنا سيصلكم الجيش الذى سيخرجكم من مصركم ويرغمكم على التسليم

وصل الوفد الى اسوان بالوابور ومنها بالسكة حديد الى الشلال ثم بالوابور الى حلفا وهناك وجدوا مركبا صغيرا عبر بهم تجاه خور موسى بالغرب حيث وجدوا جمالهم فى انتظارهم وسار الوفد الى خركه ومنهـا لدنقلا العرضى لمقابلة الامير عبد الرحمن النجومى ووكيله الامير مساعد قيدوم واقاموا معهما ثلاثة ايام ثم ساروا الى امدرمان فوصلوها فىالثامن من رمضان عام ١٣٠٤ هجرى عند الغروب

مقابلة الوفد لخليفة المهدى :

وعلم خليفة المهدى بعودة الوفد فقابله اثناء خروجه لصلاة المغرب قابلهم واستمع لقصتهم منذ دخولهم ارض مصر الى ان غادروها عائدين لبلادهم الى ان حل وقت العشاء وعاد بعد العشاء يسألهم الى وقت متأخر من الليل ثم شكرهم على تأدية ما امرهم به وحمد الله علىاعادة الخطابات والرواتب التى لم تجد قبولا عندهم وانصرفوا من عنده بأذن منه .

وفد آخر لمصر :

فى آخر سنة ١٣٠٥ هجرى ، بعد قتل الملك يوحنا ملك الحبش أمر خليفة المهدى بتشكيل وفد من الآتية اساؤهم للسفر لمصر وهم : الشيخ مجدوب عبد الله ــ رئيس الوفد ــ جعلى من سكان المسلمية .

محمد الوقيع المسامابى ــ من سكان شندى
العوض مصطفى ــ من العمراب

محمد البشير ــ كان حاجبا للمحكمة الشرعية تبع القاضى أحمدعلى

وارسل معهم ثلاثة خطابات احدها لفكتوريا ملكة الانجليز والثانى

للسطان عبد الحميد والثالث لمحمد توفيق خديوى مصر ومع كل خطاب جبة وسروال دمور وحزام برش ودنفلات (سعيدانه) ومضمون الخطابات انه اخبرهم باتتصارات المهدية على جيش الحبش وقتل ملكهم ويدعوهم الى التسليم لامر المهدية حقنا للدماء والا فانــــه سيرسل لهم جنود الله الانصار لقهرهم واستلام بلادهم عنوة وارســـل للملكة فكتوريا أصل الخطاب الذى ارسلته للملك يوحنا لتتأكد من قتله .

سافر الوفد من امدرمان لبربر فى ثمانية ايام ومن بربر الى ابى حمد فى اربعة ايام ومنها الى ابى عرقه فى اربعة ايام ومنها الى اوتقات فى أربعة ايام ومنها الى احيمر فى يومين ومنها الى اســـوان حيث قابلوا قمندان اسوان المدعو دون بك فسلموه الخطـــابات ليرسلها للخديوى وانتظروا الرد ستة عشر يوما خلالها زارهم بعض العلماء والقسس والاعيان .

رد الخديوى لهم خطاباتهم والكساوى التى احضـــروها هدية له فعادوا بنفس الطريقة التى سافروا بها وقابلوا خليفة المهدى وعلم منهم ما حدث لهم واهداهم الجبب التى ردوها واذن لهم بالانصراف .

الباب التاسع

قدوم التعايشة وسبب غلاء عام ١٣٠٦ :

فى اوائل عام ١٣٠٦ هجرى اخطر خليفة المهدى بقدوم التعايشه بعائلاتهم وبقرهم فأمر اخاه موسى السنوسى احمد[١] ومحمد عثمان حاج خالد[٢] بمقابلتهم وتدبير أمر ترحيلهم بالوابورات والمراكب من مشرع شبشه • وعين الامير يونس الدكيم ليقابلهم فى حلة شبشه ويستلم منهم بقرهم وادواتهم الثقيلة لينزلوا البحر مخفين وعين الامير الزاكى عثمان[٣] لمقابلتهم وانزالهم فى الوابور والمراكب • وقام الامراء بواجبهم ووصل التعايشة لامدرمان ونزلوا فى الجهة القبلية •

وأمر خليفة المهدى بصرف مؤونتهم من بيت المال فاستهلكوا كل ما فى بيت المال من ذرة فى زمن وجيز نظرا لكثرة عددهم وكانت الذرة فى بيت المال تقدر بنحو نصف مليون أردب • وكان سعر أردب الذرة فى امدرمان عند قدومهم ستة ريال وفى جزيرة النيل الازرق اربعة ريالات لهذا طلب بيت المال من الامير أحمد السنى رئيس عمال الجزيرة ان يمده بالعيش الموجود فى مخازن عماله بالجزيرة ولما لم تكف الزكاة صار ولد السنى يطلب من عمال الجزيرة ان يتبرعوا لبيت المال بالعيش ليتمكن من سد حاجة التعايشة اليه وتبرع الناس حتى ان بعضهم تبرع بنصف محصوله لذلك قل العيش بالجزيرة واخذت اسعاره ترتفع وانتشر التجار ومناديبهم فى جميع الجهات يجمعونه ويبيعونه باسعار باهظة حتى وصل السعر فى امدرمان اربعين ريالا للاردب الواحد ووصل فى بعض الجهات ستين ريالا وفى كسلا ارتفع الى مائة وستين ريالا •

ارسال بعضهم لفشودة :

وعلم خليفة المهدى ان محصول فشوده فى الذرة كان ناجحا فى عام ١٣٠٧ فكاتب اميرها بأنه سيرسل اليه بعض التعايشة المجاهدين بعائلاتهم لتموينهم بالعيش فى فشوده وارسلهم اليه بقيادة الامير اب سام وكـان عددهم حوالى ثمانية آلاف عائلة محمولين على ستة وثمانين مركبا مـن المراكب الكبيرة واربع وابورات مع كل منها صندل واحد • وهناك جعل الامير يصرف لهم بمعدل رطلين لكل شخص فى كـل يوم فاقاموا هناك ستة اشهر ثم تسربوا قبل ان ينفذ العيش فى بيت المال راجعين لام‌درمان ولجهات كردفان والجزيرة المختلفة •

ولما نفذ ما فى بيت المال بفشودة لجأ الامير للمك عمر مك الشلك ليعينه بالذرة كما لجأ للدينكا فلم ييسر وجـوده عندهما فكاتب خليفة المهدى فى الامر • وارسل خليفة المهدى المقدم النور رئيس المراكب المائية ومحمد حمدنا الله وبابكر محمد بشاره لترحيل الجيش وبقية التعايشه لام‌درمان ، فوصلوها فى ذى العقدة عام ١٣٠٧هـ وقد اضيف التعايشة والهبانية للراية الزرقاء •

البـــاب العاشر

الخلاف بين الاشراف وخليفة المهدى :

مقــدمة لازمة :

عندبداية فتنة الاشراف فىعام١٣٠٨ التفت خليفة المهدىالى تجنيد جيش كاف لمواجهة الفتنة فانتخب شبانا من كل قبيلة عربية وزنجية جندهم وسماهم الملازمية[١] أى الحرس الخاص لخليفة المهدى • وقد بلغ عددهم اثنى عشر الفاسمى لهم امراء ومقدمين وجعل امارتهم العليا فى يدابنه شيخ الدين[٢] ورفع لهم راية خضراء سماها راية الملازمية وجعل لهم بيت مال خاص سماه بيت مال الملازمية وجعل حبيب عثمان أمينا لشونته وعين الامير ولد السنى لتموينه بالعيش من الجزيرة فكان يرسل له الزكوات والتبرعات من ذوى اليسار فكان الناس يتبرعون بكل ما زاد عن كفايتهم لبيت مال الملازميــة •

بداية الفتنــــة :

ذكرنا سالفا ان خليفة المهدى طلب من الاشراف الا يبارحوا مجلسه حتى لا تصلهم احاديث مزورة عن خليفة المهدى فلزموا مجلسه الى آخر عام ١٣٠٣ هجرى ثم اخذ الناس يطعنون لهم فى صدق مودة خليفة المهدى معهم وبلغ بعضهم انهم سمعوا من ثقة ان خليفة المهدى يضمر لهم الشر وما زال الوشاة بهم حتى عزلــوهم عن مجالس خليفة المهــدى تدريجيا واصبحوا بعد ذلك يتساءلون عن اقواله وتحركاته واخذ الوشاة ينقلون اليهم مزيدا مما يشاءون فتوهم الاشراف صحة ما نقل اليهم من وشايات وتجسم الظن فى نفوسهم فصار يقينا فخافوا ان يفتك بهم وتكلموا بهذا الخطر فى مجالسهم الخصوصية واخذوا يدبرون الخطط لتجنبه •

أول السجناء :

واتصل بخليفة المهدى ان اغلب الوشايات صادرة عن اسماعيل احمد شجر الخيرى الذى يتصل بالاشراف من جهة والده وكان من تجار الابيض المعروفين فى التركية السابقة وقدجعله المهدى مساعدا لاحمد سليمان أمين بيت المال فى القسم التجارى واشترك معه فى الوشايات الشيخ محمد عمر البنا وكان كاتبا للخليفة شريف • أمر خليفة المهدى بارسالهما لبحرالجبل فكان اسماعيل احمد شجر الخيرى اول سجين من الاشراف • بعد قيام الوابور طلب خليفة المهدى كبار الاشراف لمجلس خاص واخبرهم : « ان السجينين هذين كانا سببا فى نقل الوشايات ومعلوم ان من وشى لك وشى عليك ، لذلك اخترت ابعادهما فماذا ترون ؟ » فأجابوه بانك انت صاحب الامر وكلما تفعله صواب •

ولد البنا نديم ملوك :

ثم قال خليفة المهدى للاشراف ان بعض الاخوان طلبوا منى ارجاع ولد البنا لانه يعرف القرآن وجرىء فى القراءة امام الناس • وكان ولد البنا يقرأ كتاب الواقدى فى فتوحات الشام والدروبى وكان صوته جهوريا يسمع الناس وقال الشيخ طه ولد الجعلى ان ولد البنا تعلم فى مصر مع طوسون باشا وسعيد باشا فصار نديم ملوك واكتسب الجراءة فى القراءة فلم نجد من يسد فراغه ولهذا السبب رأيت ان ارسل لارجاعه وسوف لا يحدث ضررا بعد ذلك لاننا عرفناه وسنتقيه •

وقيل ان خليفة المهدى استدعى بعض القراء من اولاد البلد ومن أهل الغرب وطلب منهم واحدا بعد الآخر ان يتلو سورة براءة ومنهم الفقيه شرف الدين المعروف بحفظ القرآن وتجويده فما ابتدأ القراءة قليلا حتى تلجلج وارتج عليه • فأمر آخرا فلم يبلغ ما

بلغ صاحبه السابق وهكذا لم يستطع احد الحاضرين ان يسد فراغ ولد البنا فقال لهم : « انه لم يمض على سفر ولد البنا غـير ليلة واحدة ولم يسعكم ان تسدوا فراغه» فأجابوه بأن القراءةامام الجمهور صعبةوان ولد البنا تعود عليها فالاحسن ارجاعه .

فرده خليفـة المهدى وفصله من الخليفـة شريف ووبخه قائلا : « انت منافق بل انت اعظم نفاقا من عبد الله بن ابى سلول » ثم استتابه فتاب واخذ عليه عهدا الا يعود لما سبق . وبهذا هدأت الاحوال بين خليفة المهدى والاشراف الى اوائل عام ١٣٠٩ هجرى .

حراسة الخليفة شريف :

بينما كان الامير على بن الفكى الامين الضرير ذاهبا للجامع وقت السحر فى اوائل عام ١٣٠٩ هجرى وجد جماعة من المـلازمية بينهم عبد القادر حسن فاستوقفوه الى ان عرفهم بشخصه ثم اذنوا له بالانصراف وامروه الا يعود بذلك الطريق ثانيا خاصة اثناء الليل فسأل عبد القـادر حسن عن السبب فأجابه بأن ثلاثة من الجهدية تسوروا حائط الخليفـة شريف البارحة وهم مدججون بالسلاح ومزودون بالذخيرة ولما شعر بهم الملازمية هرب اثنان ووقع الثالث فى اسرهم وامام الخليفة شريف اعترف الاسير بانه واخوانه مرسولون من خليفة المهدى لقتل الخليفه شريف فأمر الخليفة شريف باطلاقه وهذا هو السبب فى ترتيب خفر منزل الخليفه شريف

وجاء بعد الامير على أحمد ولد جمال الـدين المشهور « بتنير » فعاملوه كما عاملوا الامير على وكانا مقربين لخليفة المهدى فطلبا مقابلته بعد صلاة الصبح .

مقابلات خصوصية :

قابل المذكوران اعلاه خليفة المهــدى ورويا له ما حدث فشكرهما وتريث • وفى صبيحة ذلك اليوم صدف ان زار الشيخ محمد عمر البنا الخليفة شريف وسمع عبد القادر ولد حســن يقص ما حدث ليلا للامير على ولد تنير فى حضرة الخليفة شريف وانصرف ولد البنا من ذلك المجلس وقابل خليفة المهدى وروى له ما دار فى حضرة الخليفة شريف وان الخليفة شريف لم يشترك فى الكلام بنفى أو اثبات فشكره وصرفه واخذ يتحرى فى الامر واستمرت الحراسة على منزل الخليفة شريف كل ليلة •

احمد شرفى يستنكر :

وبعد عشرين يوما مما حدث زار أحمد شرفى منزل الخليفة شريف ليلا وسأل عن سبب الحراسة فقص عليــه عبد القادر ولد حسن القصة السالفة الذكر فدخل على الخليفة شريف وسأله ان كان يصدق ذلك ويقره فسكت الخليفة شريف واستنكر احمد شرفى الامر وبعد مدة اجتمع مع خليفة المهدى فقص عليه خليفة المهدى القصة وقص احمد شرفى على خليفة المهدى ما دار بينه وبين الخليفه شريف فى هذا الامر وانه لم يجبه بكلمــة تفهم منها تصديقه أو عدمه للقصة التى تروى •

عرض الامر للقضاة :

بعد بضعة ايام استدعى خليفة المهدى الخليفة على ولد حلو والقاضى احمد ود على والقاضى الهادى دفع الله والقاضى عبد القادر ولد ام مريوم والقاضى الشيخ ابراهيم ولدعالم وعثمان ولد احمد البطحانى النايبوأمر باحضار الامير على وولد تنيروولد البنا شهودا وامر الخليفة الاميريعقوب ان يحضر كبار التعايشه فحضروا بخيولهم ودروعهم وسار خليفة المهدى فى هذا الجمع وخلفه طابور من الجهدية والملازمية مدججين بالسلاح بعد

صلاة العشاء لمنزل الخليفة شريف فلم يجدوه فساروا اليه فى منزل الجد احمد شرفى ودخل خليفة المهدى وانتظر الامير يعقوب وكبار التعايشه عند الباب الخارجى وبعد تبادل التحية وتناول العشـاء التفت خليفة المهدى للقضاة قائلا : « انى جئت الآن لارفع لكم ظلامتى فى الامر الذى تعرفونه كلكم ، فأنى مظلوم من اخى الخليفة شريف الحاضر بهذا المجلس » وسرد ظلامته واستشهد بالذين رفعوا اليه هذا الحديث وطلب الشهود واتضح ان ولد البنا تغيب مختفيا بمنزل الامير يعقوب . وحضر الشهود فسأل خليفة المهـدى الخليفه شريف أن كان له طعن فيهما وهمـا الامير على وود تنـير .

اعتراض على القضاة :

وتحدث الخليفة شريف فقال : « قد علمنا عدالة الشهود ولكن اين القضاة النزهاء الذين سيحكمون فى هـذه القضية ؟ » فرد عليه خليفة المهدى : « ان هؤلاء القضاة ولاهم المهدى أمر القضاء وهم سيحكمون بيننا » فقال الخليفة شريف : « ولكنى لا اعتمد ذمة القاضى أحمد ولا ارضى بحكمه وافضل ان يحكم بيننا انجليزى من ان يحكم بيننا هـذا » فسكت المجلس وتولى الكلام السيد عبد القادر أحمد ساتى على فأخذ يراجع الخليفة شريف برطانة الدناقلة فنصحـه بالا يحتد ولا يتسرع فى الكلام لان التسرع غيرمحمود وكثيرا مايوقع صاحبه فى الخطأ «والاحسن ان تتريث وترتب كلامك وتدافع بالمعقول من الكلام مثل لهجة اخيك فى كلامه التى رفع بها ظلامته » فسأل خليفـة المهدى السيد عبد القادر : « ولماذا ترطنون ؟ » فأجابه : « ان عندنا مراجعـة » فقال خليفة المهدى « لا بأس ما دامت مراجعة »

وبعد ان سكت السيد عبد القادر تحدث القاضى احمد للخليفـة

شريف بأدب فقال : « ياسيدى نحن ولانا المهدى عليه السلام امر القضاء ولا يصح ان تفضل حكم الانجليزى على حكمنا فأننا مسلمون ونعرف الشريعة الاسلاميةوسنحكم بينكما بمقتضاهاان شاء الله » وطلب القاضى ولد عالم ان يحضر ولد البنا لسمـاع شهادته كما طلـب سماع ثلاثة من الاشراف اشار اليهم خليفة المهدى فى حديثه •

شهادة الإشراف الثلاثة :

فسأل السيد احمد شرفى وسرد مادار بينه وبينعبد القادر ولد حسن من كلام واستهجانه للامر وان الخليفـة شريف لم يبد استحسـانا ولا استهجانا بفعل عبد القادر ولد حسن • وتحدث السيد عبد القادر امـير راية الخليفة شريف بعد ان اقسم فقال انه لم يطرق اذنه هذا الحديث الا انه ذات يوم اتوه بلص فقبضوا عليه وخبروه بأنه تسلق منزل حليمة بنت عبد الصادق زوجةالسيد احمد شرفى وسرق ثوبين يخصان احدىخادماتها فأرسله للطيب ولد العركى حاكم السوق المختص بمثل هذه القضايا وما زال اللص مسجونا • وسئل السيد احمد عبد الكريم وكيل راية الاشراف فاقسم بأنه لم يسمع شيئا عن هذا الامر ولا عن قصة اللص الذى ذكره السيد عبد القادر •

اين عبد لقادر ولد حسن ؟ :

بعد هذا طلب خليفة المهدى من الخليفة شريف ان يقدم للمجلس عبد القادر ولد حسنفرد الخليفة شريف بأنه يخشى عليه من القاضى أحمد لانه لا يثق بذمته فرد عليه الخليفة بأن امره سيعرض امام كل هذا المجلس وليس القاضى احمد وحده واردفقائلا : « انى اخشى انه اذا لم يحضر ولم يأخذ الحق مجراه معه فسوف يحدث منه ما هو اكبر من ذلك » واصر الخليفة شريف على عدم تقديم ولد حسن للمجلس فقال خليفة المهـدى : « يا اخوى الاحسن تقديمه للمحكمة وتأديبه ليهتدى ويتعظـوان لميؤدب

فى هذه فسوف يتمادى فى مثل هذه الافعال وانى كل ما اخافه هو الفتنة ولا بد ان يقع فى القبضة ويكون عقابه اشد واعظم ما دام هو سائر فى طريقه واما اذا ثاب لرشده ورجع عن ذلك فذلك المطلوب والحمد لله عليه ومادمت مصرا على عدم تقديمه للمحكمة فأنى تركته الآن لاجل خاطرك ولكن لا بد من عمل معاهدة قوية بيننا لاتقاء مثل هذه الفتن والوشايات » وسكت خليفة المهدى وتناول الحديث متأثرا باكيا الشيخ ابراهيم ولد عالم طالبا العمل لوقف تلك الوشايات بأن يتعاهد الطرفان بتبليغ بعضهما البعض عن كل ما يصلهما وعمن يوصل بينهما وشاية ، واستحسن خليفة المهدى حديثه ثم طلب من السيد أحمد شرفى ان يحضر مصحفا لاخذ اليمين عليه .

تمت المعاهدة :

اتفق الطرفان على الصيغة التى اقترحها خليفة المهدى ثم وضع خليفة المهدى والخليفة شريف سيفيهما بجانب المصحف ومعهما سيف الخليفة على ولد حلو ووضعا يديهما على المصحف والسيوف واقسم كل منهما باللهالعظيم وبكتابه وسيوف المهدى هذهبأنه اذا اتاهاحد بوشاية نسبها للخليفة الآخر فأنه يستوقفه فى مكانه حتى يحضر الآخر مع القضاة ويطلب منه اثبات ما قال منه فى الحال أو يعاقب ثم تصافحا وتعاهدا على الصفاء والاخلاص .

وطلب كبار الاشراف ان يؤدوا مثل ذلك القسم فأدوه وانفض المجلس ودام الصفاء شهرين أو ثلاثة شهور على الاكثر .

خبر كاتبى السر :

بعد ثلاثة شهور من الاتفاق بين خليفة المهدى والخليفة شريف اتى فوزى واحمدى(٣)ابنا محمود بادى كاتب سر خليفة المهدى الى الخليفة

شريف فى جوف الليل متخفين فى ثياب نساء ويحملان معهما مصحفا اقسما عليه وبلغاه ان خليفة المهدى قرر امامهما نفى الخليفة شريف وأولاد المهدى والسيد عبد القادر والسيد محمد عبد الكريم الى جبل مره ونفى بقية الاشراف الى بحر الغزال وان روابط القرابة والنسب التى تربطهما بالخليفة شريف دعتهما لكشف هذا الامر له وهما يعلمان انه اذا انكشف امرهما فجزاؤهما القتل ٠ اصبح الخليفة شريف فى حيرة بين أمرين : بين عهده مع خليفة المهدى وبين المروءة التى تقضى عليه الا يقدم المذكورين للقتل لما قالاه من صلة القرابة التى دعتهما لافشاء هذا السر الذى لا يمكنهما اثباته لان كل الذين حضروا ذلك المجلس من خاصة خليفة المهدى ٠

وفى الصباح طلب الخليفة شريف السيد محمد عبد الكريم وحدثه بما بلغه من كاتبى سر الخليفة ودخل بعده أحمد محمد خير وعبد القادر ولد حسن وسليمان عبد الله وهم من ملازمية الخليفة شريف فلم يخف عنهم الامر وخاضوا جميعا فى مناقشته وتلمسوا كيفية الدفاع عن انفسهم فأستقر رأيهم على استشارة السيد عبد القادر لما يتوسمون فيه من الدهاء وسعة الفكر وحسن الرأى فتوجهوا لمنزله وافضوا اليه بكل ما حدث وطلبوا ما عنده من رأى حول كيفية الدفاع عن انفسهم ٠

الاستسلام اولى :

ونصحهم السيد عبد القادر بالا يحركوا ساكنا ويستسلموا والامر لله لعدم وجود رجال معهم ان خليفة المهدى قد سحب الجيش من ايديهم والامر بين اثنين : اما ان يكون الخبر صحيحا وخليفة المهدى مصمم عليه فهو لا بد من نفاذه واما ان يكون مختلفا والسكوت عنه صنع حسن «اما قولكم بتجهيز جيش للدفاع عن انفسكم فهو أمر قد فات اوانه ، ومن معكم من الرجال ؟ هل فيهم أحمد شرفى او السيد محمد خالد ؟ أو محمد

حاج شرفى ؟ » فأجابوه : « هؤلاء مخلصون لخليفة المهدى » فقال لهم : « هؤلاء عصبتكم من حــاج شريف الذين ينتظــر ان يثبتوا معكم عند الحادث الداهم اما البقية فلاأثق فيهم لانهم ليسوا من عصبة الخليفة شريف الذين يبذلون ارواحهم دفاعا عنه »

انصرف الخليفة شريف وحاشيته من السيد عبد القادر لما تبين لهم انه لا يوافق على رأيهم •

يستدعون رؤساء القبائل :

استقر رأى الخليفة شريف وحاشيته على استدعاء رؤوس القبائل والاعيان الذين يظنون انهم موالون للخليفة شريف واوكلوا هذا الامــر الى احمد محمد خير فيقابلهم ويأخذ منهم اليمين والعهد على أن يكونوا فى نصرة الخليفة شريف ويقفوا معه ضد خليفة المهدى الذى جعل المهدية ملكا وعزم على نفى أو قتل اولاد المهدى والخليفة شريف وكبار الاشراف

واستمر أحمد محمد خير فى تنفيذ هذا الامر نحو ثلاثة أو أربعة شهور حتى ضموا اليهم عبد المولى صابون رئيس الجهدية ووكيل الامير حمدان ابو عنجه وهو آخر من اخذ اليمين •

يقع فى الفــخ :

اتفق الامير على الفكى الامين والبدرى ود العريق ومحمد حامــد جغرن وبانقا محمد كاتب الراية الزرقاء على زيارة احمد محمد خير ليتأكدوا من الاشاعة القائلة انه يعمل فى محالفة جماعة الخليفة شريف ورؤساء بعض القبائل لمحاربة خليفة المهدى فزاروه فى منزله وبعد التحية والآبرى والقهوة ظن أحمد محمد خير انهم جاءوه لتأدية اليمين فشرح لهم المسألة وعرفهم بأن خليفة المهدى جعل المهدية ملكا •• الخ القصة واخــذ معهم اليمين

وكشف لهم ان بعض رؤساء القبائل تحالفوا مع جماعة الخليفة شريف •

خرجوا من عنده الى القاضى يستفتونه عن اليمين الذى أخذه عليهم أحمد محمد خير فافتاهم ببراءتهم منه لانه يمين يؤدى الى فتنة فذهبوا لخليفة المهدى وبلغوه بما حدث فألم بما كان يصنعه الاشراف واخذ يستعد للطوارىء شهرين أو ثلاثة شهور متظاهرا بعمل حركة استعداد ليختبر حال الاشراف ومقدار استعدادهم

الاشراف على أهبة الاستعداد :

وفى ذات يوم واذكر انه كان يوم سبت وبعد صلاة الظهر طلب الخليفة شريف جميع الاشراف والحاضرين من رؤساء القبائل الذين ارتبطوا مع الاشراف فسألهم : « ماذا سمعتم ؟ » فقالوا : « سمعنا ان خليفة المهدى متحرك ولا ندرى ماذا يقصد من حركته » فقال لهم : « نعم بلغنى ان عنده حركة فطلبتكم لتكونوا على أهبة الاستعداد فربما طلبتكم مساء الليلة أو صباح الغد » وتناول الحديث احمد محمد خير واحمد سليمان المحسى فقالا انه بلغهما ان خليفة المهدى سيقتل السيد محمد خالد صباح الغد وقد تقدم انه امر به للسجن •

لم تتم صحة الخبر صباح الاحد ولم يحدث جديد فى الامر • وقبل صلاة الظهر يوم الاثنين طلب الخليفة شريف من جميع اتباعه ان ينتظروه داخل حوش قبة الامام المهدى فانتظروه الى قريب ميعاد الصلاة ثم خرج بعضهم للجامع لاداء الصلاة وانتظرته اغلبيتهم وجاء الخليفة شريف بعد ان صلى المصلون فى الجامع واقام صلاة الظهر داخل الحوش وبعد السلام ابلغ الحاضرين : « ان الخبر الاكيد الذى بلغنا هو ان خليفة المهدى مصمم على ان يلقى القبض علينا نحن واولاد المهدى وانه سينفينا الى جهات مختلفة فيرسل فرقة الى جبل مره وأخرى الى كسلا وثالثة الى

بحر الجبل فما رأيكم ؟ » فقالوا جميعا : « فهمنا ذلك وسندافع عنكم وعن اولاد المهدى وعن انفسنا » فدعا لهم بالخير فصاحوا وتباشروا واعلنوا أمرهم .

عندما سمع خليفة المهدى اصواتهم هذه امر الجهدية والجيوش الاخرى ان تستعد فضرب الجهدية أهل الخشنجان نطاقا على محراب خليفة المهدى برئاسة الحاج الزبير وعربى ود دفع الله واما بقية جيوش أولاد العرب فقد احاطوا بسور الجامع من الجهة الداخلية من ثلاث جهات الشرقية والبحرية والغربية وتركوا الجهة القبلية فجاء الامير يعقوب ومعه كل فرسان الراية الزرقاء فوقفوا فى الجناح القبلى من الجامع .

أعتزال السيد أحمد عبد الكريم :

بعد ان اظهر الاشراف امرهم دنا السيد احمد عبد الكريم من الخليفة شريف مناجيا فقال : « الا تذكر بيعتنا للخليفة عبد الله وعهدنا له بوجود المهدى ويد المهدى فوق ايدينا ؟ » فأجاب بأن نعم . فقال له : « الا تذكر بعد وفاة المهدى اخذتنا اليه لمبايعته بأنه الخليفة النائب عن المهدى ؟ » فقال : « نعم » حينذاك قال له : « الم تعلم انه عند حصول مثل هذه الفتنة بين اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان بعضهم اعتزلها لسلامة دينة ؟ » فأجابه بأن نعم فقال السيد احمد : « مادام الامر كذلك فأنى اريد ان اعتزل هذه الفتنة لسلامة دينى كما اعتزلها السيد عبد القادر واريد رضاك عنى » فأجابه الخليفة شريف بأنه راض عنه وموافق على اعتزاله واعلمه انه ليس راغبا فى الفتنة ولا شأن له بها وليست من رأيه ولكن الجماعة تغلبوا عليه وارغموه على الموافقة معهم وهو امر قدره الله وسيقضى الله امرا كان مفعولا .

وانصرف السيد أحمد للجلوس فى مكانه المعتاد فى الجامع مخبرا

الخليفة شريف بأنه سيعود اليه اذا طرده خليفة المهدى من الجامع ويشترك فى الحرب ضده آنذاك • وفى الجامع رأى السيد أحمد الشيخ احمد ولد عالم والشيخ عثمان البطحانى النائب يتفقدان محلات الاشراف فى الجامع ليعلما الموجود والمتغيب فلم يجدا من الأشراف الا السيد أحمد عبد الكريم فسألاه : « اين بقية الاشراف ؟ » فأجابهما بانهما يعلمان اين هم •

فى حضرة خليفة المهدى :

بعد ذلك جاءه الشيخ حسن ود خبير فقال له : « اجب داعى خليفة المهدى » فلما جلس امامه سأله « اين الاشراف ؟ » فأجابه بأن مكانهم معلوم فسأله عما أخره عنهم : فأجاب بأنه لا يريد مفارقة أهله ولكنه رأى انه مربوط مع خليفة المهدى برباط الدين وان بيعته على الاعناق ولذلك استأذن الخليفة شريف بعد صلاة الظهر ليصلى العصر بالجامع ، فسأله لماذا استأذن واجاب انه سيحدثه فى ذلك فى وقت قريب فأذن له بالانصراف على أن يطلبه صباح الغد •

وبعد صلاة ظهر يوم الثلاثاء جاءه حسن ود خبير يستدعيه للمثول امام حضرة خليفة المهدى وعندما اقترب من خليفة المهدى تعرض له حاج زبير رئيس الجهدية الخشاخين وأمره ان يضع سلاحه فلم يجبه وامره خليفة المهدى ان يتركه يحضر بسلاحه وامره بالانتظار واقفا ثم سأله « هل ذهبت اليوم لاهلك الأشراف ؟ » فأجابه سلبا • فقال له : « هل انت موافق وراض بحالهم فأجابه : « اذا كنت موافقا على فعلهم وراضيا به لما كنت اعتزلتهم » فقال له : « اعتقد ان اخاك محمد عبد الكريم عاقل ! فلماذا اقرهم على هذا الفعل ؟ وايضا السيد عبد القادر رجل عاقل فلماذا لم ينههم عن هذا الفعل ؟ » فأجابه بأن السيد عبد القادر ملتزم بيته ولم يشترك معهم فى شىء من هذا الامر فقال : « وما بال أحمد شرفى ؟ فأجابه بانه ايضا ملتزم بيته فقال : « انهم

الآن اعتزلوا عنا وبارزونا ونحن يئسنا منهم وعزمنا على مقابلتهم بما رغبوا لأنفسهم ولكنى لو اجد بغيتى فى سحب الخليفة شريف واولاد المهـدى ومحمد عبد الكريم واحضارهم لى وترك بقية الوشاة والاوباش وحدهم لكنت اعرف كيف اجازيهم ! لكن ما دام الخليفة شريف اختار لنفسه ذلك فأنا لا ابالى بان اعامله بما اختاره لنفسه .

يراجع خليفة المهدى :

وهنا حاول السيد أحمد عبد الكريم مراجعة خليفة المهدى فقال له : « اتأذن لى يا خليفة المهدى فى الكلام ؟ » فقال له : « تكلم بما شئت » فقال له : «انك خليفة المهدى ووصيه فلا ينبغى لك أن تيأس منهم وتعاملهم بالشدة » فقال له : « وماذا افعل ؟ وهل من الممكن المراجعة بعد ذلك ؟ » فقال له : « نعم ان المراجعة ممكنة جدا » فرد عليه خليفة المهدى بقوله : « اخشى ان يؤذوا رسول المراجعة ! » فقال لـه : « قد لا يكون ذلك » وبينما كان يتحدث بذلك كان القضاة ينظرون اليه شذرا .

طلب خليفة المهدى الامير يعقوب(٤) واستعاد السيد احمد قوله فقام القاضى احمد وقال بغلظة : « لا مراجعة بعد هذا » فالتفت اليه خليفـة المهدى بغضب وقال له : « اجلس » كررها ثلاثا . وجلس القاضى احمد واما الامير يعقوب فلم يبـد على وجهه استغراب ولم يعـارض اقتراح السيد احمد عبد الكريم . وخاطب خليفـة المهدى السيد احمد عبـد الكريم قائلا : « الظاهر من حالهم انهم قـد بارزونا يائسين من حالنا ومواقفنا فربما لا يقبلون مراجعة بعد ذلك » فقال له السيد احمد عبد الكريم : « قدبلغنى ان خليفة المهدى صعد المنبر مساء البارحة بعد المغرب وقال ان الخليفة شريف واولاد المهدى وكبار الاشـراف ليس من رأيهم هذه الفتنة ولا يضمرون لنا شـرا ولكن الوشاة والاوباش الذين معهم هم الذين اهاجوا هذه الفتنة وارغموهم على الدخول فيها ، وما دام خليفة

المهدى عزم على قتالهم فأنى سانضم لاهلى لاموت معهم ولا امد يـدى ولا استعمل سلاحى لحرب خليفة المهدى ولا احدث نفسى بذلك ولكـن الواجب يقضى على اناموت معهم » عند ذلكسكت خليفة المهدى واطرق مليا ثم رفع رأسه وقال للسيد أحمد عبد الكريم : « انك اخبرتنى امس بأنك استأذنت وجئت لتصلى معنا وسوف تحدثنى بما عندك من الرأى » وبعدها اذن خليفة المهدى للامير يعقـوب بالانصراف ثم دخـل الى بيته وارسل عبد الرحمن حديده الحبشى ليدخل اليه السيد احمد عبد الكريم فدخل عليهوسأله عن سبب استئذانهمن الخليفة شريف فأجابه : «ياسيدى انى لما رأيت المسألة افضت الى المبارزة والحرب ناجيت الخليفة شريف » ثم حكى لخليفة المهدى بما دار بينهما قبـل الاستئذان واستوعب خليفة المهدى حديثه ثم قال : « ها قد بدأت المبارزة بيوم الثلاثاء وغدا الاربعاء فسننظر فى المراجعة اذا كانت تجدى نفعا »

أستعدادات عسكرية :

فلما كان يوم الاربعاء بدأ الفريقان فى الاستعداد وحشد الجيوش للحرب فكانت استعدادات خليفة المهدى بجيش يقدر بعشرين الفا علـى الاقل • ووضع جيشا كافيا برئاسة ابراهيم مالك من اقاربه لحراسة بيت الامانة الذى هو بمثابة مخزن عام للاسلحة والجبخانة ومهمات الجهـدية والرايات وما شابه ذلك • ووضع جيشا كافيا لحراسة بيت الامير يعقوب وبيت خليفة المهدى نفسه برئاسة حاج الزبير عبد الرحيم وعربى دفع الله من كل الجوانب كما وضع الجيش الكافى لحراسةكل المحلات التى يخشى عليها مثلالكارة التىفيها الاسلحة والجبخانة ومهمات الجهدية الذينكانوا فى ذلك الـوقت تحت رئاسة الامير أحمد فضيل قريب خليفـة المهـدى ووضعت المدفعية امام منزل خليفة المهدى متجهة فوهاتها الى بيت المهدى وبيت الخليفة شريف ومنازل الاشراف وكذلك حرس الجامع من الداخل

من جميع الجوانب بالجهدية حاملى الاسلحة النارية ، واما محراب خليفة المهدى فأنه حرس بنطاق من الجهدية حاملى الخشاخين ثم عين الامير محمد حامد جفون المسلمابى ومعه فرقة من الجهدية وخليط من قبائل الرزيقات والهبانية والحمر وما اشبه عدا التعايشة فانهم جميعا مع الامير يعقــوب وفرقة من العمراب والجعليين تحت رئاسة فضل الله ولد شاويش وهؤلاء وقفوا صفوفا شرق بيت خليفة المهدى الى منزل الخليفة شريف الى بيت السيد عبد القادر الى بيت احمد ولد سليمان • وقد صفت الجيوش بهذا الترتيب وامرت ان تنتظر كذلك مدججة بالسلاح حتى تصدر لها الاوامر بما تنكشف عنه المراجعة اما بالصلح أو الحرب •

اما فى جيش الخليفة شريف الذى كان يقدر بنحو الف رجل فقد وقف محمد كركساوى وسليمان كركساوى وعثمان صالح ارباوى ومعهــم علية القوم مصطفين فى الجهة الشرقية لقبة المهـــدى وممتدين امام قبة المهدى مسلحــين بعضم بالبنادق وبعضهم بالسيوف والحراب واصطف مثلهم فى الجهة القبلية لبيت المهدى وبيت الخليفة شريف موالين المدفعية ثم وضعت نقطة أخرى برئاسة شائب أحمد وسعيــد محمد فرح مصطفة فى الجهة الموالية للجهدية الذين تحت رئاسة بخيت جاموس •

وقد اصطفت جيوش الطرفين بهذا الترتيب من اول ضحوة الاربعاء الى ما بعد الظهر وكان وقوفهم بالقــرب من بعضهم جدا حتى انهم كانوا يتراشقون بالكلمات النابية والتهديدات والوعيد وكان يتخلل ذلك مفاكهات وضحك وكان خليفة المهدى يرسل كلا من البدوى ود العريق والامير على الفكى الامــين ليؤكدوا لامراء الجيش المرابطــين للحرب بأن يلزموا السكينة ولا تبدر منهم اى حركة قبل صدور الامر النهائى اليهم فكانوا يمرون عليهم من آونة لاخرى يذكرونهم بهذا الامر وكذلــك يذكرون الفرق المرابطة من جيش الخليفــة شريف بانهم مرسلون من قبــل خليفة

المهدى لاعطاء التعليمات اللازمة للجيش بأن يلزم السكينة ولا يعمل أى مشاغبات ولا حركات ولا مناوشات وانه يرجو منهم كـذلك ان يلزموا السكينة ويقابلوهم بالمثل •

أهل الشورى والقضاة :

وعند أول الظهر خرج خليفة المهدى فأدى الفريضـة فى المسجد ثم رجع لبيته وطلب الخليفة على والقضاة وكل أهل الشـورى من كبار الامراء والاعيان الذين يقدرون بنحو ثمانين الى مائة شـخص وخاطبهم خليفة المهدى قائلا: «لقد طلبتكم هنا للتشاور فى بعض تعيين وفد لمراجعة الخليفة شريف ومن معه بأن يجنحوا للسلم والصلح وايدت اغلبية المجلس هذا الرأى اما بعضهم وفيهم القاضى احمد ومن تبعه فلم يميلوا للصلح •

رصاصة طائشة :

وبينما هم يتداولون الحديث اتت رصاصة من قبل جيش الخليفة شريف فوقعت خلف خليفة المهدى على قيد متر أو مترين وضربت الجدار ثم وقعت تحت سرير خليفة المهدى فهاج الناس وماجوا واذن لهم خليفة المهدى بأن ينصرفوا الى الجانب الآخر من المجلس لخطورة الجلوس قرب خليفة المهدى فانتقل اغلبهم الى الجانب الآخر واما خليفة المهدى فقد ظل ثابتا فى محله ولم يتزحزح عنه ولم يأبه بالرصاصة التـى وقعت قريبا منه ودخل حاج الزبير مندفعا وهو يقول لخليفة المهـدى ان جماعة الخليفة شريف قد بدأونا بالضرب وقد اصابوا ام بده فقتلوه فماذا نفعل ؟ فانتهره خليفة المهدى وقال له ارجـع الى مكانك والتزم السكينة حتى نأمرك بما نراه •

مجيء احمد شرفى منزعجا

بعد خروج حاج الزبير جاء السيد أحمد شرفى حافى الرأس ، ممزق

الملابس فسأله خليفة المهدى : « ما خطبك ؟ » فأجاب : « انى عندما سمعت صوت البندقية التى ضربت خرجت من منزلى فزعا لارى ما حدث فدخلت مجلس الخليفة شريف فوجدتهم ساكتين فسألتهم عن صوت البندقية فقالوا لا نعلمها ، لذلك قلت لهم : ما دمتم سالمين وخليفة المهدى سالم فالاحسن ان تتسامحوا وتتصالحوا قبل ان يتسع الخرق على الراتق • وكذلك نصحت اولادى الفاضل ومحمد والبشرى انه لا يصح ان يحاربوا خليفة ابيهم فقام موسى ود أحمد المشهور بموسى ود زينب ووكزنى برأس سيفه فى رأسى ثم امسك بملابسى ومزقها كما ترى وبعدها جرد السيف وهم ان يضرب عنقى فقام اولاد المهدى الثلاثة وقالواللخليفة شريف هذا جدنا ولم يفعل شيئا يستوجب هذه المعاملة فأن لم تقبلوا نصيحته فاتركوه لشأنه ليذهب لسبيل حاله فأمر الخليفة شريف موسى احمد ليكف عنى فحضرت لارى حال خليفة المهدى شفقة عليه • فقال له خليفة المهدى : ما كان لك ان تخرج من بيتك فى مثل هذا الوقت بل يلزم ان تبقى بمنزلك حتى تتكشف هذه الحالة • فقال أحمد شرفى : « مافائدة حياتى اذا اصابتهذه الرصاصة اولاد المهدى أو خلفاء المهدى واستفحلت الفتنة فاودت بحياتهم • فدعا له خليفة المهدى بخير ثم استدعى منصور الامين الحبشى أحد الخصيان ببابه فأمره باحضار صرة فيها جبة وعمة وطاقية وحزام من ملابس خليفة المهدى الخصوصية والبسه الجبة بنفسه واعطاه الطاقية والحزام والعمة ثم استدعى بخيت جاموس احد رؤساء المئات ليحضر معه جهدية بسلاحهم وأمرهم ان يحرسوا السيد احمد شرفى حتى يعود لبيته وان يمروا بنفس الطريق الذى اتى به من مجلس الخليفة شريف واذا اعترضهم أحد فأنهم مأذونون بضرب الرصاص ولهم بعد ان يوصلوه منزله ان يتركوا معه خمسة جهدية لحراسته • وقد تم ذلك بسلام فلم يعترضهم احد حتى وصلوا المنزل وعادوا لخليفة المهدى •

أول محاولة للصلح :

قيل ان خليفة المهدى ارسل مرة القضاة والحردلو ابو سن لمراجعة الخليفة شريف وعمل صلح فقال الخليفة شـريف للقضاة : « اما تعلمون انى اطالب بترك الظلم واقامة العدل والشريعة التى أمر الامام المهـدى باحيائها وانتم المقصودون بذلك لان امر المظالم والشريعة موكول لكم وانتم المسئولون عنه امام الله فلا اقبل مراجعتكم» ثم التفت الى الحردلو وقال له : انى لا اسمع مراجعة الغنائين »

محاولة الصلح الثانية :

على اثر ما دار فى المجلس الذى ذكرنا آنفا أمر خليفة المهدى الخليفة على بأن يقوم بمراجعة الخليفة شريف ويأخذ معه عثمان النائب والسيـد المكى وود ام مريوم وابراهيم احمد عالم والشيخ الجعلى والحردلو ابو سن وطه ود الجعلى وعبد الباقى حاج الماحى والقاضى احمد وآخرين • ذهب هؤلاء لمراجعة الخليفة شريف وطلب الصلح فأجاب الخليفة شريف طلبهـم •

بدأ الحديث الخليفة على فسأل عن السبب الذى دعاهم لشق عصا الطاعة ومبارزة خليفة المهدى فأجابه احمدمحمد خير واحمد سليمان فقالا له : « ان السبب المهم هـو ان خليفة المهدى اخـذ منا سلاحنا وراياتنا وجيشنا » فقال لهما الخليفة على : « انكم انتم السبب فى ذلك فأن خليفة المهدى استحسن وضع الرايات والسلاح فى صعيد واحد فى بيت الامانة بموافقتكم وموافقتنا وجميـع اسلحتنا وراياتنا نحـن وانتم وضعناها باختيارنا فى بيـت الامانة لحفظها فقط وان نأخذها عنـدما نريد حملها للعرضة او للهجرة او غير ذلك • ولما كان يوم الجمعة جئت انا شخصيا واخذت رايتى واسلحتى حسب الاتفاق السابق ولم تفعلوا ذلك انتم وقد تخلف الخليفة شريف ولم يحضر كما حضرت أنا بل ارسل محمد أحمد

شيخ ادريس فرفض خليفة المهدى الآن يحضر الخليفة شريف لاخذها ولم تأخدوها فى تلك الجمعة ولا فى التى تلتها وهذا يعنى انكم تركتموها باختياركم وهذا هو ليس السبب الذى دعاكم لمخالفة الناس لمحاربة خليفة المهدى بل بلغنا انكم قلتم ان المهدى جاء لاحياء الشريعة والعمل بالسنة والكتاب ولكن خليفة المهدى ترك حكم الشريعة وجعلها ملكا وصار يحكم (بالاشارة) بمقتضى ما يوحى رأيه فلذلك انتم برزتم لمحاربته . فقالا له : « حقيقة نحن قلنا ذلك ولكن الشيء المباشر الذى اغضبنا واضطرنا لهذا الموقف هو سلب الرايات والسلاح وتفريق جيوشنا » فأجابهم الخليفة على بقوله : اما قولكم ان خليفة المهدى جعلها ملكا .. الخ فاننا نحن وانتم بايعناه بحضور المهدى على السمع والطاعة والانقياد لحكمه وان هذه البيعة ما زالت على رقابنا ونحن مدانون له بها وملزمون بالطاعة له . اما اخذ الرايات والسلاح وتوزيع الجيش فانتم سببه فقد اتفقتم معه على خزنه فى مكان واحد ثم تخليتم عن الاتفاق باختياركم .

وشرع احمد محمد خير فى الجدل مع الخليفة على فوجه الخليفة على حديثه للخليفة شريف قائلا : « ما رأيك فى هذا الكلام الذى صدر عن الجماعة ؟ » فأجابه الخليفة شريف بقوله : « حقيقة اننا وضعنا الرايات والسلاح فى بيت الامانة باختيارنا وعلى حسب اتفاقنا مع خليفة المهدى وتخلينا عنه باختيارنا لاسباب رأيناها وتطورت المسألة حتى فات الفوات ولا فائدة من ذكرها الآن وحيث انكم جئتم الآن بقصد عمل الصلح بيننا وحقن دماء المسلمين فأنا لا امانع فى ذلك بل اوافقكم على شرط الا تمسوا الناس الذين قاموا معى فى هذا الامر بسوء ولا تؤاخذوهم فيما مضى » فاجابه الخليفة على بصفته مندوبا من خليفة المهدى بالموافقة على ذلك وعاهدهم الخليفة على على ذلك . فانطلق الخليفة على وبقية الوفد الذى معه وتبعهم الخليفة شريف ومعه السيد محمد عبد الكريم والسيد عبد

القادر احمد ساتى على واولاد المهدى الكبار الثلاثة الفاضل ومحمد والبشرى فذهبوا جميعا لضريح الامام المهدى لابرام المعاهدة والتحالف هناك وتم العهد على ما ذكر وارسلوا طه ود الجعلى وعبد القادر ود الماحى ليخبرا خليفة المهدى بحصول الاتفاق على الصلح واخبره بان الجميع سيقدمون عليه بما اتفقوا عليه فسر خليفة المهدى بما حدث وحمد الله عليه وامرهم ان يرجعوا ليستعدوا ويحضروا حالا امامه لابرام الصلح •

لقاء الخليفتين :

عند وصول الجميع لمجلس خليفة المهدى سجد شكرا لله ثم قام وعانق الخليفة شريف ثم عانق اولاد المهدى واحدا واحدا ثم صافح السيد عبد القادر والسيد محمد عبد الكريم وبكى خليفة المهدى فبكوا جميعا آسفين على ما بدر منهم وعلى ما حصل من خلاف ثم حمد الله وشكره واثنى على من وفقوا فى عقد الصلح ودعا لهم بخير كما دعا على من كان السبب فى هذه الفتنة بالويل والثبور ورجا الله ان يوقعهم فى القبضة اذا لم يزل فى انفسهم شىء بعد هذا الصلح •ثم قال لهم : « قد سمعتم صوت البنادق التى ضربت فلذلك اطلب الى السيد محمد عبد الكريم ان يمر على كل امراء جيش الخليفة شريف ويعلنهم بحصول الصلح بين الفئتين ويجمع منهم الاسلحة فيضعها فى منزل الخليفة شريف خوفا من حدوث شىء آخر من الرعاع فصدع السيد محمد عبد الكريم بالامر وجمع الاسلحة من جيش الامير محمد كركساوى والامير سليمان كركساوى والامير شائب احمد والامير عثمان صالح ارباوى وسعيد محمد فرح وكذلك السلاح الذى بيد ملازمية الخليفة شريف والامناء فسلموا سلاحهم جميعا الا سعيد محمد فرح فأنه رفض تسليم بندقيته وقال له: «انها ليست من سلاحكم بل اعطانيها الانجليز قبل المهدية وسأحفظ بها نفسى ثم انحى بلائمة على السيد محمد عبد الكريم ومن معه وقال له : « كأن اتفاقكم وصلحكم

هذا على دمائنا ولو كنا نعهدكم بهذه الصفة لما دخلنا معكم فى هذا الامر بل كنا نظنكم رجالا تمضون فى تنفيذ رأيكم وتدافعــون عن حوزتكم حتى الموت أو بلوغ الغاية المنشودة »

استدعاء الامراء :

بعد ذلك اقبل الشيخ ابراهيم أحمد عــالم مرسولا من قبل خليفة المهدى لاستدعاء جميع الامراء الكبار من جيش الخليفة شريف فذهبوا لمقابلته فحياهم وطمأنهم وامرهم ان يرجعوا الى اماكنهم ويقابلوه صباح الغد عندما يعقد مجلسه • وعند انصرافهم استــدعى خليفة المهدى جميع امراء الجيوش التابعة له فعرفهــم بالصلح وامرهم بتســريح الجيوش والانصراف الى اماكنهم ولم يبق منهم الا حرس على بيت خليفة المهدى وبيت الامانة والكارة التى فيها اسلحة الجهدية •

قبض رءوس الفتنة :

وفى مساء ذلك اليوم صدرت تعليمات خليفة المهدى بالقاء القبض على فوزى واحمدى ومقبول وديدى واولاد الفكى محمود بادى وادريس وديدى وبشرى بادى وسعيد محمد فرح لانهم كانوا رؤوس الفتنة وفى صبيحة اليوم الثانى انعقد المجلس فى بيت خليفة المهدى بعد صلاة الظهر وكان مؤلفا من الخلفاء والقضاة وكبار الاشراف والامراء والأعيان وبعد انعقاد الجلسة طلب خليفة المهدى احضار احمد ود سليمان واحمد محمد خــير والسيد احمد عبد الرحيم واحمد النور الكاتب ثم امر خليفة المهدى القاضى احمد ان يتلو على الحاضرين المنشور الذى كتبه المهــدى فى حق خليفة المهدى الخليفة عبد الله وبعد تلاوة ذلك المنشور وجه خليفة المهــدى سؤالا عموميا للحاضرين فقال : «هل هذا المنشور من المهدى ام لا فأجاب الحاضرون بنعم • ووجــه الخليفة على نفس الســؤال بصفة خاصة

لاحمد سليمان فأجاب بنعم . وبأنه حقيقة صادر من المهــدى فى حــق خليفة المهدى وليس عندنا فيه اعتراض فقالله : « هل هذا مؤكد ومحقق عندك ؟ » فقال « نعم » فقال له الخليفــة على : « قد علمنا انك معترف بفحوى هذا المنشور بانه من المهدى ونريد منك ان تحدثنا انت شخصيا بما سمعته من المهدى فىحق خليفة المهدى لانك كنت دائما ملازما للمهدى

توجيه من الامــام المهدى :

قال احمد سليمان : « نعم سأخبرك باهــم ما سمعته شخصيا من المهدى فى حق خليفة المهدى ومن ذلك اننا بعد نزولنا بأمدرمان وكانت غابة كما لا يخفاكم وبعد تنظيف الارض وقطع الاشجار بنينــا راكوبة « عريشة » للامام المهدى وعندما دخل ظلها التفت الى وقــال : لمن بنيتم هذه ؟ فأجبته : لقد بنيناها للمهدى . فقال لى : وهــل يصح ان تكون الروح فى الشمس والجسم فى الظل ؟ فقلتله : يا سيدى انت خليفة النبى روحا وجسما . فقال لى : نعم انا خليفة النبى ولكن الخليفة عبد الله هو روحى وروح المهدية فيلزم ان تعملوا فى بناء محل له مثل هذا .

وهنا قال له الخليفة على : وهل تقر بانك سمعت هذا الكلام بنفسك من المهدى فى حق خليفته خليفة المهدى الخليفة عبد الله ؟ وباجابته فــأن احمد ود سليمان اقام الحجة على نفسه فأمره الخليفة على بالخروج من المجلس وذلك بمثابة ثبوت الخطأ وايذانا بمحاكمته . وبعد خروج احمد ود سليمان وجه خليفة المهدى الحــديث لاحمد محمــد خير وقال له : « ألسنا كنا يا احمد محمد خير اخــوانا فى السراء والضــراء ؟ فأجابه بان نعم فقال لــه : « الا تذكر ايام كنا فى قــدير وانا وانت نجلس تحت شجرة واحدة نلتقط ما نجده ساقطا من ثمارها فى الارض وما حولها من الحب لنسد به جوعتنا ؟ فقال له : « نعم لا انســى ذلك . فقال له خليفة المهدى : « وهل نكثت عهد الاخوة أو رأيت منى مكروها ؟ » فأجابه سلبا

فرد عليه خليفة المهدى : اذا كان الامر كما ذكـرت فلما نكثت انت عهد الاخوة وبارزتنى بالعـداوة والحرب والبـت على الناس ودعوتهم الى المعاهدة على محاربتى واخذت عليهم اليمين فى ذلك ؟ فانكر احمد محمد خير انه فعل ذلك فقال له خليفة المهدى : هذا شىء ثابت لا مرية فيه وخير لك ان تصدق وتقول الحق فاصر احمد محمد خير على الانكار فقال له خليفة المهدى : ان الانكار لا يجديك نفعا حيث ان لدى الشهود الكافية على ذلك •

أستدعاء الشهود :

ثم استدعى خليفة المهدى اربعةمن الشهود وهم الامراء محمد حامد جفون وعلى الفكى الامين الضـرير وبدوى العـريق وبانقا موسى كاتب الراية الزرقاء وأمر القاضى احمد ان يأخذ اقوالهم فبدأ القاضى احمـد بسؤال الامير على الفكى الامين الضرير لانه رجل عالم ويعـرف كيف يؤدى الشهادة ويحسن الكلام فوجه اليه السؤال الآتى : « ماذا تعلم فى ذلك وماذا حصل بينكم وبين أحمد محمد خير ؟ »

واجاب الامير على الفكى الامين : « كنا سائرين بالطريق الذى يمر أمام منزل احمد محمد خير الحاضر بالمجلس هذا ومعى محمد حامد جفون وبدوىالعريق فوجدنا احمد محمد خير جالسافى الطريق امام منزله ولانه منسوب الى المهدى لم نستحسن ان نمر دون ان نحييه فنزلنا من دوابنا وحييناه وكانت امامه قهوةبن فدعانا للجلوس لشرب القهوة فأجبنا دعواه وبعد ذلك سألنا عما نعلم من الاخبار المشاعة بين الناس والجارية فى البلد فىهذه الايامفلم نعلم قصده فسألناه : اىالاخبار تقصد؟ فأجاب : اقصد ما يقوله الناس بخصوص خليفة المهدى ، فقال لنا : ان المعروف لدى كل الناس ان خليفة المهدى لم يسر فى طريق المهدى بالكتاب والسنة بل اتخذ

المهدية ملكا وصار يحكم بما يوحيهاليه ضميره وسمى ذلك حكم الامارة ولذلك فأن الخليفة شريف ومعه نحن عزمنا على مقاومته حتى يرجع للحق ويسير فى طريق المهدى ولذلك اخذنا نعاهد جميع اولاد البلد التابعين لراية الخليفة شريف وانتم من صميم اولاد البلد المقصودين بالمعاهدة لتكونوا معنا يدا واحدة فهيا عاهدونى على المصحف ولما فاجأنا بهذا الكلام لم نملك ان نفكر فى امرنا بل اضطررنا لمعاهدته على ما اراد دون أى تفكير فى الخلاص منه فأشار علينا البدوى العريق بأن نستفتى القاضى احمد فى ذلك لنعلم هل نحن مربوطون بهذه المعاهدة « اليمين » وملزمون بتنفيذه ام لا فاستحسنا رأيه وذهبنا توا للقاضى احمد وبسطنا له المسألة واستفتيناه فى الامر فافتانا بان هذه فتنة ولستم مربوطين بهذه المعاهدة وهذا اليمين وانى ساخبر خليفة المهدى بهذا الامر وطبعا هو سيطلبكم ويسألكم عن ذلك فعرفوه بالحقيقة وانى واثق انه لا يمسكم بسوء لثقته فى ذمتكم واخلاصكم له ففعل القاضى احمد ماوعد • وفى صبيحة اليوم التالى استدعانا خليفة المهدى فبثثنا له امرنا فشكرنا وانصرفنا وهذا ما حصل • وبعد ان استوعب القاضى احمد كلامه اخذ عليه اليمين الشرعية بأن ما قاله هو الحق وطبق الواقع ثم استدعى القاضى محمد احمد جفون فقال ما قاله الامير على الفكى الامين ثم استدعى البدوى ود العريق وكان كلامه مثلهما ثم استدعى بانقا موسى كاتب الراية الزرقاء فسأله القاضى : « ماذا تعلم من كلام احمد محمد خير ؟ » فقال : « انى كنت ذهبت لبيت المال لغرض يختص بعملى وعند عودتى وجدت احمد محمد خير جالسا امام منزله ولانتسابه للامام المهدى لم استحسن ان أمضى دون ان احييه وبعد التحية اللازمة دعانى للجلوس وقدم لى آبرى كان امامه ثم سألنى : هل سمعت ما يقوله الناس هذه الايام بشأن خليفة المهدى بانه ترك نهج المهدى واتخذ المهدية ملكا وجعل الحكم طبقا لاغراضه الشخصية وسماه

الاشارة ولم يحكم بالشريعة التى جاء الامام لتأييدها واحيائها فقلت له : لم اسمع شيئا عن ذلك وان الذى اعلمه ان خليفة المهدى سائر على نهج المهدى ومجتهد ومجد السير على اثر الامام المهدى • فقال لى : ليس الامر كما تعلم بل الامر كما ذكرت لك ولهذا السبب فاننا نحن والخليفة شريف نريد ان نقومه حتى يرجع للحق وقد وافقنا على ذلك جميع رؤساء القبائل وامراء اولاد البلد وحلفوا اليمين على كتاب الله بانهم يكونون معنا يدا واحدة ويناصروننا على الحق حتى عبد المولى صابون وكيل الجهدية الذى تحت ادارته كل الاسلحة النارية قد اتفق معنا وعاهدنا على ما عاهدونا عليه وقدم لى الكتاب لاخذ اليمين فاعتذرت بانى غير مستعد لذلك الآن وسأعود اليك مرة أخرى فلم يقبل منى ذلك بل الح وصمم على اخذ اليمين قبل مبارحتى من امامه فلم ار خلاصا من موافقته وبعد ان اديت اليمين التى طلبها وانصرفت ذهبت من فورى للامير يعقوب وبلغته كل ذلك وبعد ان استوعب القاضى كلامه كرر عليه السؤال : هل كل ما ذكرت حقا وصدقا وتحلف عليه بأنه حق ؟ فقال نعم • فعرض عليه المصحف واخذ منه اليمين الشرعى ثم التفت القاضى احمد الى احمد محمد خير وقال له : سمعت كلام الشهود وكلهم اثبتوا عليك ما انكرت فعله ولو انك كنت اعترفت بذلك لكان خير لك اذ ان اعترافك ربما يشفع لك عند خليفة المهدى فيعاملك بالرأفة ولكن حيث انك انكرت وجحدت كل ما حصل منك وحيث ان الشهود شهدوا عليك امامك بكل ما حصل منك فاصبحت انت مدان واصبحت كل هذه الفتنة مبعثها منك وان الخليفة شريف واولاد المهدى وبقية الاشراف لم يباشروا تحريض الناس على خليفة المهدى ولم يعاهدوك على ذلك وبناء عليه فأن الشريعة تحكم عليك بالاعدام • وعندما اصدر القاضى هذا الحكم على احمد محمد خير ساقه للقاضى حسين ود جزؤ وسلمه الى حاج الزبير رئيس الجهدية

الملازمية وعربى ودفع الله الرئيس الاعلى للجهدية فسلموه للحرس اللازم لتوصيله للسجن •

بعد ذلك التفت خليفة المهدى مخاطبا الامراء وهم محمد كركساوى وسليمان كركساوى وشائب احمد وعثمان صالح ارباوى ومحمد على دفع الله الخندقاوى وقال لهم : انتم لستم من المقيمين هنا الذين حضروا الفتن من اولها واشتركوا فى تدبيرها وانما انتم كنتم فى البغازات « الثغور » خارج امدرمان وجئتم فانضممتم لهذه الفتن فجأة دون تدبير واصرار فلذلك عفوت عنكم ولا اريد ان اقدمكم لمحكمة ولكن حكمى فيكم ان تسافروا حالا الى كسلا للانضمام الى الجيوش المرابطة بها تحت رئاسةحامد ودعلى لتشتركوا فىالجهاد ولتنالوا ثواب الشهادة او النصر •

بعد ذلك امر خليفة المهدى المجلس بالانصراف ليعود بعد ثلاثة ايام لاتمام اللازم • واثناء الايام الثلاثة المذكورة سافر الامراء المنتدبون لكسلا كما ارسل المذكورون بعد الى فشودة ومعهم امر مكتوب الى الزاكى طمل لاعدامهم وهم فوزى ، احمدى ، وجدى ، مقبول ، اولاد الفكى محمود بادى وبشير بادى وادريس وديدى وسعيد محمد فرح واحمد ود سليمان واحمد محمد خير وموسى ود زينب واحمد النور الكاتب وبعد وصولهم لفشوده نفذ فيهم حكم الاعدام •

السجن للخليفه شريف :

اجتمع مجلس القضاة بحضور الخليفة على ولد حلو واصدر حكما بسجن الخليفة شريف وامر الشيخ محمد عمر البنا بصفته احد اعضاء المجلس المفوض « مجلس الشورى » ليعرض ذلك الحكم على خليفة المهدى فأخذ الشيخ محمد عمر البنا الحكم واستأذن خليفة المهدى فى تلاوته له فى اليوم الثانى فأذن له فتلاه عليه وقد جاء فيه محمد شريف

حامد مجردا من قول الخليفة فسأل خليفة المهدى من هو محمد شريف هذا ؟ وما تعنون بذلك؟ وقد غضب جداعندما سمع تجريد الخليفة شريف من قولهم محمد شريف حامد ثم قال لود البنا : هـل انت الذى اعطيته الخلافة ثم سلبتها منه او هل مجلسك اعطاها له ؟ فاجاب سلبا فقال لـه اكتب الخليفة شريف خليفة المهدى فرجع الى قومه وعرفهم بذلك فكتبوا صورة الحكم باسم الخليفة محمد شريف فى لوحة فى المحفوظات فى بيت خليفة المهدى وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم حمدا لمن جعـل الاستقامة طريقا للسلامة وشكرا لمن وفق ذوى البصائر الى الوقوف على قدم الصدق فصاروا من أهل الكرامة وخص اهـــل عنايته بانوار هدايته فاستسلموا لقضائـه واستراحوا من الوقوع فى هاوية الندامـــة ونص على طاعة اولى الامر بقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعـوا الله والرسول واولى الامر منكم » ولانتظام الحال والسلامة فى يوم القيامة وصلاة وسلاما على قطب دائرة الاصل النورانى ومنبع الفيض الرحمانى واشرف النوع الانسانى ومصدق السر الربانى سيدنا محمد الذى قصم بسيف الحق ظهر الخلاف ومكن حسام الشرع من رقاب اهل الانحراف وعلى آله واصحابه الذين قوى فى الله يقينهم فآمنوا بالغيب فانكشفت غياهب الشك عن بصائرهم فازدادوا ايمانا وتمكن دينهم • وبعد فإن الخليفة محمد شريف حامد قد بارز خليفة المهدى عليه السلام بالعداوة والعصيان والخلاف حتى تظاهر بالحرابة له وشهر السلاح عليه ولم يبـال بادخال الخلل فى الدين وشق عصا المسلمين • فبعد هذا كله اجتمع جماعة من المسلين واحضروه بين ايديهم وحلفوه على كتاب الله تعالى فحلف وعاهد على الا يعود الى مثل ما صدر منه وان يكون تحت اشارة خليفة المهدى عليه السلام وان يكون

اسوة باصحاب المهدى عليه السلام وقابله بالصفح والاكرام • ثم نقض العهد وعاد الى الخلاف واضمار السوء والاصرار على عدم الامتثال فضلا عن كونه تاركا الجمعة والجماعة فعند ذلك اجتمع اصحاب المهدى عليه السلام من قضاة الشرع الشريف وامراء وعملاء واعيان وسألوه عن جميع ذلك وعن نقض العهد وتفوه بما يؤدى الى سوء الحال حتى قال ان الغوث معه وفى حزبه وان نصرة المهدية تحت قدمه وان الصحابة اعترضوا على النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من سوء المقال وما زالوا يراجعونه بالقول اللين الحسن والمذاكرة لعله يرجع ويتبع الحق وتلوا عليه منشور المهدى عليه السلام فى خليفته عليه رضوان الملك العلام والمنشور الذى وجهه اليه خاصة وامره فيه باتباع خليفته وعدم خروجه عن اوامره على ممر الليالى والايام فعند ذلك اظهر التوبة واندم • فنظرا لما حصل منه من نقض العهد وعدم استمراره على التوبة السابقة اقتضى نظر اصحاب المهدى عليه السلام طبق الوجه الشرعى وضعه بالسجن تأديبا له ولولا اظهاره التوبة عما حصل منه لكان جزاؤه اعظم من السجن • وقد ثبت جميع ذلك عند اصحاب المهدى عليه السلام الآتى ذكر اسمائهم واختامهم فيه ادناه وجميعهم شهود عليه شهادة حق يؤدونها بين يدى احكم الحاكمين والسلام سنة ١٣٠٩ هجرية •

احمد على قاضى الاسلام	السيد المكى اسماعيل الولى	عبد القادر ام مريوم	اسماعيل عبد القادر
الهادى دفع الله الحلاوى	عثمان احمد البطحانى	محمد البدوى	مكى ابو حراز
احمد حمدان	حسين جزو	شرف الدين دفع الله	عبد الله الحسن
احمد الاخيضر	الزاكى محمد	محمد عمر البنا	البدوى العريق
محمد حامد جفون	على الامين	عبد الباقى الماحى	عمر الياس ام برير
طه الجعلى	خالد عطا المنان	طه الازيرقابى	العطا الدود
المبارك جباره	محمد البصير	عبد الله احمد	عجب الفيه
بابكر عمر	القرشى احمد	ابراهيم الفكى	محمد على بلال
عبد الله برجوب	عبد الرحمن ابو سيل	عثمان ابو خويدم	كباشى محمد
جاد الله بليلو	النور السبيفى	النعيم احمد	الشريف النائر
جفون احمد	ابراهيم على	محمد عثمان الضيف	على المدنى
عبيد موسى			سعيد لبطه

« هذه الجداول الاربعة وضعت بهذا الترتيب على حجر المطبعة الـــذى اعد آنذاك لنســخ هذه الحيثيـات وقد بلغ عــددهم ستة واربعين رجلا »

بعد تلاوته ثانيا كما امر خليفة المهــدى وافق عليه وقرر ان يطلبوا الخليفة شريف ويعرضوا عليه صورة الحكم وينفذوه عليه فذهب القضاة والاعيان وبعض الامراء والخليفة على ولد حلو الى ضريح الامام المهدى وطلبوا حضور الخليفة شريف وحضــر معه السيد محمد بن المهــدى ثم طلبوا السيد عبد القادر ساتى على والسيد محمد عبــد الكريم واعادوا تلاوة هذا الحكم على الخليفة شريف امام المــذكورين آنفا فاستشاط غضبا وهاج وتكلم ببعض كلمــات جارحة فهدأه الخليفــة على قائلا : « يا خليفة المهدى اصبر » وراجعه كثيرا بقوله : « انت رجل عاقل وخير لك ان تمتثل لامر خليفة المهدى الذى حكم بهالقضاة واهل الشورى ، ارجوك ان تسلمنى السيف فاستجاب له الخليفة شريف مسلما سيفه لان الخليفة شريف كان يحب الخليفة على كثيرا ويستمع لنصائحه ويعمل بها .

بعد ذهاب الخليفة شريف للسجن خيم سكون رهيب على المجلس ووجموا جميعا واصاب بعضهم حزن عميق وخصوصا الخليفة على وبعض القضاة والامراء . بعــد ذلك ساروا لباب خليفة المهــدى فلم يأذن لهم بالدخول فتفرقوا كل لمنزله .

سحبوه على صخرة :

بعد استلام السيف من الخليفة شريف اعطى القاضى احمد اشــارة الى عربى ود دفع الله وحاج الزبير فحضر بخيت جاموس مقدم الجهدية فقال القاضى احمد للخليفة شريف : يا سيدنا الخليفة شريف بما انالشريعة حكمت عليك بالسجن حسب الامر الذى تلوناه عليك فالمطلوب منك ان

تذهب مع هؤلاء الجهدية للسجن واشار للمذكورين اعلاه فامتثل الخليفة شريف للامر وقام معهم الى السجن فاحاطوا به ومشى وسطهم داخل مربع من الجهدية وعندما اقتربوا من السجن استعملوا معــه الشدة والعنف والغلظة والاهانة حتى سحبوه على صخرة كانت بالقرب من الباب فجرحته وقطعت جزءا من كعبــه الايمن وادخــلوه السجن وقيد باحد عشر قيد « مكية » من الحديد وذلك فى عام ١٣٠٩ هجرى •

ومكث الخليفة شريف نحو سنتين فى السجن حتى اخرج فى عــام ١٣١١ هجرى ونقل من السجن الى بيت عبد الله احمد سوار الذى أعدوه له خصيصا لقربه من الخليفة على لان بيت الخليفة شريف هدم واخــرج اهله منه بعد دخوله السجن •

الاعدام لشريفين آخرين :

وفى عام ١٣١٠ هجرى اجتمعت هيئــة الحكم المؤلفة من القاضى احمد على رئيسا وعبد القادر ام مريوم والسيد المكى وطه ود الجعلى وعبد الباقى ود حاج الماحى والقاضى الهادى الحلاوى واستدعت السيد عبد القادر ساتى على والسيد محمد عبد الكريم فاعلنهما القاضى احمد امام المجلس بانهما اشتركا فى الفتنة التى وقعت بين الخليفة شريف وخليفة المهدى وان حكمهما كحكم رفاقهما السابقين احمد ولد سليمان وسعيد محمد فرح واحمد النور الكاتب •• الخ فأجابه السيد عبد القادر مرحبا بقضاء الله وقدره وبدأ السيد محمد عبد الكريم يدافع عن نفسه فأمره السيد عبد القادر بالسكوت وقال له : « هذا شيء نافذ ومتفق عليه ولا داعى للكلام فيه فسكت ثم اصدر القاضى احمد على امره الى عبد الباقى ود الماحى وطه الجعلى ان يسوقاهما للسجن فذهب معهما ومكثا فيه ثلاثة ايام ثم ارسلا فى اليوم الرابع للامير الزاكى طمل بفشوده فى وابور يحرسها الامير ضوينا وهو من الجوامعة ومعه كتاب من خليفة المهدى •

والتقيا بالامير الزاكى طمل فى الجبلين وهو فى طريقه لامدرمان عند محل يدعى جبل احمد اغا فسلمه الامير ضوينا الخطاب وهو يقضى باعدامهما ضربا بالعصى •

وقابلهما الزاكى طمل فى صف من الامراء والاعيان وخلفهم الجيش فسألهما الزاكى طمل : لماذا حاربتما خليفة المهدى فأجابه السيد عبد القادر بأن هذا ليس محل سؤال او تحقيق انما هو محل تنفيذ الحكم الذى امرت به فقال له ان الحكم يقضى باعدامكما فأجابه السيد عبدالقادر مرحبا بقضاء الله وقدره فنفذ فينا ما امرت به فابتدره ابراهيم ود دفيق بضربة من عصاه قائلا له : كيف يسوغ لك ان تجيب الامير بمثل هذا الكلام ولم تجبه عن سؤاله ؟ هذا كلامكم الذى دعاكم لحرب خليفة المهدى • فتبسم السيد عبد القادر وقال له : قد حصل ما اراده الله وانى ارجو الله ان يسلط على يدك التى ضربتنى بها ما يعيقها عن معاوتتك • وقيل ان ابراهيم الدفيق اصيب بمرض وانتفخت بطنه وتورم جسمه وارسل الى امدرمان فمات بها •

اعدامهما ضربا بالعصى :

لم يستحسن الامير الزاكى طمل قتلهما امام الجيش بل ارجأه الى الليل وحدث الامير عبد الله ود ابراهيم فى تنفيذه فامتنع عبد الله ود ابراهيم وقال له : ما اظن ان انسانا فيه خير يرضى بأن يتولى تنفيذ هذا الحكم ويشهد قتل ناس من أهل المهدى فالاولى ان تنتدب جماعة من العبيد الزنوج القساة الذين لا يعرفون ميزة لهؤلاء من غيرهما فوافقه الامير الزاكى فى رأيه وانتدب احد رؤساء المئات ويدعى كافى وامره ان يختار معه من يريد من الجهدية التابعين له ويأخذ المحكوم عليهما الى خارج البلد بالليل بعد صلاة العشاء وبعد انقطاع حركة الناس فينفذفيهما

حكم الاعـدام ففعل كافى ما امر به وقتلهمـا ضربا بالعصى كمـا فعل باسلافهما من قبل •

ماتت الصقور جوارهما :

وفى صباح اليوم الثانى جاء كافى وبلغ الامير الزاكى باداءه لما امر به فى الوقت والمحل المطلوب فاستأذن عبد الله ودالنور بالخروج الى الصعيد فعرج على المحل الذى وصفه كافى لينظر ما صنع بهما فوجدهما مقتولين وبجانهما ثلاثة صقور ميتةوقع اثنان منها على جثة السيد عبد القادر فقطعا جبته ولكنهما ماتا عندما وصلا لحمه والثالث كان بجانب السيد محمـد عبد الكريم وكان قد بدأ ينهش احدى عينيه فوقع ميتا • بكى عبد الله ود النور لهذا المشهـد وامر من معه من الجهدية ان يدفنوهما ففعـلوا وعاد للامير الزاكى طمل فاخبره بما رأى • واجابه الامير الزاكى متحسرا بأنه يتوقع لجيشه شرا لان البارحة هبت عاصفة عنيفة بعد قتلهما وقـد اضاعت كثيرا من صناديق الجبخانة التى كانت بالصند لالملحق بالوابور وكاد الوابور نفسه يغرق لولا الجهد الجهيد الذى بذله الجهدية •

وقد قدر الله ان تدهور امر الزاكى طمل وجيشه فهاجت الفتنة بينه وبين الامراء التابعين له فوشوا به الى خليفـة المهدى فطلبه فى امدرمان ووضعه فى السجن الى ان مات به كما هو مبين فى غير هذا المكان ثمارسل جيشه لحرب الطليان تحت رئاسة احمد على فانخذل وانهزم وقتل احمد على وزهرة امراء الجيش •

اخلاء منازلهما :

بعد مضى شهرين على قتل السيد عبد القادر والسيـد محمد عبد الكريم ارسل خليفة المهدى عبد القـادر ود امريوم وحسين ود جزو الى

السيد احمد عبد الكريم وبلغاه تحية خليفة المهدى وحملا اليه خبر تنفيذ الحكم فى السيد عبد القادر ساتى على والسيد محمد عبد الكريم وان خليفة المهدى يريد اخلاء منزليهما ونقل عائلاتهما لمنزل السيد احمد عبد الكريم فنفذ السيد احمد عبد الكريم الامر وارسل خليفة المهدى بعض مندوبيه فاجروا تفتيشا دقيقا على منزليهما حتى انهم حفروا الارض بحثا عن السلاح والجبخانة والمكاتبات التى ربما توجد هناك فلم يجدوا شيئا ووضعوا عليها حرسا مدة طويلة الى ان صدر امر بترحيل الاشراف الى ود نوباوى .

الاشراف فى دنقلا :

بعد ذلك رأى خليفة المهـدى ان يحضر كبار الاشراف من دنقـلا خوفا من حدوث شىء منهم تأثرا بمقتل ذويهم المذكورين آنفا وخوفا من رحيلهم لمصر وانضمامهم الى الاعداء فأرسل فى طلبهم للمفاوضة وتفهيمهم ما حصل من الخليفة شريف. وقد احضر السيد محمد عبد القادر المشهور بود فقير وعبد الرحيم ود حمزه وحاج شرفى والقاضى محمود وود شمت. وعند وصولهم حضر القضاة والخليفة على ولد حلو وكل أهل الشورى وقصت عليهم قصة الخليفة شريف والاشراف الذين وقفوا معه وما صدر عليهم من احكام .

بعد ذلك امر باستضافة كل منهم عند احد الاشـراف الموجودين بامدرمان فوضع السيد محمد عبد القادر فقير وعبد الرحيم حمزه بمنزل السيد احمد عبد الكريم وحاج شرفى والقاضى محمود عند احمد شرفى واجرى عليهم اكراما بليغا ثم اجرى لهم مرتبات من بيت المـال ووعدهم بان يردهم لاماكنهم بدنقلا بعد ان يرتاحوا من عناء السفر وينالوا قسطهم من الايناس مع خليفة المهدى وذويهم بامدرمان .

توفى عبد الرحيم حمزه بعد شهرين او ثلاثة وقد بلغ من العمر مائة وخمس سنوات واما عبد القادر فقير وحاج شرفى والقاضى محمود فقــد مكثوا بامدرمان الى ان دخلتها قوات الاستعمار الثنائى •

التضامن بين خليفة المهدى والاشراف :

فى عام ١٣١١ هجرى افرج خليفة المهدى عن الخليفة شريف بعد ان مكث فى السجن سنتين • وقيل انه فعل ذلك عندما شعر باقتراب العدو فاراد ان يطهر قلوب الاشراف من الاحقاد ما امكن ليكون الجميع يــدا واحدة تقهر العدو وتمنعه من دخول البلاد • وقد استشار خليفة المهدى مجلس الشورى والقضاة فى الافراج عن الخليفة شريف وتزويج ابنته التى طلقها السيد محمد المهدى لاخيه البشرى فلم يوافقوه على ذلك ثم عرض عليهم بأنه يريد ان يطلق سراح اولاد المهدى الذين كانوا معتقلين فى بيت جدهم لامهم احمد شرفى « محمد والفاضل والبشرى » فوافقوا على ذلك فأرسل الشيخ ابراهيم الحاج احمد عالم وعثمان احمد البطحانى النائب للسيد احمد شرفى ليبلغاه امر الخليفة بأن يحضر هو واولاد المهدى •

عندما حضروا امامه حياهم احسن تحية وطلب منهم العفو عما سلف واخبرهم بانه هو نفسه عفا وصفح من جانبه وطيب خاطرهم وذكر لهم بأنه هو يعلم حق العلم ان ضمائرهم سليمة ويعلم ان الفتنة التى حصلت لم تكن من صنعهــم ولا من رأى عقلاء الاشراف وانما هو شيء قدره الله وتسبب فيه اوباش الناس فوقع ما قدره الله ودعا الله ان يعيد الصــفاء والوفاق ويزيل الخلاف والشقاق فبادلــه اولاد المهدى القــول الحسن والآمال الطيبة ثم امر خليفة المهدى احمد شرفى ان يرجع معهم لبيته ويعود معهم بعد ثلاثة ايام لمقابلته •

يخلع عليهم مخصصاته :

عادوا اليه بعدثلاثة ايام فخلع عليهم كساوى من ملابسه الخصوصية من جبب وعمم وسراويل وحزامات وارسـل لهم مع احد امنائه صرة من النقود ليصلحوا بها شأنهم وامر الجد احمد شرفى ان يبقيهم معه الى ان يطلبهم مرة اخرى •

وبعد بضعة ايام طلب من الجد احمد شرفى بأن يحضر مع البشرى ابن المهدى فلما حضرا امامه تكلم مع البشرى فقال له : معلوم عندكم ان المهدى اراد ان يربطنى معه برابطة النسب زيادة على الرابطةالدينية فتكرم على بان زوجنى ابنته ام كلثوم وعلى هذه القـاعدة فانى رأيت ايضا ان ازوج ابنتى الرضية لاخيك محمد آملا ان يرزقه الله منها ذرية من نسل الامام المهدى وقد اراد الله ان يطلق اخوك ابنتى الرضية ولكنى ما زلت ارغب فى اتصال رابطتى بالمهدى والا انفصل عنه ابدا وقد طلبتك آمـلا فيك ان تراجع اخاك ليردها لعصمته فان لم تجد لذلك سبيلا فانى اعرضها عليك وعلى اخيك الفاضل بأن يتزوجها احدكما ثم لبقية اخوانك اولاد المهدى حتى اصغرهم سنا فانى احبسها له •

تزويج ابنته للسيد البشرى :

عرض السيد البشرى الامر على اخيه السيد محمد فبادره السيد محمد بانه لا رغبة له فيها مرة أخرى ثم اشار على اخيه السيد البشرى ان يتزوجها استجابة لرغبة خليفة المهدى وامـلا فى جلب رضاه وسدا لبـاب الخلاف فوافق السيد البشرى اتماما للغرض الذى من اجله امر المهدى بتمكين النسب بينه وبين خليفته السيد عبد الله • بعد اتفاق اولاد المهدى على هذا الرأى ابلغوه لخليفة المهدى وجاءوه خاطبين ابنته الرضية فسر لذلك وتلقاهم بالبشر والترحاب واسرع فى مقدمات الزواج ومن ذلك انه امر بنقل اولاد المهدى الفاضل والبشرى من منزل الجد احمد شرفى الى

منزلين خصصهما لهما وضمهما مع ابنه شيخ الدين ثم امر ببنـاء منزل بالجنوب الغربى من منزله وفى الجهة القبلية للجامع الكبير وقصد ان يزوج فيـه ابنته .

فرحتـان ـ الزواج والافراج :

بعد ان تم بناء البيت المشار اليه آنفا احضر خليفة المهدى البشرى والفاضل فيه كما امر بحضور الامير يعقوب وكبار التعايشه والخليفة على وبعض القضاة والنواب ثم طلب القاضى احمد ود حمدان وابراهيم عالم وحسن ود جزو وعثمان النائب وطلب حضور الامراء عبد الله احمد ابو سوار والبشير عجب الفيه وجمعه ود بلال واحمد عبد الله برجوب وعبد الرحمن ابو سبيل كما امر بحضور الاشراف الجد احمد شرفى ومحمـد عبد القادر فقير وحاج شرفى والقاضى محمود واحمد عبد الكريم وسيد احمد عبد الرحيم . وبعد اجتماع المذكورين اعلاه بالمنزل الجديد بلغهم خليفة المهدى بانه يريد ان يعقد قران ابنته الرضية على السيد البشرى بن المهدى وان يفرج عن الخليفة شريف فيحضر مراسيم العقـد مع اولئك المجتمعين فعم السرور الجميع .وفى الحال امر القاضى حسن ود جزو وعلى الجلى وهما من ملازميته الخصوصيين بالتوجه الى السائر وفك الخليفة شريف واحضاره معهم لذلك المجلس .

وعند حضوره عانقه الخليفة عبد الله والخليفة على واذن لمن بالمجلس فحيوه وهنأوه بسلامة خروجه من السجن ثم اطلعه خليفة المهـدى على عزمه فى تزويج ابنته من السيد البشرى ونشر التمر امـام الحاضرين ثم قرأ خليفة المهدى الفاتحة تتميما لمراسيم الزواج وتولى الخليفة على صيغة العقد . بعد ذلك طلب خليفة المهدى احضار السيد محمد بن المهـدى فاعلمه بما تم من زواج وافراج عن الخليفة شريف ثم تهيأ الجميع للخروج فقال خليفة المهدى للبشرى هذا منزلك فامكث انت فيه وامر الخليفة على

والخليفه شريف واحمد شرفى واحمد عبد الكريم والفاضل ومحمد ابنى المهدى بالانتظار ٠

بعد انفضاض المجلس سار خليفــة المهدى مع المذكورين اعــلاه لتوصيل الخليفة شريف الى منزل الخليفه على الى ان يعد له منزل خاص به ٠ ثم امر خليفة المهدى باخلاء منزل عبد الله احمد ابو سوار الــذى بجوار منزل الخليفة على وخصصه للخليفة شريف وامر بترحيل السيدة زينب بنت المهدى والسيد محمد بن المهدى من منزل جدهما احمد شرفى الى المنزل الذى اعد للخليفة شريف٠ ولقد رحل الخليفة للمنزل الذى اعد له بعد ضيافة دامت اسبوعا بمنزل الخليفة على ٠ وامر خليفة المهدى الجد احمد شرفى بالرحيل الى منزل محمد ود الكارس المعروف وهو من تجار المسلمية ومكث به احمد شرفى الى ان نقل لمنزله الاخير بود نوباوى ٠

الباب الحادى عشر

المهدية فى تلال البحر الاحمر

مقـــدمة

تقدم ان عثمان دقنه قابل المهدى بالابيض بعد واقعة هكس فبايعه وجعله اميرا للشرق وسلمه راية وكتب له كتبـا للحكام ورجـال الدين والوجهاء والاعيان بتلك الجهة فاستلم عثمان دقنه الراية من المهدى بدون عود وادخلها فى جيبه ثم رحل للشرق لتنفيذ امر المهدية •

تنفيــذ فورى :

خرج الامير عثمان دقنه من عند المهدى ومعه اونور واخوه طـه وابن شهدا اللذان كانا ملازمـين عند المهـدى فتوجهوا فورا لأرض البشاريين حيث وزعـوا مكتوبات المهدى لاعيانهم وبايعوا من صـدق بالمهدية ومنها توجهوا الى ارياب من بلاد الموسيـاب حيث بايعهم الفقيه احمد بن آدم القلهيابى زعيم الموسياب ومن عنده خرجوا الى كوكريب حيث بايعهم جمع عديد من قبائل الهدندوة فافترق عثمان دقنه عن صاحبيه اونور وطه الى اوكاك وظلا ينشران الدعوة هناك الى ان استشهدا فى واقعـة قباب • وقد استطاعا قبل استشهادهما ان يوصـلا جميع رسائل المهدى لجميع الاعيان وخلفاء الختمية فى مأمورية اوكاك وقد اخذ خلفاء الختمية الرسائل التى وصلتهم الى الشيخ محمـد عثمان بن سر الختم الميرغنى مستشـيرين له فيما يفعلون فاشار عليهم بتسليمهـا للمسئـولين فى المأمورية والا سيتعرضون لاذى جسيم فحملوا ما عندهم من رسائل للترك مبلغين عن مصدرها •

اما الامير عثمان دقنه فقد اتجه لديار قبيلته بعـد مفارقته لصاحبيه

فى كوكريب فبايعه الشيخ الحاج حسن بن محمد بشاره وقدم له مساعدات عظيمة ثم سار للشيخ الطاهر المجذوب فى قباب فتلقاه بالترحاب واخذ خطاب المهدى فقبله ووضعه على عينيه ورأسه واخذ البيعة من الامير عثمان دقنه فاهتدى به جمع غفير من اهالى سواكن وعربان البادية وصار اتباعه من اخص انصار دعوة المهدية وخصوصا اخوه الشيخ عبد الرحمن المجذوب وابنه محمد مجذوب وابناء عمه الحاج عمر قمر الدين المجذوب وقد استشهد بعضهم ومنهم الامير مدنى المجذوب ووقف مع دعوة المهدية من ابناء عمه محمد الامين واخوانه ابناء الشيخ يس والقاضى عبد القادر قاضى سواكن واخوه الخطيب محمد النور والمفتى صديق وقد خلعوا عن انفسهم تلك الوظائف وانخرطوا فى سلك المهدية مجاهدين فى سبيل الله .

اعتقال احمد دقنه :

توجه عثمان دقنه من قباب لاركويت وفى يوم ٢٧ رمضان قبيل وصوله اركويت علم ان الترك سبقوه لاركويت باحثين عنه وعندما لم يجدوه حاولوا اعتقال اخيه احمد دقنه وسبب ذلك انهم وصلهم تلغراف اعلام من بربر عن الامير عثمان دقنه كما سلمهم خلفاء الختمية الخطابات التى وردت اليهم من المهدى فى صحبته وصحبة مساعديه . ولم يمكنهم احمد دقنه من نفسه فجمع العربان الانصار واستعد لصدامهم فباتوا قريبا من جيوشه ثم رحلوا صباحا دون صدام معه . وفى نفس الصباح أى يوم ٢٨ رمضان وصل الامير عثمان دقنه فتلقاه الانصار وعلى رأسهم احمد دقنه والفقيه محمد دقنه ومحمد الامين واخوانه ابناء الشيخ ادريس والقاضى عبد القادر قاضى سواكن واخوه محمد النور .

واقعة اوكاك :

ارسل توفيق محافظ بورتسودان فى صبيحة يوم ٢٩ رمضان خطابا للشيخ الطاهر المجذوب وآخر لاحمد دقنه طالبا حضورهما بالمأمورية

حالا للنظر فى كيفية الحصول على عثمان دقنه فارسل الشيخ الطاهر للامير عثمان دقنه معلما بالخبر ومستشيرا له فى الامر فاشار عليهما الامير عثمان دقنه بتجميع الانصار والسير الى تأوى قريبا من المأموريه حيث يلتقى بهما هناك فى جموعه هو نفسه وسار الجميع فاصبحوا فى تأوى يوم العيد غرة شوال فاجتمعوا ثم توجهوا للمأمورية فنزلوا قريبا من الكارة وقد بايعهم على المهدية من بالبلدة من سواكنية وعربان الا خلفاء الختمية الذين استلموا خطابات المهدى فتوجهوا بها للمأمور والمحافظ ثم عادوا للامير عثمان دقنه يطلبون منه ان يمهل الترك ثلاثة ايام فرفض الا ان يمهلهم الى الظهر فلما ارادوا الرجوع للترك حاملين النبأ امرهم الامير عثمان دقنه بأخذ البيعة قبل الرجوع حتى تتحقق صحبتهم فتشاوروا فيما بينهم ثم بايعوه على المهدية وانقلبوا راجعين للترك ثم رجعوا للامير مرة اخرى راجين ان يمد المهلة حتى العصر فاعطاهم مهلة ثلاثة اقدام وكان الوقت ظهرا وشعر الامير باستعداد الترك للقتال اذ ادخلوا نساءهم الى البيوت وخرقوا الجدر حتى يتمكنوا من الضرب بالنار من داخل بيوتهم وصعد بعضهم سطوح المنازل وخلفاء الختمية المذكورون يعلمون كل ذلك فامر عثمان دقنه بالهجوم على الكارة التى كانت محل الاستعدادات الرئيسية وتخلف خلفاء الختمية ومن تبعهم عن القتال فوقفوا بعيدا متفرجين • وقضى عثمان دقنه على من كانوا داخل الكارة وقد جرح هو نفسه فى يده وفى رأسه وفى جنبه فاخرج من الكارة محمولا على الاعناق اما اخوه الفقيه محمد دقنه فقد اقتحم صفوف الترك بسيفه يضرب يمينا وشمالا فيهم وقد ضرب بندقية احدهم فشطرها نصفين وقتل صاحبها وظل كذلك الى ان استشهد •

وارسل الامير تعليماته بالخروج من الكارة والعودة الى اركويت فخرج الانصار وقد استشهد منهم ستون مجاهدا وهلك من اعدائهم سبعة وخمسون وكان ذلك فى يوم العيد •

واقعة قباب :

بعد استقرار عثمان دقنه باركويت طلب المحافظ توفيق امدادات من سواكن ومصر فاتته الامدادات وتوجه فورا فى تسعة من ذى العقدة للقضاء على عثمان دقنه فى اركويت واعد عثمان دقنه جيوشه وامر عليها ابن اخيه محمد موسى دقنه الذى تحرك فلاقى الترك فى خور يسمى قباب حيث نزلوا وبنوا زريبة يبيتون فيهاوفى الصباح وجدوا انفسهم محاصرين من كل الجهات وانتصف النهار فقلاهم الحر ولا ظلهم ولاماء ولا مأكول وكان يقود جيوش الترك شيخ ختمى من شيوج العماراب يسمى محمود على من نواحى سواكن فشرع فى الانسحاب تحت نيران مدافعه فلم يمكنه الانصار من ذلك ودار قتال عنيف كان اول المصابين فيه الامير محمد موسى دقنه واونور الذى تقدم ذكر قدومه مع الامير عثمان دقنه من عند حضرة المهدى وقد استشهد فى هذه الوقعة سبعة وعشرون من الانصار وهلك من اعدائهم ستة جهادية وصاغ واحد .

وعندما عاد الترك الى المأمورية شرعوا فى تحصينها فحفروا حولها فقرة « خندقا » عمقه مائة رجل وزربوها بالشوك وجعلوا على اركانها الاربعة قلاعا عليها مدافع وملأوا اكياسا كثيرة بالرمل ورصوها على حافة القفرة حتى اصبحت كالسور خوفا من هجوم جموع الانصار عليهم .

ماذا عند الكميلاب ؟ :

ارسل الامير عثمان دقنه خطاب المهدى الى الكميلاب اثناء حوادث قباب وكانوا اذ ذاك بنواحى مديرية كسلا وعليهم سنجك شايقى يسمى جباره معه عساكر فدعاه الكميلاب للاستسلام فرفض فوثبوا عليه وقتلوه ومن معه وقد تولى قيادة الكميلاب فى هذا الامر الحاج بن حسن ابوزينب

وامر عثمان دقنه الانصار فدمروا اسلاك التلغراف بين سواكن

وكسلا وضربوا المحطات وقتلوا من فيها من العساكر وهرب من هــرب الى سواكن وكسلا •

وعين عثمان دقنه الامير الخضر بن على للسير الى مأمورية توكــر فى يمين سواكن على مسافة يوم وليلة منها وقد اذاق الامير الخضر الترك كأس الردى مرارا كما سيأتى ذكره •

واقعة ابينت :

فى الثالث والعشرين من ذى الحجة وجه الامير عثمان دقنه الانصار بقيادة الامير على طـــلاب بن محمد لمحاصرة اوكاك وفى الطـريق بين المأمورية وسواكن نزل الانصارللاستجمام فى ابينت فمرت عليهم عساكر حكومية فى طريقها الى المأمورية وتعدادها مائتان فاصطدمت مع مجموعة من الانصار لا تزيد عن الستين ولمــا حمى الوطيس ولى التــرك الادبار وتبعهم الانصار قتلا واسرا وتغنيما فافنوهم عن آخرهم وجمعوا سلاحهم ولم يستشهد من الانصار الا ثلاثة رجال والحمد لله على ذلك •

واقعـــة اوكاك

بعد واقعة ابينت عزالامير عثمان دقنه جيوش محاصرة اوكاك حتى بلغ تعدادها سبعمائة وخمسين وامر على الكلالفقيه على بنحامد المشهور بامير اوكاك لان فتحها تم على يديه •

وكانت مأمورية اوكاك يومذاك تعج باهالى سواكن وكلهم ختمية وخلفاء من الذين حضروا الواقعة الاولى وقد شرع الانصار فى حصارهم وضربهم بالسلاح النارى طيلة شهر الحجة ولمــا اشتد عليهم البلاء خرج خلفاء الختمية وانضموا لامير الانصار المحاصرين ثم طلبوا منه ان يوجههم للامير عثمان دقنه الذى كان محاصرا لسواكن آنذاك فوجههم اليه وفى

الطريق سمعوا اخبارا من سواكن ان علاء الدين قد انتصر على عثمان دقنه فتوجهوا الى سواكن حيث استقروا مع الترك بها • اما الشيخ محمد عثمان السالف ذكره فقد خرج من المأمورية قبل اشتداد الحصار وتوجه الى سواكن ومنها سار لنواحى مصوع عاملا على صد الناس عن المهدية

وظل الحصار قويا حتى نفذ ما عند الترك من مأكول فاقتاتوا ببغالهم وحميرهم وورق الهجليج ودفعهم الضيق الى الخروج فى يوم الجمعة العاشر من ربيع الثانى ومعهم نساؤهم فاصطفوا فى هيئة مربع قريبا من الانصار وشرعوا فى ضربهم فهجم عليهم الانصار وافنوهم عن آخرهم وكان عددهم ستمائة وقد استشهد من الانصار سبعة وخمسون كذلك •

حصار توكر :

توجه الامير خضر السالف ذكره لحصار توكر فى آخر ذى العقدة فتلقاه اهالى توكر بالقبول وعمدتهم وقبائل ارتيقة الذين حرر لهم الشيخ الطاهر المجذوب خطابا يأمرهم فيه باتباع الامير خضر وعدم مخالفته فقاموا معه حق القيام وعلى رأسهم اميرهم موسى بن الفقيه وضع قاضى المامورية صالح نفسه وانضم للامير خضر •

اما الترك فقد اسسوا استحكاماتهم آملين فى المدد من سواكن وانقسم الانصار فرقتين حاصرت احداهما المأموريه وحاصرت الاخرى الساحل بقيادة عبد الله بن حامد •

واقعة الساحل الاولى :

بينما كان الامير خضر يشدد الحصار على المأمورية حضرت امدادات عسكرية بالوابور البحرية فنزلت عند مراكز الامير عبد الله المتقدم ذكره

فهجم عليهم الانصار ولم يلبثوا ان ولوا الادبار فتبعهم الانصار وافنوهم عن آخرهم وكانوا اربعمائة رجل واستشهد من الانصار سبعة وعشرون .

واثناء ذلك حضر لمأموريةتوكر مأمور مديرية كسلا فصادفه الحاج بن حسن امير الكميلاب وكان متوجها للانضمام الى الامير خضر فدعا المأمور للاستسلام فلم يقبل فقتله ومن معه وذلك فى الرابع من محرم وقد استشهد من الانصار واحد فقط .

واقعة الساحل الثانية :

وحضرت وابورات اخرى الى الساحل تحمل ستة آلاف رجل وفيهم خيالةكثيرون ومعهممدافع كبيرة وكثيرة فتلقاهماميرالساحلعبدالله ولم يصبروا امامه اكثر من ساعتين ثم ولوا الادبار فتبعهم قتلا حتى لجأوا لوابوراتهم مخلفين اربعة آلاف وخمسمائة قتيل ومدافع وبنادق وذخيرة وفيرة واستشهد من الانصار ثلاثمائة فيهم من الامراء الفقيه محمود على اخو الامير الخضر وكان ذلك فى السادس من ربيع الآخر وكانت هذه الجردة آخر عساكر الدولة المصرية ومن وقتها سلمت الدولة المصرية محافظة سواكن للانجليز .

فتح مامورية توكر :

اخذ الانصار المدافع التى غنموها فى معركة الساحل وتوجهوا لمأمورية توكر فشددوا عليها الحصار وضربوها بتلك المدافع الكبير فاستسلمت لاربع بقين من ربيع الآخرة .

واقعة الساحل الثالثة :

بينما كان الانصار مشغولين فى استلام غنائم مأمورية توكر ولم يلبثوا فيها اكثرمن ثلاثة ايام امتلأ الساحل وابورات انزلتجنود انجليزية

يزيد تعدادها عن الاربعة وعشرين الف فارسل عثمان دقنه كثيرا ممن معه من الانصار لمعاونةامراء الجيوش المرابطة فى توكروامر عليهم مدنى بن اخيه فانضم مدنى الى الامير عبد الله بالساحل وانتظرا حتى تكامل نزول الاربعة وعشرين الفا من الانجليز فشنوا عليهم القـــارة فى صبيحة غرة جمادى الاولى وحمى القتال ولم يفصل الطرفين عن بعضهما الا الليل وجاءت الانباء للامير عثما دقنه ان القتـــل قد استمر فى الطرفـــين فامد الانصار برجال آخرين وامرهم ان يهجموا على الانجليز ساعة وصـــولهم ليلا او نهارا وعلى رأسهم الامـــير حامد بن احمد دقنه والامير ادريس شكه ونفـــذ الاميران التعليمات بالسير ولم يطق الانجليز الامر فنزلوا الى وابوراتهم صبيحة ليلتهم ولم يجدهم الانصار الذين توجهوا من عند الامير عثمـــان دقنه فعادوا لمقرهم الاول •

اما الامير الخضر فقد بقى على الساحل يرصد تحركات الاعداء وقد استشهد من الانصار فى هذه الواقعة نحو الف وخمسمائة وفيهم الامير عبد الله امير الساحل والامير مدنى والامير الطاهر بن الحاج قمر الدين المجذوب ابن عم الشيخ الطاهر المجذوب وقد روى عنه انه اصيب قبـــل ان يتمكن من الدخول فى استحكامات الاعداء فطلب من رجاله ان يأخذوا برجليه ويجروه داخـــل الاستحكام لعله يتمكن مـــن ان يشفى غليله فى الاعداء ولو بضربة واحدة فى آخر رمق منه • وكذلـــك استشهد الامير موسى قيلاى الذى وصفه الامير عثمان دقنه للمهدى بانه رجل يوزن بالف رجل وسيف من سيوف الله المسلولة على اعدائه • وقد جرح واستشهد من الانصار فى هذه الواقعة ثلاثة آلاف وكسور •

واقعة الامير مصطفى :

وفى آخر محرم ـــ اوائل نزول الامير عثمان دقنه لمحاصرة سواكن عين مصطفى على هدل اميرا لمديرية كسلا فتوجه اليها وتلقاه اهالى تلك

النواحى بالقبول واجتمعوا عليه وآزروه فخرجت عليـه الترك فى الف وخمسمائة لثلاث عشرة خلون من ربيع الثانى ونشب القتال بينه وبينهم فقضى على الف ومائة منهم ودخـل الباقون قفـرتهم « خندقهم » وقـد حرضهم الشيخ محمد عثمان السيد الحسن المـيرغنى على عدم التسليم عندما علم انهم خابروا الامير عثمان دقنه فى امره . وقد ارسـل الامير عثمان دقنه للمهدى خطابات التحريض التى ارسلها الشيخ محمد عثمان للاهـالى .

واقعـة اتبرا :

وفى شهر الله محرم امر عثمان دقنه الفقيه احمد القلهياب وامـير البشاريين الطاهر قيلاى بالتوجه الى اتبرا للقضاء على السنجك الـذى بها ومن معه من عساكر الترك ثم التوجه الى بربر بعدها الى ان يأتيهـا امير من قبل المهدى فتوجها لاتبرا والتقيا خارجها بالسنجك فهزماه وقتلا مائة واربعة عشر من عساكره وهربت بقيتهم لمديرية بربر واستشهد مـن الانصار نحو الثمانين رجـلا وعاد الفقيه القلهياب لمساندة الامير عثمان دقنه وتوجه الامير الطاهر قيلاى لحصـار بربر فى ربيع مساندة للامير الفقيه محمد الخير .

واقعة التمينيب التركية :

وفى غرة صفر ــ اوائل نزول الامير عثمـان دقنه لمحاصرة سواكن خرجت قوة عسكرية من سواكن بقيـادة كاظم وعددها الف ومائة فى منتصف الليل لمباغتة الامير عثمان دقنه فلم يتمكنوا من ذلك والتقى بهم الامير صباحـا واحتاط بهم من كل جانب ضربا وطعنا فقتـل رئيسهم والسنجك محمد سعيد بن المزين اخو محمد الذى قتل مع توفيق المتقدم ذكره واستشهد من الانصار نحو الثمانين .

وفى عشر بقين من ربيع الاول خرجت لعثمان دقنه قوة اخرى قوامها الف مقاتل من الخيالة فاصابها الرعب عند اللقاء مع الانصار وولت الادبار فتبعها الانصار ولسرعة خيلهم لم يقتلوا اكثر من سبعة رجال وقد تلفت خيل كثيرة من خيلهم عندما ادركت سواكن من شدة الاجهاد ٠

وفى ربيع الثانى التقى محمود على الذى جمع العربان مع الانصار المحاصرين وقاتلهم فاستشهد منهم اثنانوعشرون وهلك من اعدائهم واحد ومحمود على كان قواد عساكر الترك فى واقعة قباب ٠ اما امير الانصار الذى التقى به فهو محمد آدم سعدوب من العماراب وقد اصيب فى هذه الواقعة بعدة جراحات ٠

واقعة التمينيب الانجليزية :

فى اربع عشرة خلون من جمادى الاولى حضرت لمقاتلة عثمان دقنه جردة من عشرين الفا من الانجليز فيها ستـة آلاف خيالة فباتت قريبا من معسكر الامير عثمان دقنه وقد زربت حولها زريبة منيعـة ولكن الامير عثمان دقنه لم يتركها تهجع فحاصرها ذلك الليل واقلقها بالسلاح النارى طول الليل وقد قتل فيها خلق كثير ٠ وعند الصباح شرع الانجليز فى ضرب الانصار بمدافعهم والتقى بهم الانصار فى قتا لعنيف طوال اليوم ثم انفصل الجمعان ورجع الانجليـز الى سواكن وقد خلفوا ثمانيـة آلاف قتيل واستشهد من الانصار الفان وجرح مثلهم كذلك ٠

وفى سلخ جمادى الاولى خرج الانجليز للامير عثمان دقنه ثانية فى ثلاثة عشر الفا وقبل اللقاء عادوا لسواكن وقد هلك منهم عدد كبير عنـد عودتهم يقدر بسبعة آلاف ٠

واجمالا فأن الجردة الانجليزية التى حضرت لحماية سواكن لـم يبق منهاالا حوالى الستةاوالخمسة آلاف منوابوراتهم الثمانية والعشرين

التى قدمت بهم وعادت الباقية فارغة وقد غرق احدهما كما غرق وابوران للدولة المصرية وفيها عساكر وخيل وبغال وخزائن واموال كثيرة •

واقعة تهشيم :

جمع محمود على الاعراب المخالفين لاوامر المهدية فى بئر تسمى تهشيم فى منتصف رجب لرفع حصار عثمان دقنه عن سواكن مساندة للانجليز وبعث بعض خيالته ليلا فضربوا معسكر الانصار ببنادقهم واسروا سبعة من الانصار سلموهم للانجليز • فوجه اليه الامير عثمان دقنه الانصار بقيادة الامير الفقيه على امير اوكاك فتوجه لجموع محمود على وانذرها ودعاها للانقياد لامر المهدية فارسلوا لزعيمهم محمود على الذى كان متغيبا بسواكن • فعاد محمود على ومعه جمع كثيف من العربان الذين كانوا فى سواكن وصحبوا نساءهم وقيانهم • ونشب القتال بمجرد وصول محمود على وانهزمت جموع محمود على فتبعها الانصار حتى ابواب سواكن وقتلوا منها ستة عشر رجلا واسروا تسعا واربعين امرأة وغنموا كثيرا من الحمير والجمال والاموال وعادوا دون ان يفقدوا مقاتلا وقد هرب محمود على محتميا بالانكليز فى سواكن •

محمد سر الختم الميرغنى :

وكتب الامير عثمان دقنه للمهدى يقول : فى غرة ربيع اول حضر من مصر واحد من مشايخ الختمية يسمى محمد سر الختم المرغنى اخو عثمان المتقدم ذكره ارادة لاطفاء نور الله تعالى وكان الناس اذ ذاك يدخلون فى دين الله افواجا فبمجرد وصوله سواكن كتب هو وخلفاؤه الى جميع الجهات كتبا للعربان يخبرونهم فيها بان هذا الامر ليس الا فتنة محضة وليست هناك مهدية وامرهم بالرجوع عن هذه الحالة التى هم عليها وبالاتيان للحكومة طائعين وغير ذلك مما كتبوه فى جواباتهم وها هى واصلة للسيادة والاطلاع عليها كاف والمذكور ضال مضل ما اظن ان على

وجه الارض احد انكر منه للمهدية ولا اخوه عثمان ولاخلفاؤه بل ولاابن عمه الذى بكسلا وكل من اتى اليه يأمــره بالاغتسال ثلاثة ايام والتبخر باللبان والتبرى من المهدية ويأمره بالاستغفار عما نواه من اتباع المهدية وكل يوم يحلف على المصحف الشريف انه ما هو المهدى وان المهدى لم يولد فضلا عن ظهوره ويزعم ان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قلده وظيفة اطفاء هذه الحركات ويقول للناس هــو وخلفاؤه اتبعونا ونحن المسئولون عن اعمالكم بين يدى الله وكل من اراد محاربتنا من ترك او عربان او انكليز يعطيهم بيرقا يسميه بيرق النصر وفى كل شهر يقول لهم عثمان دقنه يموت فى هذا الشهر وفى بعض جردات الانكليز خرج بنفسه واذا اتاه احد ممن كان انضم الينا من بعض الاعراب ضعاف العقــول قال له لا تدخل على زوجتك الابعد استيفاء اربعين يوما بما انك قداخذت البيعة على محاربتنا ولغاية تاريخه فهو ثاو بسواكن على هذه الحالة حتى انه قد صد بذلك كثيرا من الناس عن سبيل الله وله اقاويل عجيبة غريبة لا تحكى ولا يمكن استقصاؤها ٠

وهناك بسواكن واحد يسمى الشنجيطى احمد والمذكور ضال مضل قد اضل كثيرا من الناس وضل عن سواء السبيل ولمــا اتى اليه جــواب السيادة كتب على ظهره والعياذ بالله كــلاما لا يكاد يصدر ممن له ادنى ايمان ورده الينا وها هو واصل للسيادة مع جواب كتبه للعبد الفقــير ايضا واذا رأى احدا ممن حاربنا قال له دعنى اقبل يدك التى حاربت بها عثمان وجماعتــه ٠

واما خلفاء الختمية المتقدم ذكرهم فهم ما زالوا فى تنبيه العربــان والسواكنية لمنعهم عن اتباع المهدية وصدهم عن سبيل اللهوكذلك كل من كان من عمد اهل البلد كواحد يسمى الشناوى فانه ينفق ماله ليصد عن سبيل الله واما اهل المحافظة فمن اول نزولنا لمحاصرتهم ما زالوا يحفرون

فقرتهم ويحكمون طوابيهم ومدافعهم وجعلوا حول البلد جنوبا وشمالا وغربا خمس قلاع اثنان منهم على البئر وقرنت البيوت بعضا ببعض بالطين والحجر وجعلوا باب البلد واحدا والعساكر يشربون من ماء يخرجونه من البحر بالوابورات ونحن الآن مشددون عليهم الحصـــار بحيث لا ندعهم ينامون الليل بضربنا لهم بالبنادق ونهجمهم وهم يضربوننا بمدافع القلاع كلها والوابورات كذلك من البحر تضربنا بمدافعها وهكـــذا الى الصبح وهذه حالتنا معهم وانشاء الله بعد هذا يأتيكم الخبر بما يحصل •

واقعة هندوب :

امر عثمان دقنه جماعة من الانصار بالمسير الى بير هندوب شمال سواكن لمحاصرة سواكن من جهات متعددة فى منتصف شعبان • وعندئذ اخذت بعض قبائل العمارار ومنهم الشاتراب جماعة محمد آدم على ركاب والفاضلاب جماعة محمود على ومن تبعهم فى الاستعداد لقتال الانصـــار ورفعهم عن هذه البئر لانهم كانت لهم منافع مع اهالى سواكن فهم يجلبون لهم المواشى واللبن ونحوه زيادة على عدم ايمانهم بالمهدية فارسلوا طلائع اصطدمت مع طلائع الانصار ثم عادت • استعد الانصار وساروا اليهـــم فى مكان اجتماعهم ويسمى (دم) على مسافة يومين من سواكن والتقوا معهم فولوا هاربين وقد قتل منهم اثنان وعشرون وغنمت منهم مواشى كثيرة واسرت منهم اكثر من اربعين امرأة ومن جملة قتلاهم خمسة من الختمية السواكنية احدهم خليفة وجد معه بيرق امان من بوارق الترك شهادة على نفســـه انه فى طاعة حكومة الترك وكان ذلك فى غرة رمضان •

الترك يهاجمون برغوث :

بعد رجوع الانصار لبئر هندوب وانقطاع المواد عن سواكن ارسل الترك سفنهم لمرسى برغوث فاستولوا على مواشى هناك وقتلوا من اصحابها خمسة اشخاص واسروا سبعين وكان ذلك فى منتصف رمضان •

وتجمع الغمارار مرة اخرى وتوجهوا لقتال الانصار انتقاما لهزيمتهم فى (دم) وقد هزموهم مرة اخرى بعد اصابهم تلف عظيم •

رجل منافــق :

بعد ان هزم عربان محمود على اظهــر الانقياد لامر المهدية وسار للفقيه القلهياب مبايعا فامره بالمسير للامير عثمان دقنه فماطل فى الخروج وكان اثناء ذلك يتصل سرا بالغماراب الذين بايعوا القلهياب على الانقياد لامر المهدية حتى استطاع ان يردهم معه منافقين وكــانوا حديثى عهد فى المهدية • ولما كثر عليه الحاح الفقيه القلهياب بالسير لعثمان دقنه خرج معه وكان يبيت فى نفسه امرا اذا ما وصل الى جبل من جبالهم يقال له اكررباى طوله وعرضه مسافة ايام ومسالكه وعرة وانكشف امره لاحد القلهياب فاسرع متوجها للامير عثمان دقنه بعد ان انفصل عنه محمود على ومن معه فى جبل اكررباى • وحمل الفقيه احمد القلهياب معه خطابات تمكن من الاستيلاء عليها واحدها مــن الانكليز والآخر من الشنجيطى الى حمــد محمود حمد هساى من عملاء العمارات صحبته جوابات ارسلت من اهالى سواكن الى محمود على • وقد ارسل عثمان دقنه تلك الخطابات للمهدى •

بعث عثمان دقنه الامير على بن حامد عامل اوكاك ومعه من الامراء ادريس شكر وحامد احمد دقنه والامين اسماعيل ومعهم جمع كثيف من الانصار الى مكمن محمود على ومن معه فى الجبال فعثروا عليهم فى وادى اربعات وقتلوا منهم ستين فيهم على بن محمود على وانهزموا متفرقين فى الجبال وفر محمود على الى سواكن واستشهد من الانصار ثمانية وعشرون رجــلا •

وتتبع الانصار المنهزمين يقتلــون ويأسرون ويغنمــون بين شعاب الجبل السالف الذكر حتى طهروه منهم وقد استولوا على كثير من السلاح

والذخيرة والمواشى والنساء وما زالوا فى اثرهم حتى وصلوا جبلا يقال له جبل هييت حيث استسلمت بقيتهم وعاد الانصار لمعسكر عثمان دقنه ومعهم مائة وعشرون رئيسا مأسورا فى غرة محرم الحرام وقد بايع هؤلاء الامير عثمان دقنه • وقد حصلت هذه الواقعة لعشر بقين من ذى العقدة •

حصار مرسى برغوث :

وبعث عثمان دقنه فئةكبيرة من الانصار لحصار الساحل اسفل مرسى برغوث لانه طريق لتوصيل المواد للعمارار وسواكن بالبحر بعد انقطعت الطرق البرية وعندما وصل المحاصرون الى المرسى وجدوا سفنا ارسلها محمود على من سواكن لنقل الذين انهزموا من جماعة جبل اكرباي وكان قد وعدهم بذلك عند هربه من ميدان الواقعة واقتتل الانصار مع تلك السفن فاستشهد منهم ثلاثة وعشرون وهلك من اعدائهم اثنان وعشرون منهم ابن آخرمن ابناء محمود على السالف الذكر • كماكان بين المستشهدين منهم محمد نور ابن على دقنه وقد عين عثمان دقنه بدلا عنه الامير باشريك بن بدرى بن عم احمد ولد طه ابى طاهر من اهالى السمرندواب وقدتوجه الامير باشريك لمقر عمله فى غرة الحجة •

البـــاب الثانى عشـــر

حروبات خليفة المهدى فى شرق وشمال السودان :

مقدمة لازمة :

بعد سجن الامير الزاكى طمل ولى خليفة المهدى قيادة الجيش للامير احمد ولد على ووجهه للقلابات وهى مركز الزاكى الذى به سكناه واقامة جيشه • وعندما علم الطليان بخلو مركز الزاكى طمل الذى كانوا يهابونه زحفوا على اغردات واحتلوها • وعلم خليفة المهدى بالامر فكتب للامير احمد ولد على بمصادمتهم وصدهم فزحف عليهم ولكنه انهزم امامهم بعد مصادمة عنيفة قتل فيها جل جيش الانصار وامراؤه الا النور عنقره الذى أبلى فى هذه المعركة بلاء حسنا وكان مثخنا بالجراح وفيها يقول الشيـــخ ولد سعد :

النور عنقره جرعة عقــوت السم
دايما فى المحاص يضحك ويتبسم
جسمه بالرصاص كـــله موسم
الروح سايمها الا العمر ما تم

وذلك فى قصيدة طويلة مطلعها :

اصحاب الامام راكبين عواتى الخيل
قول المهدى فوقهم مصممين بلحيل

وفيها ذكر بعض الامراء مثل على ولد قمر « ولد عمنا العوضى »

أحتـــلال كسلا :

بعد اغردات تقدم الطليان الى كســـلا وبها الامـــير مساعد قيدوم فتغلبوا عليه واحتلوها • وعين خليفة المهدى الامير أحمد فضيل بدلا عن

المرحوم الامير احمد على فذهب الى القلابات فترك فيها نقطة من الجيش وانتقل الى القضارف .

وعندما بلغ خليفة المهدى خبر انهزام الامير مساعد قيدوم كتب للامير أحمد فضيل يأمره بطرد الطليان من كسلا فحمل عليهم الامير أحمد فضيل وقاتلهم قتالا عنيفا زمنا طويلا حتى نفدت ذخيرته فتقهقر للقضارف وثبتت اقدام الطليان فى كسلا .

تفصيل واقعة أغردات :

اخبرنى احمد الشيخ العوض أمير العوضية فقال انه عندما عين خليفة المهدى جيش الامير أحمد على التعايشى ومن معه لصد الطليان عن حدود كسلا كتب الى الامير مساعد قيدوم امير كسلا بأنه قادم اليكم سرية القضارف تحت رئاسة الامير أحمد على الذى عيناه بدلا عن الامير الزاكى طمل فعليكم ان تستعدوا للقيام معه لصد الطليان بعد ان تركوا وكيلا باغردات ومعه ثلة من الجيش لحمايتها . وفى كسلا قابله الامير مساعد قيدوم باستعراض كبير وبعد الراحة استعد الجيش للهجوم وكانت جملة جيش مساعد بين الف وخمسمائة الى الفين من المقاتلين . وقد بلغ الجيش كله ثمانية آلاف .

الزحف على اغردات :

بعد مسيرة ثمانية ايام وجد الجيش نقطة من الطليان قضى عليها ثم بدأ الطليان يقذفون الانصار بالقنابل فبلغت خمسة وسبعين قنبلة فى المرحلة الاولى وزحف الجيش حتى وصل نقطة فيها ترك الطليان بضائع كثيرة فاشتغل الجهدية بجمعها فظهرت اربع قلعات من الطليان اصلت الانصار نارا حامية ففتكوا بالانصار الذين كانوا بارض عالية والطليان فى ارض منخفضة . واستمر زحف الانصار على الطليان فى خنادقهم مستأصلين كل من وجدوه امامهم

فخرجت لهم اربع قلعـات أخرى فاستأصلوها وكـان اغلب جيشهم من الحبش •

وعندما اقترب الانصار من استحكاماتهم خرجـوا فى اعداد كثيفة ودارت الحرب من أول الظهر الى مغيب الشمس فاستشهد عدد كبير من الانصار والامراء ولم يبق الا الامير النور عنقره وقد اصيب معظم جسمه بالرصـاص •

انهزام مساعد قيدوم :

وانهزم الامير مساعد قيدوم وتبعته بقية الجيش حتى وصـل محل الامير أحمد على الذى كان فى مؤخرة الجيش ولما عـلم الخبر اندفع الى المقدمة قائلا : «هيا يا اخوان للجهاد» ثم رتب الصفوف وهجم على العدو فقتل اغلب الجيش وانهزم وتبعه الطليان ولكن الجهدية تصدوا لهم فردوهم الى معسكرهم وبذلك مكنوا جيش الانصار من التقهقر بنظام الى كسلا فبلغها بعد اربعة ايام •

وفى السنة الثانية هاجم الطليان كسلا فاجلوا جيوش المهدية عنها وسبب ذلك ان مساعد قيدوم عامل الامراء معاملة سيئة فخذلوه وهرب بنفسه تاركا عائلته بينما استطاع كل الامراء اخذ عوائلهم معهم منهزمين بانتظام • وكتب احمد فضيل لخليفة المهدى بما حصل واستقر هو نفسه بالقضـارف •

هجوم الانجليز على طوكر :

عندما علم الانجليز بانشغال الانصار مع الطليان وانتصار الطليان عليهم زحفوا من سواكن على عثمان دقنه فانهزم عثمان دقنه وكتب لخليفة المهدى يخبره ان الانصار فى حالة ضيق وجوع وان العربان المحيطين بهم اصبحوا فى عداء

معهم وموالاة للانجليز فأذن له خليفة المهدى بالعودة لامدرمان وعندما وصل الى شمبات امره خليفة المهدى ان يحط رحــاله بها فأقام بها نحو شهرين فى الديم المشهور باسمه فى تلك الجهة ثم امره خليفــة المهدى ان ينتقل بجيشه لامدرمان فأقام بالديم المعروف به بالقرب من ود نوباوى ولم يزل بتلك الجهة الى وقوع معركة امدرمان وخروج خليفة المهدى •

واقعة فركة فى الشمال :

كتب الامير محمد بشاره يخطر خليفة المهدى بأن الجيش المصرى هجم على الامير حمودة ادريس فى فركه وقتل الامير حموده نفسه وقتل معه من الامراء أحمد البصير وحاج الهاشمى من العبدلاب اهالى حلفاية الملوك ويوسف عنقره رئيس الجهدية والسيد موسى الكاظم وبابكر ود كوكو قاضى السرية واسر فيها من المشهورين السيد داؤود والشيخ الطاهر الشيخ العبيد ومن المجروحين محمد حمزه الانقريابى • وتقهقر الجيش الى العرضى •

وبعد نهاية المعركة جاء سلاطين باشا بهيئة اركانحرب الجيش المصرى وتفقد المقتولين فلما تبين السيد موسى الكاظم لفه فى قماش ولف معه بابكر ود كوكو وصب عليهما الجاز واحرقهما •

ارسال الامدادات :

بعد استلام مكاتبة الامير محمد بشاره عقــد خليفة المهدى اللواء للامير مكى ود الياس ام برير النفيعابى المشهــور وعين معه من الامراء أحمد ود فحل الجعلى وطه ود الجعلى وارسلهم بجيوشهم مددا للامــير محمد بشارة • ثم عين محمد احمد ود شيخ ادريس اميرا ومعه الامير احمد عبد الكريم وسيد احمد عبد الرحيم وحاج شرفى والقاضى محمود واحمد الفكى نصر ومعهم نحو اثنين وثمانين شخصا من الاشراف التابعين لهــم

ليلحقوا بالامير محمد ود بشاره تعزيزا لجيشه •

اما الامير محمد بشاره فقد ارسل جل جيشه لحفير مشو وبقى هو وحرسه فى العرضى وانشأ طابية فى شلال وادى فاطمه • وفى حفير مشو بنى استحكامات وطابيتين • وفى آخر ربيع الثـانى عام ١٣١٤ استقبـل الامير محمد بشاره جيوش المهـدية القادمة لمساعدته فى العرضى وتحرك بها لحفير مشو بنفسه • وهناك جمع محمد بشاره امراء الجيش وشاورهم فيما يحسن فعله بعد ما بلغهم بخبر المدد الذى ارسله خليفة المهدى بقيادة الامير عبد الباقى ووصوله الى العرضى • وكان رأى الامير محمد بشاره ان يرسل جيش الامير عبد الباقى مع جيش الامـير عثمان ازرق وجيش الامير احمد الغالى لتعزيز نقطة الشرق فرفض الامير أحمد الغالى الرجوع الى الشرق ثانيا بحجة ان العدو لا يوجه نيرانه لجيش عثمان ازرق وانما يوجهها دائما لجيشه هو • واتفـق اغلب الامراء على ارسال جيوشهـم للشرق حتى لا يتمكن العدو من السيطرة عليه وتسيير وابوراته • وباتوا على هذا الرأى ولكنهم اصبحوا فاجتمعوا مرة أخرى بعد وصول جيش الامير عبد الباقى ونقضوا رأيهم وصمموا على سحب جيوشهم من الشرق الى الغرب وعلم العدو بالخبر فارسل طلائعه المكونة من خمس وابورات حربية خلفها جيش برى ثم وضعـوا مدافعهم عـلى ربوة عالية وقذفوا طوابى الانصار فهدموها ووقعت احدى قنابلهم على خيمة الامير محمـد بشاره نفسه فاحرقتها وخرج هو بنفسه •

السباق الى العرضى :

رحل الاميرمحمد بشاره الى العرضى ولحقه كثيرمن الامراء التابعين له وعلى اثرهم تحركت وابورات العدو الى العرضى فضـربتها بقنابلها وتوجهت واحدة منها الى دار الساقية حيـث تعسكر وابور الانصـار « الطاهرة » فضربتها بقنبلة انفجرت داخلهاوعطلتها وهرب بحارتها سباحة

فانضموا الى الانصار وجاءتها الوابور التى ضربتها فقطرتها ومعها مراكب محملة بالغلال ٠

الاستعدادات للقاء العدو :

امر محمد بشارة جيشه بالخروج من العرضى الى ديم جراده استعدادا للقاء العدو ووصلت وابورات وجيوش العدو فى آن واحد وضربوا العرضى فهدمواطوابيها وخرج من فيها منهزمين واصطفتمدفعية وهجانة وسوارى العدو فى هيئة كردون لتطويق ديم الانصار الذين كانوا يستعدون لمقابلة العدو من الجهة البحرية ولكن العدو هاجمهم من الخلف فانحل عزمهم لكن الامير محمد بشاره أخذ يدفعهم على الثبات ومقابلة العدو وكان ذلك فى يوم الخميس ٠

ولما رأى امراء الجيش عزمه على الثبات للعدو اتفق منهم مساعد قيدوم وعبد الباقى عبد الوكيل ومحمد جوده ومجبور شداد واحمد الغالى واحمد منجىعلى ان يأخذوا امرهممن محمد بشاره عنوة ويرغموه على الهرب فيباغته احدهم ويركب خلفه ويربطه على السرج ويحكم وثاقه ويمسك آخر عنان جواده وفعلا اتموا فعلتهم وهربوا جميعا حتى سقط جواد الامير محمد بشاره مرهقا فى اوزى فجددوه بآخر سقط فى القولد فاركبوه على جمل واستمروا هاربين الى ان دخلوا الدبه صباح الجمعة وتقدر هذه المسافة بثلاثة ايام ٠

ومن هناك سلك بعضهم طريق النيل خوفا من العطش وسلك آخرون الطريق الصحراوى قاصدين جبره فهلك كثير منهم عطشا ٠ اما الاشراف فانهم جدوا السير حتى وصلوا امدرمان ٠ وهكذا تمت هزيمة الانصار بقيادة محمد بشاره واحتل العدو العرضى ٠

تنظيم التقهقر :

ارسل خليفة المهدى للمنهزمين يأمرهم الا يدخلوا امدرمان متفرقين فى جماعات صغيرة بل عليهم ان يلموا شملهم ويجتمعوا مع اميرهم فى هيئة منظمة واعاد خليفة المهدى الامير محمد احمد شيخ ادريس والسيد أحمد عبد الكريم ليجمعا وينظما الجيش مع الامير محمد بشاره فاجتمعا معه فى السروراب وباتوا فى هجرة ود البصير وامرهم خليفة المهدى ان يقابلوه بجهة هجرة العرضة وهناك طيب خاطرهم وقال لهم : « هذا ما قدر الله ولا بد من نفاذه ، والحرب سجال يوم لنا ويوم علينا، ثم امرهم بالانصراف وبعد بضعة ايام أمر خليفة المهدى باضافة الامير محمد بشارة للراية الزرقاء وتحت رئاسة الامير يعقوب محمد .

ولد الامين الضرير أميرا للامراء :

فى عام ١٣١٤ اختار خليفة المهدى بعض الامراء المشهورين لارسالهم لبربر بعد ان احتل العدو دنقلا. وكان عدد هؤلاء الامراء خمسة وعشرين اميرا جعلت رئاستهم للامير على الفكى الامين الضرير . وساروا قاصدين بربر فنزلوا المتمه وقابلهم الامير عبد الله ود سعد فاكرمهم وكاتبهم الامير يونس ليقابلوه بالكتياب فقابلوه هناك وبعد التحية والمجاملة اللازمة وجه حديثه للامير عثمان ازرق قائلا : « لاى سبب ارسلكم لى خليفة المهدى ؟ وماذا قال لكم؟ » فقال له: « ارسلنا بصفة نجدة لمصادفة العدو معكم وقال لنا اطيعوا الامير يونس انتم واميركم على الفكى الامين، وقال لنا : عندما يقترب العدو منكم صادموه اذا رأيتم قوتكم متكافئة مع قوته واذا وجدتموه كثيفا لا تتمكنوا من قتاله فارسلوا لنا لنمدكم بنجدة اخرى » بعد ان انتهى عثمان ازرق من حديثه سأل يونس الامير محمد حمزه الانقريابى : « هل ما قاله عثمان ازرق هو الكلام الذى قاله لكم خليفة المهدى ؟ » فأجابه جميع الامراء بأن نعم عندما سألهم نفس هذا السؤال

بعد ان اتموا حديثهم امتلأ الامير يونس الدكيم غضبا وقال لهم : « مثلى انا لا يستكثر العدو ويخاف قوته حتى يطلب النجدة وانى لعلى ثقة من قوتى وبأسى وانى لكفؤ لمصادمة العدو وحدى » وصار يكرر مثل هذا الكلام ثم وجه قوله للذين كانوا مع الامير محمد بشاره وهربوا من دنقلا فناداهم باسمائهم قائلا : « انت يا عثمان ازرق ، ويا محمد حمزه ويا ابراهيم ود عيسى ويا محمد الامين عبد الحليم وانت يا محمد عمر خندقاوى وانت يا عبد القادر ود حبوب وانت يا وداعة الله انا عارف كلامكم كلكم فلا تظنونى مثل اميركم بشاره الذى جرى مطلقا ساقيه للريح ولا مثل مساعد قيدوم الذى ساقه مثل ساق الغزالة « كناية عن السرعة فى الجرى » حتى تنتظرون ان اهرب وتهربوا معى بل سارسلكم امامى الى ابى حمد لمقابلة العدو هناك واذا كان عمركم اردب سمسم فسوف يفرغ هناك فخير لكم ان تثبتوا فى مصادمة العدو حتى تنالوا النصر او الشهادة ولا تفكروا فى الهرب فامامكم مفازة عتمور ابو حمد فأن لم تموتوا فى الجهاد فسوف تموتون عطشا . واما محمد احمد شيخ ادريس واحمد عبد الكريم فهما ابناء عم المهدى عليه السلام وان خليفة المهدى ارسلهما لى وانا عارف مكانتهم ومخير فيهم . وان هذه الجردة ستصلنا وقد علمت ان عددها اربعون الف فقط وانا واثق بانى سأقابلهم واقتلهم عن آخرهم وسيصل الخبر لخليفة المهدى بأن يونس قتل الجردة كلها وانتصر عليها وقد اصابته منها جراحات فقط بأن ضربته رصاصة فى فخذه وان جواده مات تحته بجلة من مدفع ثم امرهم بالانصراف .

واستعد الامير يونس نفسه للسفر لامدرمان لمقابلة خليفة المهدى وامر اولئك الامراء بالسفر لبربر حيث قابلهم الامير على فرفار من امراء التعايشة وكان وكيلا على بربر لجيش الامير يونس الدكيم فقابلهم باستعراض كبير .

عودة الشريفين :

بعد اربعة ايام من وصول الامراء لبربر وصلت تعليمات من خليفة المهدى بعودة السيد محمد احمد شيخ ادريس والسيد أحمد عبد الكريم فجهزهما الامير على فرفار وردهما لامدرمان • وفى المتمة قابلهما الامير يونس عائدا من امدرمان واستغرب لعودتهما فبلغاه انهما عائدان بأمر من خليفة المهدى فحاول ردهما معه كما رد عثمان ازرق من قبل من الخندق رغم انه يحمل امرا من خليفة المهدى بالمثول امامه بامدرمان ولكنهمااجاباه بحزم انهما سائران لخليفة المهدى حسب تعليماته فتنازل امام اصرارهما

خليفة المهدى يدعو مجلسه :

وفى امدرمان قابلا خليفة المهدى واذن لهما بالانصراف بعد التحية والاكرام وامرهما بالعودة بعد ثلاثة ايام فاتياه فى اليوم الرابع وبلغهما انه دعاهما لامدرمان لحضور المجلس الذى يريد ان يعقده مع الخليفة شريف بحضور الخليفة على والقضاة وكبار الامراء • وانعقد المجلس فابلغه خليفة المهدى انه يريد ان يرفع للخليفة شريف رايته الاصلية التى كان اميرها ولد النجومى فاجاب المجلس جميعه بالموافقة ثم التفت للخليفة شريف مخيرا اياه فيمن يجعله اميرامن الحاضرين على رايته ففوض الخليفة شريف الامر لخليفة المهدى فترك خليفة المهدى الامر للمجلس ولكن المجلس فوضه هونفسهفى اختيارمن يراه مناسبافاطرق مليا ثم اختارالسيد احمد عبد الكريم اميرا لراية الخليفة شريف بدلا من ولد النجومى وختم المجلس بالفاتحة ثم تناول الراية التى كانت موضوعة فى عنقريب بجانبه فناولها للخليفة شريف الذى ناولها للسيد أحمد عبد الكريم •

وفى صباح اليوم الثانى البست الراية فى قناتها فى حفل حضره كبار الاشراف وكبار التعايشة وكبار دغيموعين الشريف حامد لحملها ووضعت فى بيت الامانة •

ثم رفع خليفة المهدى رايتين احداهما للامير محمد احمد شيخ ادريس والاخرى للسيد عبد الصمد حاج شرفى بعد نحو جمعتين • واخذ الناس يتجمعون حول هذه الرايات الثلاث مرة اخرى بعد ان انفضوا من حول الخليفة شريف اثر الفتنةالتى حدثت فادخلته السجن وقد بلغ الناس الذين تجمعوا من جديد حوالى خمسة آلاف منها اربعة آلاف فرسان واسلحة نــارية •

استدعاء الامير محمود ولد احمد

وفى نفس هذا العام طلب خليفة المهدى الامير محمود ود احمد ان يحضر بجيشه من دار فور فحضر ثم طلب خليفة المهدى من الامير عبد الله ود سعد اخلاء المتمة الى شرق شندى ليمر جيش محمود ود احمد الى الشمال وكان ذلك الطلب فى مجلس دعــا اليه الامير عبد الله ود سعــد وجميع امراء وكبار الجعليين فأجابوه بالموافقة ظاهرا واضمروا العصيان وقد ارتاب خليفة المهدى فى صدق عبد الله ود سعد فحدثه امام القضاة بانه يشك فى صدقه وانه يرى ان يبقى عبد الله ود سعد بامدرمان ويرسل من ينوب عنه فى اخلاء المتمة ولكن عبد الله ود سعد طمأنه على صــدق نواياه فقال له خليفة المهدى : « ان الشريعة لها بالظاهر ولا استحسن ان اقبضك بدون ان يبدر منك شىء اما الذى اعلمه عنك انك تضمر السوء ولك مكاتبات جارية مع العدو ولو فتشنا جيبك لوجدنا فيه بعضها وانى انصحك ان تبقى معنا ولا تذهب الى المتمة فأصر عبد الله ود سعد على الذهاب ولم يرضخ لنصيحةخليفة المهدى •وطلب خليفة المهدى من الشيخ محمد عمر البنا ان يقرأ آية فى ذلك الموقف العظيم فتلى الشيخ محمد عمر البنا : « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون •• آية » فقال خليفة المهدى لعبد الله ود

سعد : « اذهب حيث شئت فأن الله سائلك عن دماء الجعليين وهذه الآية تكون شاهدا بينى وبينكم امام الله »

وعندما ازمع عبد الله ود سعد الرحيل وبلغ ذلك الشيخ اليـاس ام برير ارسل يطلب عبد الله فلما حضر وعرف منه مادار بينه وبين خليفة المهدى وعرف تصميمه على عدم اخـلاء المتمة نصحـه بالبقاء مع خليفة المهدى بامدرمان والموافقة على اخلاء المتمة فأجابه عبد الله ولد سعد بانه ما زال متأثرامن الكلمة التى تداولها بعض الجهلاء واصبحت مثلا يتداوله الناس بسبب قيام الملك نمر من شندى وهى : « قوم قام نمر من شندى » فكيف يسوق له انيفعل ما فعله الملك نمر وعجز الشيخ الياس عن مراجعته فخرج منه الى المتمة .

ولد سعد فى المتمه :

بعد عودته الى المتمة جمع كبار اهله وبلغهم أمر خليفـة المهدى فى صيغة مهيجة فأجابوه بالسمع والطاعة له فبلغهم بأنه لا يوافق على اخلاء المتمة ولا يقوم فيها كما قام نمر من شندى وحاول بعض عقلاء الجعليين اثناءه عن رأيه وتوضيح خطورة الموقف له ولكنه صمم على رأيه فانبرى له عمه ود فرح ونصحه بأن يرجع عن هـذا الرأى الذى سيؤدى لهلاكه وهلاك اهله وخراب دار الجعليين وقال له : « انت الآن فى قبضة المهدية فلا يحسن منك ان تخالف امرها فتكون سببا فى هـلاك اهلك وخراب ديارهم وتكون مسئولاعن دمائهم بينيدى الله تعالى » فلم يصغ لنصيحته

وقد وجد عبد الله ود سعد بعض المهـووسين الذين حبذوا رأيه فتحزب بهم وبما لديه من المماليك فاراد عمه المذكور آنفا ان يتفق مـع بعض العقلاء فى القاء القبض عليه وارساله لخليفة المهـدى فلم يقدر على ذلك لان عبد الله ود سعـد كان متيقظا ومستعـدا بالسلاح والحرس

فخافوا بأسه اذ ربما يفتك بهم قبـل ان يتمكنوا من القبض عليه . وقد علمت ان زوجته وبنت عمه التى تدعى بنت عقيدوكانت امرأة رشيدة فانها نفسها كانت ارادت ان تدبر مكيدة للقبض عليه او قتله وقالت ان ضياع شخص واحد ايسر من ضياع القبيلة كلها ولكنها لم تستطع تنفيذ رأيها .

اندلاع الفتنة :

اتسع الخرق على الراقع فاندلعت نار الفتنة حين وصلهم خبر مجيء الامير محمود ود أحمد . وارسل ود أحمد الى ود سعد يحذره عاقبـة العصيان ويحثه على الاذعان والانصياع لامر خليفة المهدى فرد عليـه عبد الله ود سعد ردا قبيحا بذيئا فأرسل محمود ود أحمـد ذلك الرد لخليفة المهدى فأذن له خليفة المهدى بمقاتلة عبد الله ود سعد اذ اصر على العصيـان .

ولد أحمد يزحف على المتمة :

بعد استلام الاذن من خليفة المهـدى زحف محمود ود احمد على المتمة واستعد عبـد الله ود سعد مع رجـاله فى حوش وفتحوا كوات « مزاقيل » على الطريق الذى يمر به جيش الامير محمود ود احمد ورتبوا انفسهم بحيث يقتلون جميع كبار جيش محمود ود احمد وهو نفسه على رأسهم آملين فى انهزام الجيش بعد ان يفقد رؤساءه .ولكن الامير محمود بدل طريقه فى آخر لحظة فنجى هو وامراؤه مما دبر لهم .

اما عبد الله ود سعد فأنه لما فشلت خطته نادى بالعصيان والحرب وامر عبيده واتباعه ومناصريه باطلاق الرصاص على جيش الامير محمود فاصلاهم الامير محمـود نارا حامية فخر عبـد الله ود سعد صريعا وجز رأسه وارسل لامدرمان وكان ذلك فى اواخر محرم ١٣١٥ هجرى .

الجيش يديم في المتمة :

مكث الامير محمودفى المتمة وعسكر فى جنينة ود عقيد والد زوجته وقد انتشر خبر جيش الامير محمود فى دار الجعليين• وفى ظرف يومين او ثلاثة وصلت الخيالة لمدينة بربر التى بها الامير الزاكى عثمان ووكيله على فرفار •

اقام الامير محمود بالمتمة نحو الثلاثة أو الاربعة اشهر ومنها زحف الى عطبرة وعسكر فيها حتى وصله الجيش المصرى فتلاقيا هناك ودارت معركة حامية بين الفريقين من الصباح الباكر الى آخر النهار وكانت الغلبة للجيش المصرى واسر الامير محمود ود احمد •

الزحف على امدرمان :

بعد هزيمة الامير محمود فى عطبرة واسره زحفت قوات الاحتلال الانجليزية المصرية نحو امدرمان وتعدادها خمسة وعشرون الفا وثمانمائة مقاتل ثلثهم بريطانيون وجميعهم مسلحون باحدث الاسلحة النارية ومدربون على احدث وسائل القتال آنذاك تؤيدهم الوابورات حاملة المدافع الحديثة البعيدة المرمى ويؤازرهم الفان وخمسمائة من رجال الجعليين غير النظاميين وقد اتخذوا الضفة الشرقية طريقا لهم بينما سار جيش الاحتلال على الضفة الغربية •

خليفة المهدى يستعد :

عين خليفة المهدى طليعةمن مائتى فارس لمتابعة تحركات العدو ومده بالاخبار اولا بأول وامر بحشد كل القوات الممكنة فى امدرمان فلبى نداءه ما يزيد عن الستين الفا من المقاتلين منهم ثمانية وعشرون الفا من الجهدية والملازمية ، نصفهم يحمل البنادق وبقيتهم من العربان حملة السيوف والحراب • وقد قدرت الخيول التى حشدت باربعمائة حصان وبنى خليفة المهدى طوابى اكثرها على الضفة الغربية للنيل ووزعت فيها

اكثر من خمسين مدفعا وحشد فيها الفان من المقاتلين حملة البنادق كما امر خليفة المهدى ببث الالغام فى مياه امدرمان لعرقلة سير وابورات العدو

العدو يقترب :

زحف العدو وحط رحاله فى السروراب على بعد ستة اميال من جبال كررى فى يوم ٣١ اغسطس ولم يجد اى مقاومة وفى اول سبتمبر وصل قرية العجيجة عند سفح جبال كررى على بعد ستة اميال ونصف من امدرمان • وقد قامت وابورات العدو بضرب طوابى خليفة المهدى ضربا عنيفافجر هذااليوم ممهدة لقوات الجعليين الغير نظامية الاستيلاء على الاماكن القريبة منها كماضربت الوابورات سور امدرمان فاحدثت فيه فجوات كبيرة ووجهت نيرانها فى النهاية لقبة المهدى فازالت قمتها • اما بقية قوات العدو فقد انشغلت فى اقامة التحصينات الضرورية فبنى الانجليز زريبة فى موقعهم وحفر المصريون خندقا طويلا فى واجهتهم •

الطابور الخامس :

وفى منتصف نهار هذا اليوم رأى كتشنر قائد قوات الاحتلال بنظاره المكبر استعراضات جيوش خليفة المهدى وراقب تقدمها نحو جبال كررى من الجهة الغربية لامدرمان حتى نزلت للاستجمام والاستعداد قريبا من جبال كررى • وخوفا من هجوم خليفة المهدى عليه ليلا ارسل الجواسيس فتسللوا لجيش خليفة المهدى لامدرمان يشيعون بين الامراء والعوام ان العدو سيهجم بالليل ولا لزوم للاستعجال للقائه بل الاصوب انتظاره فى مواقع الدفاع للقضاء عليه وهكذا اثمرت جهود الطابور الخامس اذ قوى التيار الذى يرى ان يكون الهجوم فى وضح النهار فلم يهجم خليفة المهدى فى تلك الليلة بل رتب امره على الهجوم نهار اليوم التالى • وتتيجة لجهود الطابور الخامس انخذل من جيش خليفة المهدى

نحو ستة آلاف رجل عاد بعضهم لامدرمان وهـرب بعضهم لمواطنـه فى الاقاليم مما دعا خليفة المهدى ان يصدر امرا للامـير يعقوب ابو زينب بقتل كل من يجده فى بيته بامدرمان من القادرين على القتال بعد شـروق الشمس .

مرحبا بالشهادة :

فى صباح يوم ٢ سبتمبر اصطف اثنان وخمسـون الفا من انصار المهدى متجهين نحو الشمال الشرقى وقد امتدت صفوفهم اربعة اميال وهم ينتظرون اشارة الهجوم للقضاء على العدو . وقد رتب هذا الجيش على النحو التالى :

وليت قيادة الجناح الشمالى للخليفة على ود حلو وفى امرته خمسة آلاف مقاتل اغلبهم من دغيم وكنانه ترفرف فوقهم رايته الخضراء . وشكل مربع من خمسة وعشرين الف قلبا للجيش يقوده عثمان شيخ الدين بن خليفة المهدى والامير عثمان ازرق ــ من هؤلاء الخمسة وعشرين الفا اثنا عشر الفا من الجهدية والملازمية حملة البنادق والبقية يحملون السيوف والحراب وترفرف فوقهم راية الامير عثمان شيخ الدين الخضراء الغامقة اللون ويحمى ظهرهم خليفة المهدى فى الفين من ملازميته . وفى جناح الجيش اليمين وقف الخليفة شريف فى الفين مـن مقاتلة الدناقلة برايته الصفراء يسانده الامير عثمان دقنه فى الف وسبعمائة من الهدندوة فى اقصى اليمين وخلف هذا الجيش اللجب وقف الامير يعقوب يحمى المؤخرة ويساعد اى جناح يحتاج له ومعه ثلاثة عشر الفا من حملة السيوف والحراب تظلهم الراية الزرقاء .

تحركت هذه القوات نحو السهل الممتد حول قرية العجيجه بين جبال كررى وسرغام وقد بدأ الهجوم فى هذه القوات فى اليوم الثانى من ٢ سبتمبر

بعد شروق الشمس فى الساعة السابعة الا ربعا فسال الميدان بالانصـــار براياتهم تدوى تكبيراتهم وانتظرهم العدو حتى دخلوا خط النار فصدرت مدافع وابورات العدو ومكسيماته السريعة فكانت تقضى عليهم جماعات جماعات وهم يتقدمون دون تردد حتى الساعة الثانية فصدرت تعليمات لاعادة ترتيب الصفوف فتقهقرت جيوش المهدية لامدرمان وقد سقط منها فى ميدان المعركة ما قدر بسبعة وعشرين الفا ، استشهـــد منهم احد عشر الفا وجرح الباقون وكان بين الشهداءالسيد محمد المهدى والامير يعقوب والامير ابراهيم الخليل والامير عثمان ازرق • وادعت قوات الاحتلال انها لم تفقد غير ثمانية واربعين رجلا قتيلا وثلثمائة واثنين وثمانين جريحا وهذا يعزى لتفوقهم فىالاسلحة والمؤن الحربية والتدريبالعسكرى ولولا ذلك لكانت نهايتهم مؤكدة •

استباحة امدرمان :

خرج خليفة المهدى من امدرمان ببقية الجيش بعد ان تأكد من انها لا تصلح موقعا للقتال فاتجه غربا حيث يستعد لمواصلة الدفاع عن بقية القطر • ودخل كتشنر امدرمان بعد ان تأكـــد من خروج خليفة المهدى منها واستباحها ثلاثة ايام ثم سار لاطـــلال الخرطوم فرفع علمى الاحتلال على سرايا غردون وصلى على روحه

ملحق الكتاب

١ ـ الباب الاول :

(١) **نجم الدين** : كان وزيرا لوالى مصر وله محل يسمى باب الوزير معروف للآن .
(٢) **الولى** : أى المطر .
(٣) **أحمد اليمانى** : نسب لامه اليمانية .
(٤) **الخزرجى** : نسب لامه الخزرجية .
(٥) **وقيل عدنان بن القصاص**
(٧) **الانصارى** : أمه من الانصار .
(٨) **احمد سليمان المحسى** : من اصحاب الشيخ محمد احمد منذ عهد الطريقة واصله من قبيلة المحس وبعد الدعوة صار من ابكار الامام المهدى وامنائه ، وبعد ارتفاع لواء الدعوة تولى امانة بيت المال واستمر على ذلك حتى وفاة الامام المهدى واثناء جزء من عهد خليفة المهدى ثم عزل وخلفه ابراهيم عدلان فى ذلك المنصب . توفى احمد سليمان فى عام ١٨٨٩م .

(٩) **أحمد العجب** : رجل ثقة ورع ، يحفظ القرآن ، ويشتغل بكتابة المصاحف وتعليم القرآن .
(١٠) **فاطمة بنت حسين** : احدى امهات المؤمنين زوجات الامام المهدى ووالدة ابنه الصديق المستشهد فى ام دبيكرات ووالدة بنته ام سلمة ومريم وهى من قبيلة الحجازيين توفيت عام ١٩١٦ .
(١١) **الكاشف ود نميرى** : ملك دنقلا .
(١٢) أى مولى احمد شجر الخيرى الذى اعتقه .

(١٣) **الشيخ محمد شريف نور الدايم** : حفيد الشيخ أحمد الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية فى السودان . وكان خليفة السجادة الطيبية فى قرية الشيخ الطيب التى تقع شمال امدرمان ثم نقل مركز نشاطه الدينى الى احدى قرى النيل الابيض وقد اعطى الشيخ محمد أحمد عهد الطريقة السمانية فلازمه وصاحبه حتى نشب خلاف افضى الى ذهاب الشيخ محمد احمد الى الشيخ القرشى ولد الزين وقد كان ايضا شيخا للطريقة السمانية وكان يقيم بالقرب من المسلمية فأخذ عنه الطريقة .
توفى الشيخ محمد شريف عام ١٩٠٨م وهو والد الشاعر السودانى الكبير الشيخ محمد سعيد لعباسى .

(١٤) **الشيخ محمد الخير عبد الله خوجلى** : أصله جعلى وسكناه ببربر وقد أسس مدرسة لعلوم الدين والقرآن وقد امضى الشيخ محمد احمد فيها زمنا طويلا يطلب العلم . عندما قامت الدعوة المهدية هاجر الى المهدى وبايعه فعينه اميرا على جهات بربر فحاصرها حتى قهر حاميتها فى ١٨٨٥م . كان اسمه الاصلى **محمد العنكير** فغير المهدى الى محمد الخير استمر الشيخ محمد الخير اميرا على جهات بربر حتى موته فى ١٨٨٨م ثم خلفه لامير عثمان الدكيم .
(١٥) **قرشى ولد البصير** :

(١٦) **الوالده فاطمه بنت حاج :**

(١٧) **الشيخ القرشي :** شيخ الطريقة السمانية من جهات النيل الازرق نسبة بزغى وينتسب الى قبيلة الحلاويين من جهـة امه . لقد اسس فى مكان اقامته مدرسة لعلوم الدين والقرآن فاتصل به الشيخ محمداحمد بعد خلافه مع الشيخ محمد شريف نور الدايم وبقى معه مدة من الزمن وتزوجاحدى بناته وهى ام المؤمنـين النعمة والدة السيد على المهدى . توفى الشيخالقرشىقبيل ظهور المهدى، فشيعه الشيخ محمد احمد وصلى عليه وبنى قبة فوق قبره

(١٨) اثناء رحلة الشيخ محمد أحمد فى كردفانحدث ان كانسائرا ومعه بعض حيرانه فىالابيض فشاهدوا زفافا فعندما سألوا علموا انصبيا يدعى قرفه زف لرجل ، فسل الشيـخ محمداحمد سيفه وهم ان يزيلالمنكر بيدهفمسكه من كانمعه حتى هذا فذهب بعد هدوئه وبلغ الامر لمدير المديرية الـذى وعدهبالنظر فى الامر .

(١٩) **غرق :** بالعاميـة السودانيـة ـ منغرغرقان ـ وهو فقدان الوعى بسبب الانغماس فى العبـادة .

(٢٠) **الشيخ سليمان شاذلى :** كانهذا الرجلصديقا للشيخ محمد احمد ويروى أن الشيخ محمد احمد كان جالسا معه ذان يوم فىمركز الكوة فأتت اليهامرأة وشكت اليه بصفته القاضى قائلة : « أن فلانا اخذ منـىمريسة (اى خمرة) وشربها ولم يدفع الثمن » فقال الشيخ محمد أحمد مخاطبا القاضى: « احكم بالشريعة يا قاضى الاسلام » فقال له القاضى : « لا سلطة لى فى ذلك » وتلطف فىمخاطبة المرأة واخرجها ، عند ذلك غضب الشيخ محمد احمـد وخرج مسرعا مـنالمجلس .

(٢١) **قوز قبا :** اسم مكان بالجزيرة أبا والقوزهو الكثيب .

(٢٢) **متكفا :** أى داخل خلوة باللهجةالعامية .

(٢٣) **احمد شرفى :**

(٢٤)**محمد ابو السعود بلهالعقاد :** اصله تاجرمن مصروقد جاء للسودان للعملمع قريبهالتاجر المشهور محمد احمد العقاد صاحب شركةالعقاد التىكانت لها أعمالواسعة فى الاستوائية وفىعام ١٨٧٠م مات مؤسس الشركةفخلفهابو السعود فى ادارة شئـونها . وقد اختلف ابو السعود مع بيكر ثم غردون اللذين عهدت اليهما الحكومة على التوالى أمر محاربة الرق .

وفى عام ١٨٧٨ تولى محمد ابو السعودمنصب مديرحسابات ماليةالحكومة فىالخرطوم لقد كان شاغلا تلك الوظيفة عندما اوكلاليه الحكمدار مهمة مراجعة الشيخ محمـد احمد فى امر الدعوة المهدية . لقدفشلتالمهمة ورجع ابو السعود للخرطوم ليعود على رأس قـوة للقبض على المهدى فكـان فىأمرها ما حـدث فى واقعة أبا . لقـد نجا ابو السعود شخصيـا من الموت ووصـلالخرطوم لكنه لم يعش طويلا إذ مات مسموما فى عام ١٨٨١م .

(٢٥) **الحكمدار :** هو اللقب الذى يطلق على حاكم عام السودان الذى يعينه والى مصر وهـو المسئول الاول اداريا وعسكـريا عن حكمالسودان . والحكمدار المذكور هنا هو محمد رؤوف باشا الذى استخدم فى السودان كمدير للاستوائية ثم كمدير لهرر وفى عام ١٨٨٠ خلف غردون فى منصب حكمدار السودانونظرا لفشله فى قمع الدعوة المهدية اعفى من

منصبــه فى عام ١٨٨٢م وخلفـه عبد القـادر باشا حلمى . لقـد بنى فى الخرطوم مسجدا فى عهده وعندما رجع الى مصربعد اعفائه صار أحد اعضاء اللجنةالتىاوكلت اليها مهمة محاكمة الثائر الوطنى أحمدعرابى ورفاقه . مات محمد رؤوف فى المنيا .

(٢٦) قابل هؤلاء الرجال الخمسة المهدى بعدفتح الخرطوم وبايعوه وقد كانوا فيها طيـلة فترة الحصار .

٢ ـ البـاب الثانى :

(١) **شيخ ادريس الشـاعر :** اى شـاعرالصوفية وهو الذى ينشد الاشعار الصوفية .
(٢) **منجرة ولد ابى شوك :** مكان يتخـذهالصناع لنجر المراكب .
(٣) **المجرى :** الخور الذى تجرى فيهالسيولمن امطار الخريف .
(٤) **بُص :** أى انظر بالعمية المصرية .

(٥) **اهل الدائرة :** اشارة الى الاعتقاد الصوفى فى دوران اولياء الله فى الكون .
(٦) **صلاة الخوف :** هى كيفيـة اداء الصلاةإذا كان المؤمنون فى خوف من حركات العـدو . وهى انواع . الاول يكون العدو فى القبلةفيرتب الامام القوم صفين ويصلى بهم . فاذا سجد سجد معه صف سجدتيه وحرسصف ، فاذا قاموا سجد من حرس ولحقـوه وسجد معه فى الثانيـة من حرس اولا ،وحرس الآخرون فـاذا جلس سجد من حرس وتشهد بالصفين وسلم . الثانى انيكونالعدو فى غير القبلة فيصلى الامام مرتين : كل مرة بفرقة . وذلك ليحرس فريق الفريقالآخـر .

(٧) كنداب الحرب أى مؤخرتها .
(٨) **النقارة :** وهى طبلة .
(٩) الجاسر
(١٠) **حسين ابراهيم ولد الزهراء :** من اعلامشعراء السودان ولد فى وادى شعير بالقرب من المسلمية فى منطقة الجزيرة . تلقى تلعيمه فى الازهـر الشريف وعندماظهر الامام المهـدى هاجر له فى الجزيرة أبا . وفى ١٨٨٥ ارسله الامام المهدى فى مهمة تسليمحامية كسلا . تولى القضاء فى المهـدية القاضى أحمد ولد عـلى فى عام ١٨٩٢ ثمعزل وسجن حتى وفاته فى عام ١٨٩٤ . لقـد كتـب رسالة قوية فى تأييـد الـدعوةالمهدية .

(١١) **عثمان ولد زلفه :** من الاشراف
(١٢) **احمد ولدنا :** من دغيم .

(١٣) **الملك آدم ام دبالو :** هو ملك تقلى .تولىالملك حوالى عام ١٨٦٤ وذلك بانتزاع السلطة من عمه ناصر من الملك ابو بكر الذى فقـدتأييد الناس لبطشه بهم .لقد انتعشت احوال تقلى تحت المـلك آدم وكانت علاقتـهبالحكومة التركية المصرية فى السودان علاقـة جافة اذ لم يدفع لها جزية كما يتحداها تحديا سافرا فتركته الحكومة وشأنه

فى عام ١٨٨١ دخل المهدى دياره فأذن له بالدخول لكنه اعرض بادىء الامر عن الاشتراك مع المهدى فى حرب ضد الحكومة ولكنـهبعد حين اذعن .

وفى عام ١٨٨٣ رأى هكس ان يستنجـــدبالملك آدم فى غزوه لكردفان فنصحه علاء الدين باشا ان يعدل عن ذلـك بحجة أن ملوكتقلى عرفوا بعدم ولائهم للحكم التركى المصرى منذ قيامه فلا يمكن الاعتماد عليهم .
وفى ١٨٨٤ بعد سحق هكس هاجر الملك آدم الى المهدى وصحب الجيوش المتحركةنحو الخرطوم الى ان مات ودفن فى شبشـــهوقد نال ابنه عمر مركزا كبيراتحت لواءالمهدية

(١٤) محمد سعيد باشا : يقـال ان اصلـــهشركسى وهو من ضبـاط الجيش المصرى وقد منحه غردون باشا درجة لواء . وفى عام١٨٧٩م عين مديرا لكردفانوفى عام ١٨٨٢ عندما كانت حركة المهدى قد استفحلت قادقوةعسكرية هادفا ان يقضى على قوات الانصار ولكنه رجـع دون اشتبـاك معهـم وبقى بالابيض الى ان حاصرته قوات الانصار فاسلم المديرية. وكان يلقب بجراب الفول. مات فى عام ١٨٨٣م

(١٥) وفى قدير عين الامام المهدى الخلفاء وهم الذين تولوا خلافة الخلفاء الراشدين فاجلس عبد الله بن محمـد فى كرسى ابى بكـرالصديق وأجلس على ود حلو فى كرسى عمـر الفاروق وأجلس محمـد شريف حامد فى كرسى على الكراروجعل كرسى عثمانذىالنورين شاغراليجلس فيهمحمد المهدى السنوسى

كما بدأ المهـــدى فى قدير كتابه الراتبوأمر اصحابه الانصار والمهـاجرين ان يتركوا الاوراد الاخرى التى كانت مأخوذة عن مشايخ الطرق السابقين .

(١٦) يوسف باشا حسن الشلالى : مولـــدهبالقرب من المقرن فى نواحى الخرطوم وأصـله كنزى .
برزت مؤهلاته العسكرية عندما كان يعمل بقيادة جسى للقضاء على حركة سليمان الزبير وقد رقى لرتبة لواء فى عام ١٨٧٩متقديرالتلك الخدمات
عندما وصل الحكومة خبر هزيمة راشدايمن فى ديسمبر عام ١٨٨١م أعـدت قوة كبيرة بقيادة الشلالى يصحبه بعض اعيانقبائلالسودان للقضاء على الامام المهدى . قتـــل الشلالى ومن معه فى عام ١٨٨٢م

(١٧) المتراس : كوم من التراب يتخذ للتحصين .

(١٨) عرب وأولاد بلد : اصطلاحان محليان ، العرب يعنى البـدو واولاد البلد يعنى السكان المقيمون بالمـدن .

(١٩) عبد الله ولد النور : من المجاهدين الذين ابلوا بلاء حسنا فى واقعات العركيين وقـد استشهد فى واقعة الخرطوم فى عام ١٨٨٥م وقد قال الامام المهدى ساعة دفنه : « مـن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه (كعبد الله ولد النور) ومنهم من ينتظر (كعبد الرحمن النجومى) وما بدلوا تبديلا »

(٢٠) مادبو على : ناظر قبيلة الرزيقات وقد منحته الحكومة لقب بك . لقـد ساعد جسى فى القضاء على سليمان ولد الزبير باشا .
عندما اعلنت الدعوة المهدية هاجر مادبو الى المهدى فى قدير عام ١٨٨٢ فأخذ العهـــد على الامام المهدى وعاد الى بلاده أميرا من قبل المهـــدى للقيام بمهام الجهاد فازعجت حملاته حاميات الحكومة فى شكا . مات الامير مادبو على عام ١٨٨٦م .

(٢١) **على بك لطفى :** اميرالاى بالجيش المصرى وهو قائد المدد المرسـل لنجدة مدينتى باره والابيض وكان يصحبه عدد من الاعيان ليتولوا مناصب عليا عندما يرفع الحصار . لقد هاجمه الجوامعة بقيادة رحمه منوفل فى نواحى الكوه . ثم تقدم بمن نجا من ذلك الهجوم حتى اشتبكوا بقوات الانصار المحاصرة لباره فهزموا وقتل على بك لطفى .

(٢٢) **النور بك عنقره :** من اصل دنقلاوى . التحق بالجيش المصرى كجندى وخدم تحـت قيادة موسى باشا حمدى فى عام ١٨٦٢م . ثم تخلى عن الخدمة العسكرية والتحق بخدمة الزبير باشا رحمه منصور فى بحر الغزال وقد فطن الزبير لمؤهلاته الحربية فجعله رئيس اركان حربه فى حملته لفتح دار فور فى عام ١٨٧٥م بعد سفر الزبير الى مصر خدم النور عنقره تحت ابنه سليمان ثم تخلى عن سليمان وانضم للحكومة ومعه ٢٠٠٠ رجل . فسر به غردون باشا ومنحه لقب بك وعينه أول مدير للادو فى ١٨٧٧م . وفى ١٨٧٨ نقل مديرا لكبكابيه فى غرب دار فور . وفى ١٨٨٠ هزم السلطان هارون وقتله . وفى ١٨٨٢ كان قائد القوات الحكومية فى مركز باره الذى طوقه حصار الانصار .

وفى يناير ١٨٨٣م سلمت حامية باره وبايع النور عنقره الامام المهدى فعينه اميرا وكان له شأن كبير فى الجهاد .

(٢٣) **علاء الدين باشا :** من اصل شركسى ، وكان اول منصب تولاه بالسودان وظيفة مـدير تاكا فى ١٨٧١م .

وفى ١٨٧٧م أوصى غردون بترقيته لرتبة فريق فنالها . وفى ١٨٨٢م اصبح مدير عام شرق السودان ، وفى ١٨٨٣م رقى حاكما عاما للسودان خلفا لعبد القادر باشا حلمى . لقد ولى علاء الدين مسئوليات الحاكم العام جميعها ماعدا مسئولياته العسكرية فقد اوكلت لسليمان باشا نيازى ثم لهكس باشا .

لقد اشرف علاء الدين على ترحيل الجيش المصرى من سواكن لبربر ثم لحق برئاسة الحملة التى قادها هكس ضد الامام المهدى فلقى حتفه فى نوفمبر ١٨٨٣م .

(٢٤) **وليام هكس باشا :** جندى بريطانى التحق بجيش بمباى فى ١٨٤٩م واشترك فى عمليات حربية فى الهند وفى الحملة البريطانية فى الحبشة (١٨٦٧ – ٦٨) ثم استقال من جيش الهند فى عام ١٨٨٠م

وفى عام ١٨٨٣ عينته الحكومة المصرية فى جيشها لقيادة القوة الموجهة ضد الامام المهدى اذ كانت دعوته قد استفحلت فى غرب السودان واخذت اجزاء السودان الاخرى ترجع صـداها .

لقد ذهب هكس للسودان يصحبه عدد من الضباط الاوربيين والمصريين لقيادة الحملة وقد كان القائد العسكرى العام بالسودان سليمان باشا نيازى فوجد هكس انه لا يحسن تدبير شئون حملته إلا اذا أعطيت له القيادة العسكرية العامة فى السودان ، فاستجابت السلطات لهذه الرغبة وعينته القائد العام للجيش المصرى بالسـودان . لقى هكس حتفه فى واقعة شيكان فى نوفمبر عام ١٨٨٣م .

(٢٥) **عبد الحليم مساعد ولد الهاشمى :** من امراء الانصـار . لقد قاتل وجرح فى واقعـة شيكان .ولعب دورا قياديا فى فتح الخرطوم وكان ضمن الامراء الذين صحبوا الامير عبد الرحمن النجومى فى الحملة الموجهة نحو مصر . استشهد الامير عبد الحليم مساعـد فى واقعة توشكى عام ١٨٨٩م .

(٢٦) **محمد عثمان ابو قرجه :** من ابكار المهدى ، اصله من دناقلة القطينة. بدأ حياته بالعمل التجارى والملاحة فى شركة العقاد ومع الزبير باشا وادريس ابتر . عندما ظهر الامـام المهدى هاجر الحاج محمد ابو قرجه اليه وابلى بلاء حسنـا فى واقعات الجبال وتولى دورا قياديا فى القضاء على هكس وقواته .

ثم لقبه المهدى بأمير البحرين (أى النيلين) وارسله لحصار الخرطوم . بعد فتـح الخرطوم ارسل محمد ابو قرجه للجهاد فى شرق السودان مع عثمان دقنه ثم استدعى لامدرمان حيث اقام حتى ارسل سجينا الى الرجاف فأقام هناك حتى الاحتلال الاجنبى للبلاد . ثم ذهب للاقامة بدار فور وبعد حين توجه الى ام غنيم حيث اصبح عمدة على اهله . وعندما ضايقه المرض تحرك للاقامة بامدرمان حيث بقى حتى وفاته فى عام ١٩١٦م

(٢٧) **امبـايا :** الامبايا هى سن فيل صغير طولها نحو متر تثقب ثقبا واحدا من رأسها وتضرب للدلالة على الخروج لحرب أو نحوها .

(٢٨) **ممد خالد زقل :** من كبار امراء الانصار وابن عم الامام المهدى . بدأ حياته كتاجر ثـم توظف تحت الحكومة التركية المصـرية فى دار فور بعد فتحها . وفى عام ١٧٨٩م تولى منصب مدير شكا وساعد فى قمع حركة سليمان ابن الزبير باشا .
وفى عام ١٨٨٢م كان قائما باعمال مدير دافور ومنح لقب بك عندما سقطت الابيض فى يد الانصار ارسل سلاطين وكان مدير دار فور السيد محمد خالدزقل للابيض لاستطلاعحال المهدى . عاد السيد ممد خالد زقل من المهدى اميرا على دار فور واستلم المديرية مـن سلاطين . عاش السيد محمد خالد حتى نهاية المهدية فذهب للاقامة بدار فور حيث قتل فى عام ١٩٠٣م .

٣ ـ البـاب الثالث :

(١) **الشيخ محمد الطيب البصير :** من تلامذة الشيخ القرشى وهناك اجتمع بالشيخ محمد احمد وعندما اعلن الدعوة المهدية لبى نداءه وانخرط فى سلك دعوته واصبح من ابكار المهدى واولاه المهدى أمر اعطاء البيعة نيابة عنه لاهالى الجزيرة وجعله اميرا على تلـك الجهات للقيام بأمر الجهاد فصدع بالامر تسانده قبيلة الحلاويين ذات السبق فى تأييد دعوة الامـام المهدى .

لقد صادم قوات الحكومة وهى تحت قيادة صالح بك الملك فهزمها وأسر قائدها بالقرب من المسلمية فى عام ١٨٨٤م وقاد الحلاويين الى النصـر فى عدد من واقعات الجزيرة ثم لعب دورا قياديا فى حصار الخرطوم وفتحها .

وبعد فتح الخرطوم قاتل فى الحدود الشرقية ثم قاتل تحت قيادة اميرالامراء عبد الرحمن النجومى فى شمال البلاد وفى عام ١٨٩٨م كانالامير محمد البصير فى منطقة القضارف حيث انضم الى قوات الامير أحمد فضيل فاشترك فى الحركة العسكرية الكبيرة التى قام بها الامير أحمد فضيل بعد واقعة امدرمان للانضمام الى خليفة المهدى . وقع الامير محمـد البصير اسيرا فى يد قوات الاحتلال وأمضى أخريات ايامه فى الجزيرة بين اهله وعشيرته ومات الى رحمة مولاه عام ١٩٠٨م .

(٢) **عبد القادر باشا** : من أب مصرى وام سورية ، نال تعليما جامعيا فى اوربا ثم دخل الخدمة العسكرية وفى ١٨٧٤ رقى لرتبة لواء.وفى عام ١٨٧٦م تولى أول عمل لهبالسودان إذ اصبح مسئولا عن انشاء السكة الحديد ما بين دنقلا وحلفا ثم رقى لرتبة فريق عام ١٨٧٨م ونقل ليكون مديرا لبورسعيد ومنطقة قناة السويس . ولما استفل امر الدعوة المهدية وثبت عجز محمد رؤوف باشا عن القضاء عليها تقرر ان يتولى عبد القادر باشا منصب حاكم عام وقائد عام بالسودان فى فبراير عام ١٨٨٢م . فوصل الخرطوم وشرع فى تحصينها وفى ارسال الحملات الهادفة للقضاء على شوكة المهدية فى الجزيرة ولكنه سرعان ما اختلف مع الحكومة المصرية فى مسألة حملة هكس باشا اذ كان من رأيه اتخاذ خطة دفاعية والاقلاع عن مهاجمة المهدى فى كردفان فاعفى من منصبه ليخلفه علاء الدين باشا فى فبراير عام ١٨٨٣م .

(٣) **صالح باشا الملك** : من قبيلة الشايقية ومولود فى مروى التحق بقوات الشايقية غير النظامية وانخرط فى خدمة حكومة السودان المصرية التركية وقاد عددا من حملات الحكومة لجمع الضرائب . ثم رقى ليكون سنجق وعندما قامت الدعوة المهدية اوكلت اليه الحكومة مهمة القضاء عليها فى الجزيرة فقام بحركات حربية متعددة للقضاء على الثوار فى الجزيرة ، ففى سنة ١٨٨٢م رفع احصار عن سنار وفى سنة ١٨٨٣ قتل الامير احمد المكاشفى فى جبل سقدى فرقى الى درجة سر سوارى وبقى فى الجزيرة يهاجم ويدافع الى ان حاصره واسره الامير محمد الطيب البصير فى فبراير عام ١٨٨٤م لقد كان غردون باشا اذ ذاك فى الخرطوم وقد سد الانصار عليه المنافذ فلم يسعه نجدة صالح بك الملك ولكنه عبر عن تقديره لبسالته بترقيته لمنصب لواء ومنحه لقب باشا .
قابل صالح باشا الامام المهدى ورافقه حتى سقطت الخرطوم فعاش حرا الىان وافاه الاجل فى عام ١٨٩٠م بالقرب من القطينة .

(٤) **عبد الله عوض الكريم** : هو ابن عوض الكريم أحمد ابو سن وقد اخذ بيعة المهدى وانخرط فى سلك المجاهدين .

(٥) **عوض الكريم أحمد ابو سن** : من اشهر زعماء قبيلة الشكرية بعد وفاة والده فى ١٨٧٢ لم يستمر طويلا فى النظارة اذ رقى الى منصب فى الحكومة المركزية فتولى أخوه على شئون النظارة . وعندما هبت الدعوة المهدية عاد لممارسة شئون النظارة للقضاء على حركات الثورة فنجد جيكلر باشا فى حربه الشريف احمد ولد طه فى ١٨٨٢م وفى ١٨٨٤م عينه غردون باشا مديرا للخرطوم ولكنه لم يستمر طويلا فى هذا المنصب فما هى الا شهور حتى سقطت الخرطوم فى يد الانصار . مات الشيخ عوض الكريم فى عام ١٨٨٦م .

(٦) **غردون باشا** : أصله من اسرة اسكتلندية ذات ماض عسكرى دخل خدمة الجيش البريطانى كضابط فى عام ١٨٥٢م واشترك فى عدد من الحروب فى اوربا ثم فى الحرب الصينية فى عام ١٨٦٠م وبعد نهاية تلك الحرب ظل منتدبا فى خدمة امبراطور الصين وقام بدور رئيسى فى القضاء على ثورة تاى بنق فى الصين فى « ١٨٦٣ – ٦٤ »
وفى عام ١٨٧٢م قابله نوبار باشا وعرض عليه أن يخلف بيكر باشا كمدير للاستوائية فقبل وتولى هذا المنصب وعمل على توسيع رقعة السلطة الخديوية فى شرق افريقيا واستقال فى عام ١٨٧٧م . قبل تولى منصب حاكم عام السودان عندما عرضه عليه الخديوى اسماعيل بتفويض منه للقضاء على تجارة الرقيق.فعمل حاكما عاما حتى بلغته

اقالة الخديوى اسمعيل فى يوليو عام ١٨٧٩ ، فذهب الى مصر وقـــدم استقالته . ثم اسندت اليه مناصب عسكرية فى مناطق عديدة فى الهند والصين وخلافها الى ان منحه الجيش البريطانى رتبة ماجور جنرال فى عام ١٨٨٢م .

فى عام ١٨٨٤م اسندت اليه الحكومة البريطانية مهمـة انقاذ الحاميات المصرية تمهيدا لاخلاء السودان امام زحف الانصار فتولى منصب حاكم عام السودان مرة ثانية فوصـل الخرطوم فى فبراير عام ١٨٨٤م

لقد كان غردون شخصية شاذة ، فلم يحسن تصريف المهمة التى اسندت اليه ولم يفهم حقيقة الدعوة المهدية وعند وصوله السودان أدلى بتصريحات زعزعت ثقة الاهالى فيه وفى الحكومة المصرية فأدت هذه المواقف والتصرفات الى فشله ووقوعه فى حصار محكم وعندما عرض عليه الامام المهدى النجاة ووعده ان يرده سالما لاهله أعرض عن ذلك آمـلا فى وصول حملة الانقاذ البريطانية . كان غردون رجلا شاذا متهوسا جاهلا بحقيقةالبيئة الثورية التى صار اليها السودان فالقى بنفسه وانفس من معه الى التهلكة اذ مات فى فى واقعة الخرطوم فى يوم ٢٦ يناير عام ١٨٨٥م

(٧) **الشيخ عمر البنا :** أصله جعلى ومولده فى رفاعه حيث تلقى علـــوم الدين على يدى الشيخين : الحسين الزهراء ويوسف ولد   ثم واصل دراسته حتى اكمل تعليمه فى الازهر الشريف . وعندما قام الامام المهدى بالدعوة هاجر اليه الشيخ البنا واصبح من ابكار اصحابه . بعد احتلال السودان فى عام ١٨٩٨م اسند للشيـــخ البنا منصب قاضى شرعى ثم صار مفتشا عاما للمحاكم الشرعية وتوفى فى عام ١٩١٩م .

لقد كان الشيخ محمد عمر البنا شاعرا فحلا واديبا جامعا وهو والد الشاعر السودانى المبدع الشيخ عبد الله البنا .

(٨) **عثمان دقنه :** أمير امراء الشرق ، اصله من البجه ويقال ان والده من اصل عباسى . كان قبل دعوة الامام المهدى ناقما على الحكومة المصرية عاطفا على حركة الزعيم أحمـد عرابى . وعندما بلغه خبر الدعوة لبى النداء وبايع الامامالمهدى فعينه أميرا علىالشرق وكلفه بمحاصرة الجابيات واسقاطها ومحاربة السلطات الحكومية ، فرجـع الى بلاده واستنفر البجه ونظمهم نظاما عسكريا حازما وقهر بهم قوات الانجليز والمصريين . ففى عام ١٨٨٣م هزم قوة بقيادة طاهر باشا ثم حاصر طوكر واسقطها وفى عام ١٨٨٤م حاصر سنكات واسقطها وفى ذلك العام هزم قوة بقيادة بيكر باشا بالقرب من التب .

وهكذا اخلى الشرق من سلطان الحكومة وكلف الحكـــومة البريطانية تكاليفا هائلة فى الاموال والانفس لانها ارسلت مددا من جيشها للقضاء على عثمان دقنه فاخفق واكتفت السلطات الحكومية باسترداد سواكن والمحافظة عليها .

اشترك عثمان دقنه فى واقعة عطبرة وفى واقعة امدرمان ولم يقتل او يؤسر والتجأ الى جبال البحر الاحمر حيث وشى به احد المشايخ فقبضت الحكومة الثنائية عليه فى عام ١٦٠٠م وسجن فى رشيد فساءت صحته واحضر الىحلفا فى عام ١٩٠٨م فأمضى بقية ايامه متعبدا متبتلا رافضا اى نوع من انواع الاعتراف بالحكومة الجديدة أو التعاون معها وعندما سئل عن الحرفة التى يمارسها اذا اطلق سراحه قال انه بايع على الجهاد فلا حرفة لـه غير الجهاد . وفىعام ١٩٢٥م أدى فريضة الحج وعاد فتوفاه الله فىوادى حلفا عام ١٩٢٦م

(٩) **الشيخ الطاهر الطيب قمر الدين المجذوب :** من أفراد اسرة المجاذيب المشهورة بالتقوى والعلم . تلقى تعليمه فى الدامر ثم رحل الى سواكن فى عام ١٨٥٤م فكان خليفة المجاذيب بتلك الجهات وأسس جامعا ومارس الارشاد والتعليم الدينى الى أن ظهر المهدى فكان من رجال الدين الذين لبوا نداء الدعوة دون تردد ولا خوف وما ان وصله خطاب المهدى حتى تأهب للقيام بالجهاد مؤيدا امير الشرق عثمان دقنه مرافقا له فى كل حملاته وغزواته التى زعزعت الحكم التركى المصرى وقضت عليه فى شرق السودان .
مات الشيخ الطاهر فى طوكر فى عام ١٨٨م .

(١٠) **الشريف محمد الامين الهندى :** اصله شريف ، وقدقدم جده من الحجاز الى السودان لقد سافر الشريف محمد الامين الى الحجاز ومصر لتلقى العلوم الدينية وعـــاذ الى الى السودان حوالى عام ١٨٤٠م واقام مدرسة علم وقرآن بالتمانيات بالقرب من الجيلى عندما ظهر الامام المهدى هاجر الشريف محمد الامين اليه وبقى معه الى ان توفاه الله فى الرهد فى ٢٧ رجب ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣م) ودفن هناك وهو والد الزعيم السودانى الشهير المرحوم الشريف يوسف الهندى

(١١) **عبدالرحمن النجومى :** أمير أمراء الرايه الصفراء ومن الذين بايعوا الامام المهدى فى بداية الدعوة فاصبح من أبكار المهدى وشهد مع المهدى حملات الجهاد الاولى ثم عينه المهدى أمير أمراء راية الخليفه شريف التى تولت حصار الخرطوم وفتحه ولقبه المهدى سيف الله المسلول .

اوكل الى الامير عبدالرحمن أمر السير الى مصر فقاد جيش الانصار حتى التحـــم بالجيش المصرى الذى كان يقوده جرنفيل باشا فى توشكى بالقرب من ابى سمبل وهناك استشهد الأمير عبدالرحمن النجومى فى أغسطس عام ١٨٨٩م .

(١٢) **حاج خالد العمرابى :** من اعيان الجعلين ، ولد فى جبل أم على وهو سليل الرجـــل الصالح الشيخ حامد ابو عصا .

لقد عمل فى صباه تاجرا فى جهات الحبشه والقضارف ثم استقر فى الابيض .
كان الحاج خالد شديد الغيرة فى الدين لدرجة جعلته عف عن كل صله بالحكـــومة التركية المصرية خشية الاثم . لقد كانت له علاقة معرفة بالشيخ محمد احمد فعندما اعلن الدعوة المهدية وجد من الحاج خالد تجاوبا طبيعيا فانخرط فى سلك الدعوة وعينه الامام المهدى أميرا على الجلابه .

اشترك الحاج خالد فى واقعات الجهاد الكبرى كواقعة شيكان وفتح الخرطوم . وبعد وفاة المهدى أحسن الخليفه معاملته واحترامه ، وعاش الحاج خالد الى مابعد احتلال السودان فى عام ١٩٠١م .

(١٣) **عمر الخليفة محمد سوار الذهب :** من امراء المهدية ، واسد فى دنقلا وهو ابن الشيخ صالح سوار الذهب ومن افراد اسرة سوار الذهب المشهورة بالتقوى والعلم .

(١٤) **حمدان ابوعنجه :** من مواليد التعايشه والمنضله وكان قبل المهدية يعمل فى قوات الزبير باشا المسلحة فلما ظهر الامام المهدى هاجر اليه .
بعد سقوط الابيض فى عام ١٨٨٣م عين حمدان أميرا على الجهادية وهم حملة السلاح

النارى وقد كلفه المهدى بمناوشة جيش هكس القادم الى كردفان فاقلق مضجعه حتى لقى حتفه . واثناء حصار الخرطوم استولى على حامية امدرمان وبعد سقوط الخرطوم ارسل لاخضاع جبال النوبة وبعد وفاة المهدى كلفه الخليفه بمهمة تجريد الأير محمد خالد زقل فجرده . ثم وجهه الخليفة للحدود الحبشية وعندما نشب الخلاف مع الاحباش حاربهم حمدان وهزم قواتهم التى قادها الراس عدال بالقرب من القلابات ثم احتـــل قندار فى ١٨٨٧م .

لقد كان حمدان ابو عنجه اكثر من شهد قتالا من بين امراء المهدية
مات امير الامراء حمدان ابو عنجه وهو فى اوج انتصاره على الحبشـان اذ تداوى بعشب فكانت فيه منيته فمات فى عام ١٨٨٨ ودفن فى القلابات .

(١٥) **الامير الزاكى طمل :** من مواليد التعايشه والمنضله . لقد قاد قوات الانصار فى دار فور ثم اشترك مع الامير حمدان ابى عنجه فى واقعات الحبشة وعندما مات حمـــدان خلفه الزاكى طمل اميرا على امراء الجيش وقد قاد جيوش المهدية ضد جيوش تفوقها عـــددا وعتادا بقيادة الملك يوحنا امبراطور الحبشة فانتصر جيش الزاكى وقتل الملك يوحنا . لقد وشى بعض الوشاة بالزاكى فسجن ومات فى سجنه عام ١٨٩٢م .

(١٦) **موسى ولد حلو :** من قبيلة دغيم وهو أمير امراء راية الخليفة على ولد حلو ، وهـــو والخليفة على اخوان من اسرة عرفت بالدين والتقوى.
اشترك مع الامير موسى فى واقعات الجهات التى سبقت فتح الخرطوم ثم كلفه الامـام المهدى بقيادة الجيش الفدائى المرسل لصد النجدة الانجليزية القادمة لانقاذ غردون ، فقابل قوات النجدة فى ابى طليح واستشهد فى المعركة فى عام ١٨٨٥م

(١٧) **محمد ولد بلال :** من امراء المهدية الذين استهدوا فى واقعة أبى طليح .

(١٨) **البشير عجب الفيه :** من كبار أمراء الراية الخضراء وهو من قبيلة كنانه ذات السبق فى تأييد دعوة الامام المهدى وهو من ابكار المهدى .
استشهد الامير البشير فى واقعة ام ديبكرات فى عام ١٨٩٩م

(١٩) **على ولد سعد :** من اعيان قبيلة الجعليين . عندما ظهر المهـــدى هاجر اليه وبايعه فجعله المهدى اميرا على الجعليين . اشترك الامير على فى عدد من واقعات الجهاد .

(٢٠) **على ولد قمر :**

(٢١) **سير هربرت ستيوارت :** ماجور جنرال فىالجيش البريطانى . اشترك بدور قيادى فى الغزو البريطانى لمصر عام ١٨٨٢م واحتل القاهرة فى واقعة التل الكبير .

وفى حملة انقاذ الخرطوم أوكل اليه قائد الحملة العام ، الجنرال ولسلى ، أمر قيادة فريق من الجيش أمره باختراق صحراء البيوضة فقاد تلك القـــوة من كورتى حتى اقترب من المتمة فالتحم بجيوش الانصار فى يناير ١٨٨٥م فى واقعة ابى طليح ثم واقعة القبة التى لقى فيها حتفه .

(٢٢) **محمد عبد الكريم :** من امراء المهدية وهو عم الامام المهدى وقد تولى حصار سنار حتى فتحها . مات مقتولا عام ١٨٩١م .

(٢٣) الياس باشا ام برير : اصله نفيعابى جعلى ، وقد كان ذا مكانة مرموقة فى الابيض وذا تجارة واسعة وقد كانت له معرفة بالشيخ محمد احمد قبل الدعوة فعندما اعلنت الدعوة كان من المسارعين لتأييدها وادى للمهدى خدمات جليلة فى الابيض .
عندما حاصرت قوات الانصار الابيض انضم الياس باشا اليهم .

٤ ـ البـاب الرابع :

(١) حسين باشا خليفه : من قبيلة العبابدة ، تولى منصب مدير بربر عام ١٨٦٩م وما بين عام ١٨٧١م وعام ١٨٧٣م صار مدير مديريتى بربر ودنقلا . واستسلم حسين باشا واسلم مديرية بربر للامير محمد الخير فى يونيو من عام ١٨٨٤م فأرسله لمقابلة المهدى فى الرهد حيث اكرم المهدى وفادته وعينه اميرا عاما على العبابدة . توفى حسين باشا فى القاهرة فى عام ١٨٨٦م .

(ا) محمد صالح ساتى على :
(ب) عبد القادر ساتى على :
(ج) احمد عبد الكريم :
(د) احمد شرفى :

٥ ـ البـاب الخامس :

(١) محمد ارباب : من امراء المهدية من اصل تكرونى وموطنه فى نواحى الحدود السودانية الحبشية . استشهد عام ١٨٨٧م .

(٢) الامير يونس الدكيم : من امراء الامراء فى الراية الزرقاء ومن ابناء عم خليفة المهدى . هاجر للمهدى فى بداية الدعوة بجبل قدير وتولى مسئوليات حربية فى واقعات الجهاد التى سبقت الخرطوم .

وفى عامى ١٨٨٤ و ١٨٨٥ تولى مهاما جهادية فى جنوب دار فور وفى دار الجمع ودار محارب . ثم ارسل اميرا على القلابات فى الحدود الشرقية للبلاد ثم استدعى لامدرمان حيث اقام حتى ارسل اميرا على دنقلا فى ١٨٨٩ اسندت اليه مسئولية قيادية فىواقعة ام دبيكرات حيث جرح .

توفى الامير يونس بعد عمر طال حتى قيل انه بلغ ١٢٠ عاما ودفن فى امدرمان عام ١٩٣٦م

(٣) الامير عربى دفع الله : من قبيلة التعايشه ومن امراء الراية الزرقاء . لقد كان الامير عربى من اوائل المنخرطين فى سلك دعوة الامام المهدى .

وفى ١٨٩٠ ارسل اميرا على الاستوائية حيث ابلى بلاء حسنا فى الدفاع عن الحدود الجنوبية واستمر كذلك حتى قوى تيار التكالب الاوربى فقويت شوكة الغزو البلجيكى لمناطق السودان الجنوبية فى وقت غزت فيهالقوات الانفليزية ـ المصرية انحاءالسودان الاخرى . علىاثر هذا الضغط وبعد معرفة نتيجةواقعة امدرمان قاد عربى بعض رجاله وذهب الى دار التعايشة حيث اقام حتى استسلم للسلطان على دينار فى عام ١٩٠٢م

(٤) **الامير أحمد ولد علي :** من امراء الراية الزرقاء ومن قبيلة التعايشة فرع الجبارات . استشهد فى اغوردات فى عام ١٨٩٣م

(٥) **القاضى أحمد ولد علي :** كان قاضيا في مركز شكا قبل الدعوة المهدية فلما بلغه النبأ هاجر الى الامام المهدى وادرك واقعة الابيض واشترك فيها . بعد واقعة الابيض عينه الامام المهدى قاضيا ولقبه قاضى الاسلام .
تولى القاضى أحمد هذا المنصب اثناء حياة الامام المهدى وجزء من عهد خليفة المهدى مات القاضى أحمد فى السجن بعد أن عزل من منصبه فى عام ١٨٩٢م

(٦) **الملك يوحنا :** كان حاكمالاحدى امارات الحبشة تدعىتيقر وقد ساعد القوات البريطانية في حربها لامبراطور الحبشه عام ١٨٦٨ وفيعام ١٨٧٢ نجحتمساعيه لتولى امبراطورية الحبيشة فتوج ملكا لملوك الحبشان .
وفي ١٨٧٥م و ١٨٧٦م اشتبكتقوات يوحنا بالقوات التركية ـ المصرية فهزمها فيالمرتين واستمر الخصام قائما حتى تصالح الطرفان فى عام ١٨٧٩م

عندما قامت الدعوة المهدية مال الملك يوحنا لتأييد السلـطة المصرية فى السودان ، وعندما تقرر الجلاء عن السودان وافق ان يساعد على جلاء الحاميات المصرية فى المناطق المتاخمة لبـلاده .

وفى عام ١٨٨٥م تولى الانصار منطقة القلابات فلجأ بعض الفارين من الراس عدار الى القلابات ولم يشأ حاكمها محمد أرباب ان يسلمهم فهجم عليه الراس عدار فى قـوة كبيرة وهزم قواته وقتله وخرب القلابات . كان الحادث فى بداية المعارك ما بين الانصار والحبشان التى قادها من جنب الانصار يونس الدكيم ثم حمدان ابو عنجه ثم الزاكى طمل . فرأى الملك يوحنا أن يقضى قضاء نهائيا على نفوذ الانصار فقاد جيشا عظيما ضد الزاكى طمل فوقعت واقعة هائلة فى القلابات فى مارس ١٨٨٩ مات اثناءها الملـك يوحنا وهـزم جيشه .

٦ ـ البـاب السادس :

(١) **الامير عثمان آدم :** من قواد المهدية ومن قبيلة التعايشة وكان يلقب عثما جانو .
لقد ظهرت الفروسية والشجاعة فى الامير عثمان فى سن مبكرة وولى على كردفان فى عام ١٨٨٦ . وتولى اخضاع الكبابيش ثم ذهب الى دار فور حيث اشترك مع الامير كرم الله محمد كركساوى فى القضاء على حركة السلطان يوسف ابراهيم .
ثم لقب عثمان امير امراء دار فور وكردفان وبقى فى الغرب حاكما من قبل المهدية حتى وفاته فى عام ١٨٨٩م

(٢) **الامير سليمان اكرت :**

٧ ـ البـاب السابع :

(١) **السنجك عمر ترحو :**

(٢) **الشريف داود محمد :**

(٣) الامير الختيم موسى :

(٤) أحمد ابو جميزه : من قبيلة المساليت ادعى انـــه خليفة عثمان بن عفان واحـــدث اضطرابات عديدة لولاة المهدية فى دار فور الى أن مات فى عام ١٨٨٩م

(٥) يوسف ابراهيم محمد : ابن السلطان ابراهيم محمد حسين الذى قتله الزبير باشا فى واقعة منواشى عام ١٨٧٤م .
لقد انخرط يوسف فى سلك الدعوة المهدية وعندما ذهب الامير خالد لامدرمان تركه اميرا على دار فور .
لقد سعى يوسف الى تحقيق استقلال دار فور وقاوم قوات المهدية فهزمته قـــوات الامير عثمان آدم فى ١٨٨٧م وفى ١٨٨٨م فهرب الى جبل مره . وبعد حين قتل بالقرب من كبكابيـــه .

٨ ـ البـــاب الثامن :

(١) السيد محمد سر الختم : اكبر ابناء السيد محمد عثمان الميرغنى الكبير وبعد وفاةوالده واصل ما بدأه والده من نشاط دينى فى السودان ثم فى مصر . وفى عام ١٨٨٣م عاد من مصر الى منطقة سواكن بالسودان ليعمل علىكسب ولاء البجه لسلطة الحكومة التركية المصرية فعندما لم يستطع عاد الى مصر حيث اقام حتى وفاته فى عام ١٩١٧م

(٢) الخديوى محمد توفيق باشا : ابن اسماعيل باشا الوالى الذى اضاع استقلال مصـر بأن جعلها تحت رحمة الدائنين من الدول الاجنبية .
لقد عملت الدول الاجنبية على تنحية اسماعيل باشا من الحكـــم فخلفه ابنه محمد توفيق فى ١٨٧٩م . لقد اتسم عهد توفيق بوقوع جميع شئون البلاد فى ايدى الدول الاجنبية مما اوجد سببا وطنيا قويا لثورة احمـــد عرابى الثائر المصرى . وفى عـام ١٨٨٢م تدخلت بريطانيا لتحمى النفوذ الاجنبى فى مصر ولتحمى عرش محمد توفيـق ولتقضى على ثورة احمد عرابى فضربت اسكندرية واحتلت القطر المصرى . مات محمد توفيق فى عام ١٨٩٢م وخلفه عباس حلمى باشا .

(٣) السلطان عبد الحميد : سلطان تركيا وقد كان الخليفة الاسلامى الذى تقع البـــلاد الاسلامية تحت امره ونهيه ، وكانت مصر أحـدى الولايات التابعة له وكان عرشهـا خاضعا لسلطان تركيا الى أن استقل به محمد على باشا . ولكن التبعية الرمزيةلتركيا على ما هى عليه حتى قيام الحرب العالمية الاولى فى عام ١٩١٤م .
وقد كان الامام المهدى يقول فى امر الخـلافة فى تركيا : « ان الخـــلافة قد رفعت وان كرسيها حتى اخلى بانتفاء شروطها فى القائمين بأمرها »

(٤) الملكة فكتوريا : ملكة إنجلترا وأول من لقبت إمبراطورة الهند في عام 1876 وقد كانت بريطانيا فى عهدها فى اوج مجدها وقوتها . تولت الملكة فكتوريا الحكم فى عام ١٨٣٧م ، وماتت فى عـــام ١٨٩١م

(٥) هجرة ولد البصير : مكان يقع شمال امدرمان ، اقام فيه الامير محمد البصير ومن معـه من جموع الجزيرة عندما استدعيت لامدرمان .

(٦) **كرومر** : بعد الاحتلال البريطانى لمصر وفى عام ١٨٨٣م تولى كرومر منصب القنصل العام البريطانى فى مصر وقد كان طول عهده فى هذا المنصب الحاكم بأمره فى مصر فهو الذى وضع سياسة اجلاء الحاميات المصرية من السودان ، وهو الذى اشرف على شئون مصر المالية ووجهها ، وهو الذى اشرف على اعادة تكوين الجيش المصرى بعد ثورة عرابى، وهو الذى اوصى باخضاع السودان وهو الذى وضع اتفاقية الحكم الثنائى التى فرضت على السودان بعد واقعة امدرمان فى عام ١٨٩٩م . ان اللورد كرومر ليعد بحق أهم شخصية فى تاريخ العلاقات السودانية ـ المصرية ـ البريطانية استقال كرومر من منصبه عام ١٩٠٧م ومات فى عام ١٩١٧م .

٩ ـ الباب التاسع :

(٩) **السنوسى احمد محمد** : من امراء الراية الزرقاءوهو أخ خليفة المهدى من امه . استشهد فى ديبكرات عام ١٨٩م .

(٢) **محمد عثمان الحاج خالد** : من امراء المهدية وهو من الجعليين فرع العمراب ووالده الحاج خالد المتقدم ذكره ، لقد كان محمد عثمان تاجرا ، شابا عندما ظهر الامام المهدى . لقد ادرك خليفة المهدى فطنة الامير محمد عثمان بالمسائل السياسية فارسله سفيرا عنه للمفاوضة فى منليك الثانى ، امبراطور الحبشة ، فى مسألة تخص حدود البلدين . توفى الامير محمد عثمان فى عام ١٨٩٦م .

(٣) **الامير الزاكى عثمان** : من امراء المهدية من قبيلة التعايشه فرع الجبارات . تولى امارة بربر واستشهد فى واقعة امدرمان فى عام ١٨٩٨م .

١٠ ـ الباب العاشر :

(١) **الملازمية** : مشتقة من الملازمة والمقصود انهم لزموا باب أو حراسة أحد خلفاء الامام المهدى ، وهم نخبة من ابناء القبائل اختيرت او تطوعت للحراسة الخصوصية .

(٢) **الامير عثمان شيخ الدين** : اكبر ابناء خليفة المهدى ، وقد اسندت اليه قيادة الجهادية وغالبية حملة السلاح النارى ، وقد قادهم فى واقعة امدرمان . لقد اشترك فى واقعة ام ديبكرات وجرح ثم مات اسيرا فى رشيد عام ١٩٠٠م

(٣) **فوزى واحمدى ابناء محمود بادى :**

(٤) **الامير يعقوب** : اخ لخليفة المهدىمن ابيه وهو من اوائل المنخرطين فى دعوة الامام المهدى اذ هاجر اليه فى منطقة النيل الابيض وصحبه فى الهجرة الى قدير . اشترك الامير يعقوب فى واقعات الجهاد الاولى التى سبقت فتح الخرطوم كما قام بدور هام فى فتح الخرطوم . وفى عهد خليفة المهدى ولى منصب قائد عام جيوش المهدية . استشهد الامير يعقوب فى واقعة امدرمان عام ١٨٩٨م .

البــاب الاول :

البــاب الثانى :

البـــاب الثالث

صفحة

البـــاب الرابع :

البـــاب الخامس :

صفحة

البـــاب السادس :

البـــاب السابع :

صفحة

البـــاب الثامن :

البـــاب التاسع :

البـــاب العاشر :

صفحة

البــاب الثانى عشر :

صفحة